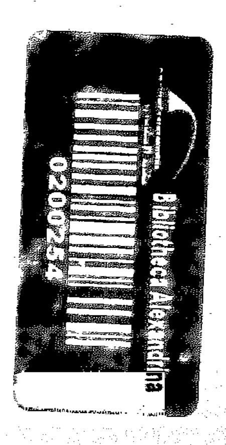
باب الحوائج

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

أ.د. حسين الحاج حسن



دار المرتضى
بيروت







الإمام الكاظم (ع)

مسيرة علوية مستمرة

الدكتور حسين ابراهيم الحاج حسن
استاذ الأدب العربي والحضارة العربية
في الجامعة اللبنانية كلية الآداب الفرع الرابع
ومشرف في قسم الماجستير والدكتورا

دار المرتضى
بيروت

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - ص.ب: ١٥٥/٢٥ الغبيري - هاتف: ٠١/٨٤٠٣٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

اقتضت حكمته جلّ جلاله اصطفاء وتشريف آل محمد عليهم السلام، ورفع منزلتهم، كما اقتضت حكمته جلّ جلاله اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾ [آل عمران/ ٣٤].

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى آيات كثيرة في فضل آل محمد عليهم السلام، يكفي منها قوله تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور**﴾[الشورى/ ٣٣].

لهذا كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يشيد بأهل بيته عليهم السلام في كل ناد ومحفل، فمرّة يشبّههم بسفينة نوح «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[(١)].

وشبّههم بباب حطة «مثل أهل بيتي مثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غفر له»[(٢)].

وقوله صلى الله عليه وآله: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما

(١) إحياء الميت بفضائل أهل البيت/ الحديث الرابع والعشرون، ذكره عن طرق كثيرة.

(٢) إحياء الميت بفضائل أهل البيت/ الحديث السابع والعشرون.

إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدا»[١].

وقوله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي»[٢].

وقال ﷺ: «حبّي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهن عظيمة: عند الوفاة، وعند القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الصراط، وعند الميزان»[٣].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقي الله وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا»[٤].

كما أنّه ﷺ حذّر من بغضهم، قال: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهوديّاً

قيل: يا رسول الله وإن شهد الشهادتين؟

قال: نعم، إنّما احتجب بهاتين الكلمتين عن سفك دمه[٥].

وقال ﷺ: «لو أنّ رجلاً صلّى وصفّ قدميه بين الركن والمقام، ولقي الله ببغضكم أهل البيت دخل النار»[٦].

وقال ﷺ: لو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتّى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبّتنا، كبّه الله على منخريه في النار، ثم تلا: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾[٧].

---

(١) قال الشيخ المظفّر في كتابه الثقلان: إن طرق هذا الحديث بلغت مائتين وخمسين طريقاً؛ من هنا يُعلم أنّ رسول الله ﷺ كان يكرس على مسامع المسلمين في كلّ مناسبة، طالباً من الأمّة التمسّك بهما.

(٢) إحياء الميت بفضائل أهل البيت/ الحديث الحادي والعشرون، وأيضاً في مستدرك الصحيحين: ٣/ ٤٥٧. وكنز العمال: ٦/ ٢١٦. ومجمع الزوائد: ٩/ ١٧٤.

(٣) روضة الواعظين: ٢/ ٢٧١.

(٤) إحياء الميت بفضائل أهل البيت/ الحديث الثامن عشر.

(٥) عقاب الأعمال: ٢٠٤.

(٦) أمالي الشيخ الطوسي: ٧٣.

(٧) مجمع البيان: ٩ ـ ١٠، ٢٩.

إلى أحاديث كثيرة ذكرها علماء الحديث في كتبهم.

وأنت أعزّك الله يكفيك من هذا أنّ الله جلّ جلاله فرض على المصلّين ذكرهم في صلاتهم، فتقول في التشهّد: اللهمّ صلِّ على محمد وآل محمد.

وإلى هذا يشير الإمام الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنّكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له[1]

ومن هذا المنطلق الولائي جاءت المباراة الكتابية عن آل البيت عليهم السلام؛ بدأت بأمير المؤمنين عليه السلام، ووصلت الى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ـ الإمام السابع من أئمة آل البيت عليهم السلام ـ وفي كثير من هذه المباريات كان الدكتور حسين الحاج حسن مشاركاً فيها، وفي كتبه مسحة ولاء يحسّها القارىء، وهذا هو المتعيّن على من له المقدرة على الكتابة والتأليف.

ونسأله تعالى أن يأخذ بأيدينا الى ما يحب ويرضى إنه سميع مجيب.

بيروت ٩/ ٩/ ١٩٩٩

علي محمد علي دخيّل

(١) ديوان الإمام الشافعي: ٧٢.





الإهداء

أيها الإمام العظيم الذي بعثت روح الجهاد في الأجيال.

أيها الإمام الكريم يا من تستحق كل الكلمات المخضبة بالخير والحق، والعابقة بأريج العطاء.

يا إمامي أبا عبد الله الصادق نفسي لك فداء، روحي لك فداء تقبل مني هذا المجهود المتواضع الذي تشرفت فيه بالبحث عن سيرة ولدك الإمام موسى الكاظم عليه السلام وصيك وخليفتك الذي قضى رهين السجون، وحليف الآلام تقياً ورعاً زاهداً عابداً، فتفضل عليّ بالقبول علّه يكون ذخراً لي يوم الوفادة على الله.

المؤلف

د. حسين ابراهيم الحاج حسن

شمسطار ٢١ كانون أول ١٩٩٧

الموافق ٢١ شعبان ١٤١٨



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[1].

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[2].

وجاء في الحديث الشريف: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت اليكم القول معذرة اليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض فأسألهما عما خلفت فيهما».

كما روي عنه قوله ﷺ: اللهم إنك تعلم ان هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليَّ، فاحب من يحبهم وأبغض من يبغضهم ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، وأهن من أهانهم، واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب وأيدهم بروح القدس يا رب العالمين».

وردت هذه الأحاديث في صحيح مسلم ج٧ ص٢٢، وسنن الترمذي ج٢ ص٣٠٧ وسنن الدارمي ج٢ ص٤٣٢ ومسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩ كما رواها جماعة من أكابر العلماء يقرب عددهم من المائتين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٤.

كلمة شكر وتقدير

إنها المباراة العظيمة التي تقام كل عام في مهرجان عظيم لإمام عظيم من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أضاء الدنيا بنمير علومه وعطر المجتمع بأريج أخلاقه، وبعث في ضمير الأمة الاسلامية الجهاد، الأمثل في حلمه وصبره على ما صادف من خطوب جسام من حكام لئام.

تعد هذه المباراة من أفضل الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التي تقام على صعيد العالم العربي من إحياء التراث الاسلامي الخالد، كما تدل دلالة واضحة على تعلّق الأمة الاسلامية بعظمائها العظام، ورجالاتها الكرام. إنّ إحياء ذكرى عظمائنا أمر ضروري من أعمالنا وخاصة في هذه الأيام الصعبة التي تحاك فيها المؤامرات علينا من الغزو الفكري والثقافي من قبل أعداء الأمة الاسلامية المستكبرين من أجل قطع الأواصر التي تشدنا إلى تراثنا الإسلامي العريق، وعقيدتنا الاسلامية السمحاء. تعد هذه المباراة الهامة لقاءً أخوياً كريماً تتآلف فيه قلوب أبناء هذه الأمة العربية الخالدة الذين يعشقون محبة أهل البيت على اختلاف مذاهبهم ومناطقهم، فتتعانق الأقلام الملتزمة لتبديد سحب الطمس والتزييف التي مورست وما زالت تمارس لاقصاء رسالة الاسلام عن واقع الحياة، لكن المتآمرين قد فشلوا في إطفاء نور الله الذي يبقى مشرقاً منوراً بهمة علمائنا الأبرار، فلهم منّي أفضل الشكر والتقدير.

كما تعد هذه المباراة الكريمة مناسبة خيّرة للحوار والمناقشة وتلاقح الأفكار وتبادل الآراء لاختيار خلاصة جهود المشاركين من أجل البحث الأمثل لتعريف الأمة بالمزيد من عظمائها، العلماء الأفذاذ الذين سطروا في التاريخ العربي الاسلامي أنصع الصفحات الدالة على سعة أفقهم العلمي، وجهادهم الحضاري، في صيانة الرسالة الاسلامية السامية. ذلك هو:

الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي أكمل المسيرة العلوية بهمم أبية، مدافعاً عن رسالة جده صلى الله عليه وآله وسلم ومناضلاً عن المستضعفين من أبناء أمته بمواقفه التاريخية المشهودة، وتصديه لمناظرة الفرق الضالة عن الحق، مجاهداً صابراً لما لاقى من مؤامرات أموية وعباسية، وعالماً متألقاً بما خلف من تراث حضاري غزير في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

فتحية شكر وتقدير لكل من ساهم بهذه الدراسات القيّمة والبحوث العلمية الفاضلة في سبيل الإفادة والتنوير وإحياء القضايا الكبرى في المجتمع الإنساني.

ولا أرى أية قيمة لرسالة أو أطروحة ما لم تكن في خدمة قضية إنسانية في مجتمع إنساني. ولا يطيب قلم باحث أو كاتب ما لم يعالج قضية كبرى يتبناها ويعيش أهدافها الشاهدة على صحتها؛ لأن القضايا الجليلة هي الشعاع الذي يستضيء به فكرنا، والدافع لأشواقنا والمحيي لوجداننا وعقيدتنا.

إن جهودكم المشكورة التي وجهت الدعوة العامة لتقديم مباراة جديدة عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام شبيهة هي بالدراسات الناجحة التي قدمت عن الأئمة المعصومين السابقين ـ والتي كان لي الشرف بالمشاركة فيها ـ أمانة صعبة حملوها على عاتقهم وأدوها بأمانة جميعهم عليهم السلام.

ومن أجل هذه الأمانة العظيمة شهر الإمام علي عليه السلام سيفه ذا الفقار في وجه المنحرفين عن الخط الإسلامي، وغمد الإمام الحسن عليه السلام حسامه، حقناً للدماء، وصوناً لوحدة المسلمين.

ومن أجل القضية نفسها سار الإمام الحسين عليه السلام من مكة الى كربلاء لابساً

عباءة جده ﷺ التي ما طاب له إلا أن يصبغها بدماء وريده الشريف من أجل مصلحة الأمة الإسلامية، سار وقلبه يطفح بعزيمة الإيمان، والعزيمة تشع كضوء يتماوج بألف لون ولون، ثم رفع بصره إلى فوق فإذا بسمة عريضة من الفم الملائكي وكأنها تقول له: سر في درب الشوق فأنت محاط بالعناية الإلهية[1].

ومن أجلها أيضاً ناضل الإمام الباقر عليه السلام واستشهد بعد أن ساهم ببناء المدرسة الكبرى التي نهض بها ولده الإمام الصادق عليه السلام الذي نعيش مع علمه وفكره ومنهجه في هذه الأيام المباركة ونستلهم من جهوده النضالية، وسيرته المثالية، وأخلاقه المحمديّة.

ومن أجل القضية نفسها كافح الإمام الكاظم عليه السلام فقام بعد أبيه عليه السلام بإدارة شؤون المدرسة التي خرّجت ألمع كوكبة من كواكب العلماء الجهابذة. وصبر على الأحداث الجسام، والمحن الشاقة التي لاقاها من طغاة عصره لعنهم الله.

لقد كانت القضية واحدة، والمسؤولية واحدة، والهدف واحداً، ولكن التعبير جاء مع كل إمام من كواكب الإسلام المشرقة بلون ميّزه عن الآخر وذلك حسب الظروف السياسية والاجتماعية المحدقة به. فشكراً جزيلاً لجهودكم المباركة التي حرّكت في نفسي شوقاً سامياً ألمظ به طعماً لذيذاً من لقاح العنفوان والكرامة تحيا بهما كل النفوس التي تأبى الذل والهوان، وترغب في صون الكرامة الإنسانية، والرسالة الإسلامية على مدى الزمان.

آجركم الله وأمدكم بثوب العافية وطول العمر.

حسين إبراهيم الحاج حسن

(١) الرسالية في الثورة الحسينية، للمؤلف.

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مهما تحلّى الباحث باطلاع واسع في علم النفس، ومهما أوتي من براعة في علم الاجتماع يسمح له تحليل الواقع النفسي، وإعطاء صورة حيّة عن تركيب الشخصية الإنسانية وعناصر سلوكها وامكاناتها، فإنّه مهما بلغ من التفوّق في هذا المجال فلا يستطيع أن يلم الماماً شاملاً بواقع أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويكشف عن جوهر حياتهم، وأبعاد نزعاتهم، بما لهم من ظواهر ذاتية وابداعات فردية.

والواقع أن ما أثر عنهم من صفات مميّزة، ونزعات فذّة في سلوكهم الشخصي والاجتماعي يجعلهم في أعلى مراتب الإنسانية. وهذه الظاهرة تجدها متمثّلة في سلوكهم النبيل الذي بلغوا به أعلى درجات الانسانية هذه الظاهرة من نزعات الإمام موسى عليه السلام وهي الصبر على المحن والخطوب المبرحة والمستمرة التي لاقاها من طغاة عصره، فقد أمعنوا في اضطهاده والتنكيل به، فاعتقله هارون الرشيد وزجه في ظلمات السجون زمناً طويلاً، ثم حجبه عن جميع الناس ولم يسمح لأحد بمقابلته، ومع هذا كله، لم يأثر عنه أنه أبدى أي تذمّر أو سأم أو شكوى، وإنما حسب ذلك من ضروب النعم التي تستحق الشكر لله لتفرغه لعبادته، وانقطاعه لطاعته، فكان وهو في السجن يقضي نهاره صائماً، وليله قائماً. وهو جذلان بهذه المناجاة، وبهذا الاتصال الروحي بالله العزيز الرحيم وهذا ما أجمع عليه المترجمون فقالوا انه كان من أعظم الناس عبادة، وأكثرهم طاعة لله، حتى أصبح له ثفنات كثفنات البعير من كثرة السجود، كما كانت لجده الإمام السجاد من

قبل فلقب بذي الثفنات، وقد أدلى الفضل بن الربيع بحديث له عن عبادته عليه السلام حينما كان سجيناً في داره.

فماذا نستطيع تعليل هذا الصبر؟ لم يكن سوى الايمان العميق بالله تعالى، والتجرد من هذه الدنيا الفانية، والاقبال على الدار الآخرة. حتى أن هارون الظالم بهر بما رآه من تقوى الإمام وكثرة عبادته، وتحمّله هذه الخطوب الثقيلة بصبر وهدوء. فقال متعجباً:

«إنه من رهبان بني هاشم»!!

ولما كان مسجوناً عليه السلام في بيت السندي بن شاهك وكل أوقاته عبادة وسجود، كانت عائلة السندي تطل عليه فترى هذه السيرة الزكيّة التي تحاكي سيرة الأنبياء، مما دفع شقيقة السندي إلى اعتناق فكرة الإمامة، وحفيد السندي من أعلام الشيعة في عصره إنها سيرة نبوية عريقة تملك القلوب والمشاعر، مترعة بجميع معاني النبل والزهد والسمو والاقبال على الله تعالى.

وهناك صفة أخرى من صفات شخصيته الكريمة، وهي الصمود في وجه الظلم والطغيان، وانطلاقه في ميادين الجهاد المقدّس؛ فقد حمل لواء المعارضة على حكام عصره الطغاة الذين استباحوا جميع حرمات الله، واستبدوا بأرزاق الأمة وحقوقها الشرعية، واستهابوا بكرامة الإسلام، فبنوا حكمهم على الظلم والجور والاستبداد وارغام الناس على ما يكرهون. . ومن ثم كانت محنة أهل البيت عليهم السلام الشاقة جداً فإنّهم بحكم موقعهم ودورهم القيادي الشرعي للأمة مسؤولون عن رعايتها وصيانتها وانقاذها مما ألمّ بها من المحن الثقيلة، والخطوب الجسام، فأعلنوا معارضتهم الايجابية تارة، والسلبية أخرى السياسية ملوك عصرهم، فذاقوا من جراء ذلك جميع ألوان الظلم والقهر والاضطهاد، حتى انتهت حياتهم الكريمة ما بين مسموم ومسجون ومقتول، كل ذلك من أجل مصلحة المسلمين وإصلاح أمة جدهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والانطلاق بالحكام إلى سياسة العدل الخالص، وتطبيق أحكام القرآن الكريم على واقع الحياة.

وقد تجلّى ذلك الصمود الفذ عند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام باصراره البالغ على شجب سياسة هارون الرشيد، وعدم الاعتراف بشرعية خلافته، فأصرّ

على هذا الموقف الشريف حتى لفظ أنفاسه الأخيرة في السجن، فلم يصانع، ولم يدار أحداً منهم، ولو سايرهم لأغدقوا عليه الأموال الطائلة ليسكتوا صوت الحق في صدره؛ لكنه آثر رضى الله وطاعته على كل شيء، وأبى إلا أن يساير موكب الحق، ولا يشذ عما جاء به الإسلام من مقارعة الظلم، ومقاومة أئمة الجور والطغيان مهما كلّف الثمن.

وقد حاول يحيىٰ البرمكي (رئيس حكومة هارون) أن يتوسّط في أمر اطلاق سراح الإمام من السجن، شرط أن يعتذر لهارون ويطلب منه العفو حتّى يخلّي سبيله، فأصرّ الإمام عليه السلام على الامتناع وعدم الاستجابة له.

هذا ما تميز به موقف الإمام عليه السلام بالشدّة والصمود مع هارون وغيره من ملوك عصره، وهو موقف أبيه وجده من قبله الأئمة المعصومين الذين عبّر عن موقفهم سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فقال:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي».

وهناك ظاهرة أخرى من ظواهر شخصيته الكريمة، وهي السخاء فقد اتفق المؤرخون أنه كان أندى الناس كفّاً، يشعر مع المحتاجين، ويعطي المعوزين، ويصل المحرومين في غلس الليل البهيم، حتى لا يعرفه أحد، ويكون عطاؤه في سبيل الله، وكانت تضرب بصرره المثل.

فكان الناس يقولون: «عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي الفقر» أنفق جميع ما يملكه على الضعفاء والمنكوبين، وأنقذ الكثيرين منهم من مرارة الفقر والحرمان.

والإمام الكاظم عليه السلام دائرة معارف كاملة، فقد أجمع الرواة انه كان يملك طاقات هائلة من العلم، ومخزوناً فكرياً غنياً جداً بمختلف المعارف. يقصده العلماء والرواة من كل حدب وصوب لينهلوا من نمير علمه، وكان لا يفتي بحادثة إلاّ بادروا إلى تسجيلها وتدوينها، فرووا عنه مختلف العلوم والأبحاث، وبصورة خاصة فيما يتعلّق بالتشريع الاسلامي.

«فقد زوّدهم بطاقات ندية منه، ويعتبر في هذا المجال أوّل من فتق باب الحلال والحرام من أئمة أهل البيت عليهم السلام»[1].

(١) الفقه الاسلامي في مدخل نظام المعاملات ص١٦٠

وما يجدر ذكره ما قام به الإمام الكاظم عليه السلام بعد أبيه الإمام الصادق عليه السلام من إدارة شؤون جامعته العلمية التي تعتبر أول مؤسسة ثقافية في الاسلام، وأوّل معهد تخرجت منه كوكبة من كبار العلماء، في طليعتهم أئمة المذاهب الاسلامية. فالإمام الشافعي يعتقد أن حبهم وسلوك منهجهم العدل.. وهم حبل الله المتين الذي ينير الطريق للمتمسك بهم إلى رضوان الله عز وجل وهو يرجو أن يظفره حبهم فقال:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي

والإمام أحمد بن حنبل سأله عبد الله ابنه عن التفضيل بين الخلفاء الراشدين فقال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، ثم سكت. فسأله عبد الله: يا أبت!! أين علي بن أبي طالب؟ قال: «هو من أهل البيت لا يقاس به هؤلاء»[1].

أما عن فلسفة الحكم عند الأمويين وعند العباسيين فكانت تهدف إلى الأثرة والاستغلال وإشباع الرغبات في الجاه والسلطان، ولم يؤثر عنهم أنهم قاموا بعمل ايجابي في صالح المجتمع الاسلامي، أو ساهموا في بناء الحركة الفكرية والاجتماعية على ضوء ما يهدف إليه الاسلام في بعث التطور الثقافي والإداري والاقتصادي لجميع شعوب الأرض. ففي هذا الجو السياسي والاجتماعي الصعب تميز موقف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالشدة والصرامة في شجب الظلم، وقول كلمة الحق، فكان من الأئمة اللامعين في علمه وعمله على نشر الثقافة الاسلامية، وابراز الواقع على حقيقته.

يضاف إلى قدراته الفذة التي لا تحصى: حلمه وعلمه وكظمه الغيظ وقد أجمع المؤرخون أنه كان يقابل الاساءة بالإحسان، والذنب بالعفو، شأنه شأن جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وقد قابل جميع ما لاقاه من أذى وظلم من الحاقدين عليه بالصبر والصفح الجميل حتى لقب بالكاظم، وكان ذلك من أشهر ألقابه.

وهكذا إذا استعرضنا مقوّمات الإمام عليه السلام الفذة وكل ما أثر عنه في ميادين السلوك والأخلاق، فانا نجده حافلاً بكل معاني الانسانية، ومقوّمات بناء الأمة الاسلامية، التي عسى أن ألمّ ببعض جوانبها المشرقة والخيرة والمعطاء.

---

(١) ينابيع المودة ج٢/ ٧٨.

الوليد المبارك

عاش الإمام الصادق عليه السلام مع زوجته حميدة[1] حياة بيتية هادئة حافلة بالمودّة والمسرّات. وفي فترات تلك المدة السعيدة عرض لها حمل وسافر الإمام أبو عبد الله إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فحمل زوجته معه للاطمئنان على صحتها في تلك الفترة. وبعد الانتهاء من مراسم الحج قفلوا راجعين إلى المدينة المنورة، فلما انتهوا إلى الأبواء[2] أحست حميدة بالطلق، فأرسلت خلف الإمام عليه السلام تخبره بالأمر، وكان عند ذلك يتناول طعام الغذاء مع جماعة من أصحابه، فلما وافاه النبأ السعيد قام مبادراً إليها، فلم يلبث قليلاً حتى وضعت حميدة سيّداً من سادات المسلمين، وإماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إنه يوم سعيد، يوم مشرق أشرقت به الدنيا بهذا المولود المبارك فكان باراً بالناس، عاطفاً على الفقراء منهم، لكنه كان أكثرهم عناءاً وأكثرهم محنة في سبيل الله.

بادر الإمام الصادق عليه السلام فتناول وليده الذي يأمل به أملاً باسماً فأجرى عليه

(١) حُمَيْدَة: وقيل ان اسمها نباته النفحات العنبرية ص١٥ مخطوط بمكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة، طبع مؤخراً.

(٢) الأبواء: قرية من اعمال الفرع بالمدينة، وبه قبر الزاكية آمنة بنت وهب أم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وقال ثابت اللغوي سميت الأبواء لتبوء السيول بها. راجع معجم البلدان ج١ ص٩٢.

مراسم الولادة الشرعيّة، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وما زالت هذه الطريقة تُحتذى عند جميع المسلمين المؤمنين.

لقد كانت أول كلمة طيّبة قرعت سمعه كلمة التوحيد التي تتضمن الإيمان بكل ما له من معنى.

عاد الإمام الصادق إلى أصحابه والبسمة تعلو ثغره، فبادره أصحابه قائلين: سرّك الله، وجعلنا فداك، يا سيدنا ما فعلت حميدة؟» فبشّرهم بمولوده المبارك قائلاً لهم: «لقد وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله».

أجل انه من أئمة أهل البيت المعصومين، وخير من برأ الله علماً وتقوى وصلاحاً في الدين، وهذا ما أحاط به الإمام الصادق أصحابه علماً بأنه الإمام الذي فرض الله طاعته على عباده قائلاً لهم:

«فدونكم، فوالله هو صاحبكم»[(١)].

وكانت ولادته في الأبواء سنة ١٢٨ هـ وقيل سنة ١٢٩هـ[(٢)] وذلك في أيام حكم عبد الملك بن مروان.

وقال الطبرسي رحمه الله: ولد أبو الحسن موسى عليه السلام بالابواء، منزل بين مكة والمدينة لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة[(٣)].

تكريم الوليد:

بعد فترة وجيزة ارتحل أبو عبد الله عن الأبواء متجهاً إلى يثرب وفور وصوله مدّ المائدة، وأطعم الناس ثلاثة أيام تكريماً لوليده المبارك (الكاظم)[(٤)] وبدأت وفود من شيعته تتوافد عليه لتهنئته بمولوده، وتشاركه في فرحته الكبرى.

---

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢٣٠ دلائل الامامة.
(٢) الطبقات الكبرى ج١ ص٣٣، وتهذيب التهذيب ج١٠ ص٣٤، وكشف الغمة ج٣ ص٢، والمناقب ج٤ ص٣٢٣.
(٣) أعلام الورى ص٢٨٦.
(٤) أعيان الشيعة ج٤، ص٩.

طفولته زاكية مميّزة:

تدرّج الإمام موسى بن جعفر في طفولة زاكية مميّزة، فتربّى في حجر الإسلام، ورضع من ثدي الإيمان، وتغذى من عطف أبيه الإمام الصادق، حيث أغدق عليه أشعة من روحه الطاهرة وأرشده الى عادات الأئمة الشريفة وسلوكهم النيّر، فالتقت في سنّه المبكر جميع عناصر التربية الإسلامية السليمة، حتى أحرز في صغره جميع أنواع التهذيب والكمال والأخلاق الحميدة، ومن شبّ على شيء شاب عليه. هذه الطفولة المميزة استقبلها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهو ناعم البال بحفاوة وتكريم خاص؛ فأبوه أغدق عليه عطفاً مستفيضاً، وحمل له من الحب ما لا يحمله لغيره، حيث قدّمه على بقية ولده، فاندفع قائلاً: «الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء»[1] ونتيجة هذا الحب الأبوي المميز أخذت جماهير المسلمين تقابل الإمام موسى بالعناية والتكريم، وجماهير الشيعة بصورة خاصة، لأنّهم يعتقدون أن مقام الإمامة كمقام النبوة، بعيداً عن المحاباة، سوى ما يتصل بتأييد الفضيلة والإشادة بالإيمان، وعلى ضوء ذلك أعلن الإمام الصادق حبّه الكبير ومودته الوثيقة لولده الحبيب لأنه رأى فيه ملامح صادقة عنه، ومواهب مبكرة، وعبقرية خاصة، تؤهله لمنصب الإمامة على أمّة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم.

أوصافه:

وصف رواة الأثر ملامح صورة الإمام موسى بن جعفر فقالوا: كان أسمر اللون[2]، وقالوا: كان ربع القامة، كثّ اللحية، حسن الوجه، نحيف الجسم[3].

أما عن صفاته الخلقية: فهو ابن الأوصياء، حاكى في هيبته ووقاره هيبة الأنبياء، فما رآه أحد إلاّ هابه وأكبره لجلالة قدره، وسموّ مكانته، وحسن سيرته، وكريم أخلاقه.

---

(١) الفصول المهمة ص١١٢.
(٢) الفصول المهمة ص١١٢.
(٣) أعيان الشيعة ج٤، ص٩.

ومرّة التقى به شاعر البلاط العباسي أبو نواس فانبهر بأنواره فانطلق يصوّر هيبته ووقاره بأبيات قال فيها:

إذا أبصرتك العين من غير ريبة ... وعارض فيك الشك أثبتك القلب[1]

ولو أن ركباً أمموك لقادهم ... نسيمك حتى يستدل بك الركب

جعلتك حسبي في أموري كلها ... وما خاب من أضحى وأنت له حسب

ولا يخفى ان هذه الأبيات كانت يقظة من يقظات الضمير، ونسمة علوية من نسيمات الروح، ذلك أن أبا نواس الذي كان يعيش على موائد بني العباس، والذي قضى معظم أيام حياته في اللهو والمجون، قد انبرى الى هذا المديح العاطر في الوقت الذي كان يمدح أهل البيت ينال عقوبة كبرى قد تؤدي به الى الموت! لكن مثالية الإمام وواقعيته التي لا ندّ لها في عصره، قد سيطرت على روح الشاعر العباسي وأنسته النتائج.

كنيته وألقابه:

كان يكنّى بعدة أسماء أشهرها: أبو الحسن، قال الشيخ المفيد: كان يكنّى أبا إبراهيم، وأبا الحسن، وأبا علي، ويعرف بالعبد الصالح[2].. وقال ابن الصباغ المالكي: أما كنيته فأبو الحسن، وألقابه كثيرة أشهرها: الكاظم، ثم الصابر، والصالح، والأمين[3]، وألقابه تدل على مظاهر شخصيته، ودلائل عظمته، وهي عديدة منها: الزاهر، لأنه زهر بأخلاقه الشريفة، وكرمه الموروث عن جدّه الرسول الأكرم ﷺ.

قال ابن شهرآشوب عند ذكره لألقابه: «.. والزاهر وسمي بذلك لأنه زهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضيء التام»[4].

(١) المناقب ج٤، ص٣١٨.

(٢) الإرشاد ص٢٧٠.

(٣) الفصول المهمة ص٢١٤.

(٤) المناقب ج٢، ص٢١٢.

والكاظم: لقب بذلك لما كظمه عما فعل به الظالمون من التنكيل والإرهاق. . . ويقول ابن الأثير «إنه عرف بهذا اللقب لصبره ودماثة خلقه، ومقابلته الشرّ بالإحسان»[1].

والصابر: لأنه صبر على الخطوب والآلام التي تلقاها من حكام الجور والطغاة، الذين قابلوه بجميع ألوان الإساءة والمكروه[2].

والسيّد: لأنه من سادات المسلمين، وإمام من أئمتهم.

والوفيّ: لأنه أوفى إنسان في عصره، فقد كان وفيّاً بارّاً بإخوانه وشيعته، وبارّاً حتى بأعدائه والحاقدين عليه.

ذو النفس الزكية: لقّب بهذا اللقب اللطيف لصفاء ذاته، ونقاوة سريرته البعيدة كل البعد عن سفاسف المادة، ومآثم الحياة، نفس أبيّة زكيّة، طاهرة، كريمة، سمت وعلت حتى قلَّ نظيرها.

باب الحوائج: هذا اللقب كان من أشهر ألقابه ذكراً، وأكثره شيوعاً، انتشر بين العام والخاص، حتى أنه ما أصاب أحدهم مكروه إلاّ فرّج الله عنه بذكره الإمام الكاظم، وما استجار بضريحه أحد إلا قضيت حوائجه، ورجع مثلوج القلب، مستريح الضمير مما ألمَّ به من طوارق الزمن التي لا بدَّ منها.

وقد آمن بذلك جمهور المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

يقول أبو علي الخلال شيخ الحنابلة وعميدهم الروحي: «ما همَّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر إلا سهَّل الله تعالى لي ما أحبّ»[3].

وقال الإمام الشافعي: «قبر موسى الكاظم الترياق المجرّب»[4].

كان الإمام موسى الكاظم في حياته ملجأ لعموم المسلمين، كما كان كذلك

---

(١) نفس المصدر ص٢١٢، ومختصر تاريخ العرب ص٢٠٩.
(٢) الفصول المهمة ص٢١٤.
(٣) تاريخ بغداد ج١ ص١٢٠.
(٤) تحفة العالم: ٢/٢٢.

بعد موته حصناً منيعاً لمن استجار به من عموم المسلمين، لأن الله سبحانه وتعالى عزَّ اسمه منحه حوائج المسلمين المستجيرين بضريحه الطاهر في بغداد.

وقد روى الخطيب البغدادي قضية كان فيها شاهد عيان[1]، عندما شاهد امرأة مذهولة، مذعورة، فقدت رشدها لكثرة ما نزل بها من الهموم، لأنها أخبرت أن ولدها قد ارتكب جريمة، وألقت عليه السلطة القبض وأودعته في السجن ينتظر الحكم القاسي والظالم. فأخذت تهرول نحو ضريح الإمام مستجيرة به، فرآها بعض الأوغاد، الذي لا يخلو الزمان منهم، فقال لها: إلى أين؟

- إلى موسى بن جعفر، فإنّه قد حُبِس ابني.

فقال لها بسخرية واستهزاء: «إنه قد مات في الحبس».

فاندفعت تقول بحرارة بعد أن لوَّع قلبها بقوله:

«اللهمَّ بحق المقتول في الحبس أن تريني القدرة»

فاستجاب الله دعاءها، وأطلق سراح ابنها، وأودع ابن المستهزىء بها في ظلمات السجن بجرم ذلك الشخص.

فالله سبحانه وتعالى القادر العليم والقاهر العظيم قد أراها القدرة لها ولغيرها، كما أظهر كرامة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، فما خاب من دعاهم، وما فشل من استجار بهم. ثم يروي الخطيب البغدادي عن محنة ألمّت به فاستجار بالإمام موسى وكشف عنه الهمّ والغمّ. فيقول: «وأنا شخصيّاً قد ألمّت بي محنة من محن الدنيا كادت أن تطوي حياتي، ففزعت إلى ضريح موسى بن جعفر بنيّة صادقة، ففرّج الله عنّي، وكشف ما ألمّ بي.

ولا يَشِكّ في هذه الظاهرة التي اختصَّ بها الإمام إلا من ارتاب في دينه وإسلامه.

لقد آمن جميع المسلمين الأبرار بالأئمة الأطهار منذ فجر التاريخ ولم يزالوا

(١) المصدر نفسه.

يعتقدون اعتقاداً راسخاً في أن أهل البيت عليهم السلام لهم المقام الكريم عند الله، وانه يستدفع بهم البلاء، وتستمطر بهم السماء.

روى الكليني عن محمد بن جعفر الكوفي، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: تقول ببغداد: «**السلام عليك يا وليّ الله، السلام عليكَ يا حجة الله، السلام عليكَ يا نور الله في ظلمات الأرض، السلام عليك يا من بدا لله في شأنه، أتيتك عارفاً بحقك معادياً لأعدائك فاشفع لي عند ربّك**» وادع الله وسلْ حاجتك، قال: وتسلّم بهذا على أبي جعفر عليه السلام [(١)].

ولا ننسى قصيدة الفرزدق العصماء التي ندرّسها لطلّابنا في المدارس والجامعات التي مدح بها الإمام زين العابدين وقال فيها:

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويستزادُ به الاحسان والنعم

فالله عزّ وجلّ منح أهل البيت جميل ألطافه، وخصّهم بالمزيد من كراماته، أحياءاً وأمواتاً.

ونذكر هنا كوكبة من الشعراء والأدباء قد أثقلت كواهلهم كوارث الدهر ففزعوا الى ضريح الإمام متوسلين به الى الله تعالى في رفع محنهم، وكشف ما ألمّ بهم من المكروه، ففرّج الله عنهم ولو أردنا أن نذكر ما أثر عنهم في ذلك لبلغ مجلداً ضخماً.

لكنا نذكر بعضاً منهم الحاج محمد جواد البغدادي الذي سعى الى ضريح الإمام في حاجة يطلب قضاءها فقال:

يا سميَّ الكليم جئتك أسعى ... نحو مغناك قاصداً من بلادي
ليس تُقضى لنا الحوائج إلا ... عند باب الرجاء جد الجواد[(٢)]

(١) الكافي ج٤، ص٥٧٨.
(٢) باقر شريف القرشي حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص٥٢ عن ديوان السيد مهدي آل بحر العلوم مخطوط بمكتبة العلامة السيد صادق آل بحر العلوم.

فجاء عباس البغدادي وخمسها بقوله:

لــم تــزل لــلأنــام تحســن صنعــاً وتجيــر الــذي أتــاك وتــرعــى
وإذا ضــاق الفضــا بــي ذرعــاً يــا سمــيّ الكليــم جئتــك أسعــى
والهــوى مركبــي وحبّــك زادي
أنــت غيــث للمجــدبيــن ولــولا فيـض جـدواكـم الـوجـود اضمحـلا
قسمــاً بــالــذي تعــالــى وجــلا ليــس تُقضــى لنــا الحــوائــج إلا
عنـد بـاب الرجــاء جــد الجــواد

وممن نظم في ذلك الشاعر المرحوم السيد عبد الباقي العمري فقال:

لــــذ واستجــــر متــــوســــلاً إن ضــــاق أمــــرك أو تعسّــــر
بــأبــي الــرضــا جــد الجــوا د محمــد مــوســى بــن جعفــر[1]

نقش خاتمه:

يدل نقش خاتمه على مدى تعلّقه بالله عزّ وجلّ، ومدى انقطاعه إليه سبحانه وتعالى فكان: «الملك لله وحده».

ويا ليت مجتمع عصره ومجتمع عصرنا اليوم يعقلون هذا الشعار، ويعملون به، لزال الطمع والجشع وحب التملك لهذه الدنيا الفانية، ولضعف وهج الأنانية، ووهنت جاذبيتها في نفوسهم.

أبناؤه:

شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، أنجب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ذرية طاهرة من نسل طيّب، فكانوا من خيرة أبناء المسلمين في عصره يتصفون بالتقوى والورع والخير والصلاح والإبتعاد عن مآثم الحياة وأباطيلها.

لقد أنشأهم الإمام نشأة دينية خالصة، ووجّههم وجهة صحيحة سليمة،

(١) المصدر نفسه.

وسكب في نفوسهم الإيمان بالله، والتفاني في سبيل العقيدة، والعمل على قول كلمة الحق، والقيام بها مهما كلّف الثمن. قال ابن الصباغ: «إن لكل واحد من أولاد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلاً مشهوداً»[1].

اختلف النسابون في عدد أولاد الإمام موسى الكاظم اختلافاً كثيراً منهم من قال: ثلاثة وثلاثون الذكور منهم ١٦ والإناث ١٧.

ومنهم من قال: سبعة وثلاثون الذكور ١٨ والإناث ١٩.

ومنهم من قال: ثمانية وثلاثون الذكور ٢٠ والإناث ١٨[2].

وقال الطبرسي: كان له سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وأنثى: علي بن موسى الرضا عليه السلام، وإبراهيم والعباس والقاسم من أمهات متعددة.

وأحمد، ومحمد، وحمزة من أم واحدة.

وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسن من أم واحدة.

وعبدالله، وإسحاق، وعبيدالله، وزيد، والحسن، والفضل، وسليمان من أمهات متعددة.

وفاطمة الكبرى، وفاطمة الصغرى، ورقية، وحكيمة، وأم أبيها، ورقية الصغرى، وكلثم، وأم جعفر، ولبانة، وزينب، وخديجة وعلية، وآمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأم سلمة، وميمونة، وأم كلثوم من أمهات متعددة.

وكان أحمد بن موسى كريماً ورعاً وكان الإمام يحبّه فوهب له ضيعته المعروفة باليسيرية، ويقال أنه أعتق ألف مملوك.

وكان محمد بن موسى عليه السلام شجاعاً كريماً، وتقلّد الإمرة على اليمن في عهد المأمون من قبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الذي بايعه أبو السرايا في الكوفة ومضى إليها ففتحها وأقام بها مدة

(١) الفصول المهمة ص٢٥٦.
(٢) راجع الفصول المهمة ص٢٥٦ وكشف الغمة ص٢٤٣، وتذكرة الخواص ص٨٤.

إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان، وأخذ الأمان من المأمون.

ولكل واحد من أبناء أبي الحسن موسى عليه السلام فضل ومنقبة وكان الرضا مشهوراً بالتقدم ونباهة القدر، وعظم الشأن، وجلالة المقام بين الخاص والعام[1].

إخوانه عليهم السلام:

لقد ذكرت عن إخوانه عليه السلام في كتاب «الإمام الصادق عطرة النبوة ومنهج حياة» في باب أولاد الإمام الصادق، ولكن سوف نورد باختصار عنهم حتى لا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم العطر.

١ ـ **إسماعيل بن جعفر عليه السلام**: كان أكبر أولاده، وكان الإمام الصادق يحبّه حباً جمّاً. قال الشيخ المفيد: انه مات في حياة أبيه بالعريض، وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع؛ روي أن أبا عبدالله حزن عليه حزناً شديداً، وأمر بوضع سريره على الأرض عدة مرات قبل دفنه، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، وإزالة الشبهة عنهم في حياته[2].

٢ ـ **عبدالله بن جعفر عليه السلام**: كان أكبر إخوانه بعد إسماعيل.

٣ ـ **علي بن جعفر عليه السلام**: هو المحدث المشهور صاحب المسائل، عن أخيه موسى عليه السلام، عاش دهراً طويلاً حتى أدرك الإمام الجواد عليه السلام.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي رضوان الله عليه: علي بن جعفر أخو موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام، جليل القدر، ثقة، له كتاب المناسك ومسائل لأخيه موسى الكاظم بن جعفر عليه السلام سأله عنها[3].

٤ ـ **إسحاق بن جعفر عليه السلام**: الملقب بالمؤتمن، زوج السيّدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام صاحبة الروضة المشهورة بالقاهرة

---

(١) أعلام الورى ص٣٠١.
(٢) الإرشاد ص٢٦٧.
(٣) الفهرست ص١١٣.

المعروفة بالست نفيسة؛ سافر مع زوجته الى مصر وأقام بالفسطاط.

قال الشيخ المفيد: كان إسحق بن جعفر من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد، قد روى عنه الناس الحديث والآثار وكان ابن كاسب يقول إذا حدث عنه: حدَّثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر وكان اسحق يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليه السلام [1].

٥ ـ **عباس بن جعفر**: قال الشيخ المفيد: كان العباس بن جعفر رحمه الله فاضلاً نبيلاً [2].

٦ ـ **محمد بن جعفر** عليه السلام: من الزهّاد والعبّاد، كان يسكن مكة ويروي بها الأحاديث، وفي أيام ظهور الفتنة بين الأمين والمأمون خرج في مكة وادعى الخلافة، أرسل اليه المأمون جيشاً بإمارة الجلودي، فلما وصل جيش المأمون مكة خلع نفسه وبايع المأمون. ثم سافر الى خراسان وأقام بمرو، ولما وصل المأمون جرجان قتله بالسم وكان قبره معروفاً بجرجان في القرن الرابع الهجري.

بوابه: هو محمد بن الفضل، وفي المناقب: المفضل بن عمر.

شاعره: السيد الحميري.

ملوك عصره:

١ ـ المنصور ٧٥٤م ـ ٧٧٥م.

٢ ـ المهدي: ٧٧٥م ـ ٧٨٥م.

٣ ـ الهادي: ٧٨٥م ـ ٧٨٦م.

٤ ـ هارون الرشيد: ٧٨٦م ـ ٨٠٩م.

مدة إمامته: خمس وثلاثون سنة.

---

(١) الإرشاد ص٤٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

النص عليه بالامامة:

أجمعت الروايات بالنص عليه بالامامة من الله تعالى، كخبر اللوح، وان الامام لا يكون إلا الأفضل في العلم والزهد والعمل، وأنه معصوم كعصمة الأنبياء عليهم السلام.

والنصوص المروية على إمامته عن أبيه أبي عبد الله الصادق عليه السلام قد رواها شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصته، وثقاته الفقهاء الصالحون رضوان الله عليهم.

قال محمد بن الوليد: سمعت علي بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول لجماعة من خاصته، وأصحابه: استوصوا بابني موسى خيراً، فإنه أفضل ولدي، ومن أخلّفه من بعدي، وهو القائم مقامي، والحجّة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي[1].

وروى منصور بن حازم، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام بأبي أنت وأمي، إن الأنفس يغدى عليها ويراح، فإذا كان ذلك فمن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان ذلك فهو صاحبكم وضرب على منكب أبي الحسن الأيمن، وهو فيما أعلم يومئذٍ خماسي، وعبد الله بن جعفر جالس معنا»[2].

وقال سليمان بن خالد: دعا أبو عبد الله أبا الحسن يوماً، ونحن عنده، فقال لنا: عليكم بهذا، فهو والله صاحبكم بعدي[3].

ومن الغريب ما يدعيه غير الشيعة من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات ولم يوص إلى أحد من بعده يقوم مقامه ويسد فراغه، فترك الأمة من بعده بلا إمام يدير أمرها، ويجمع شملها، ويرشد ضالها، ويقيم لها الحدود، ويقوّم الاعوجاج، ويوضح السنن. وقد أجمعت الأمة على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يستخلف على المدينة إذا أراد سفراً، ولا يرسل جيشاً حتى يعيّن له قائداً، وربما عيّن لجيوشه أكثر من قائد[4].

---

(١) الارشاد ص٣١٠.

(٢) نفسه ص٢٧٠.

(٣) أعيان الشيعة ج٣، ص١٣.

(٤) أئمتنا لعلي محمد علي دخيل الذي يروي ان في حرب مؤتة أقر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبي =

ولو أنصف الناس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لاكتفوا بنص الغدير وحده ـ دون غيره من النصوص الكثيرة ـ فقد شهد جل المسلمين بيعة يوم الغدير، وشاهدوا بأم أعينهم المراسم التي أجراها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم، وما نزل من القرآن الكريم.

ومن العجيب أيضاً أن تنسى الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ذلك اليوم والعهد قريب، والرسول صلى الله عليه وآله بعد لما يقبر، والشهود حضور.

وكيفما كان فالامام أمير المؤمنين عليه السلام وحده المنصوص عليه بالخلافة من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وكذلك أولاده عليهم أزكى الصلاة وأفضل السلام.

وقد التزم الأئمة عليهم السلام في نص بعضهم على بعض، السابق على اللاحق والوالد على ولده، إقامة للحجة، وإعذاراً للأمة[1].

هارون الرشيد يعترف بامامة الكاظم عليه السلام:

قال المأمون: كنت أجرأ ولد أبي عليه، وكان المأمون متعجباً من إكبار أبيه لموسى بن جعفر وتقديره له. قال: قلت لأبي: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه؟ ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟

قال: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده فقلت: يا أمير المؤمنين، أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً، والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، فإن الملك عقيم[2].

= طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة وجعل القيادة لجعفر فإن أصيب فلزيد، فإن أصيب فلعبد الله.

(١) نفس المصدر ١/ ١٠.

(٢) قادتنا كيف نعرفهم ج٦، ص٣٠٥ عن عيون أخبار الرضا ج١ ص٩١.

مناقبه وفضائله عليه السلام :

مناقب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بحر زاخر لا يمكن حصره أو الخوض فيه إلى النهاية، لكننا سوف نذكر بعض هذه المناقب الكريمة على سبيل الذكر لا الحصر؛ من هنا كان قول محمد بن صلحة :

«أما مناقبه فكثيرة، ولو لم يكن منها إلا العناية الربانية لكفاه ذلك منقبة»[1] .

١ ـ العلم :

فقد روى عنه العلماء أكثر فنون العلم من علم الدين وغيره مما ملأ بطون الكتب، وألّفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة المروية عنهم بالأسانيد المتصلة .

جاء في تحف العقول عن الحسن بن علي بن شعبة قال أبو حنيفة[2] :

حججت في أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز انتظر إذنه إذ خرج صبي فقلت : يا غلام ممن المعصية؟ فقال : ان السيئات لا تخلو من احدى ثلاث :

أ ـ اما ان تكون من الله وليست منه فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب .

ب ـ واما ان تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف .

ج ـ وإما أن تكون من العبد وهي منه، فان عفا فكرمه وجوده، وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته .

قال أبو حنيفة فانصرفت ولم ألق أبا عبد الله، واستغنيت بما سمعت .

قال الشيخ المفيد في الارشاد عن أبي الحسن موسى عليه السلام : أكثر الناس في

(١) مطالب السؤول ص٢٢٥ .

(٢) راجع في رحاب أئمة أهل البيت ج٢، ص٨٤ .

الرواية عنه، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله، وأحسنهم صوتاً بتلاوة القرآن.

وقال علي بن شعبة الحراني في تحف العقول: سأل رجل موسى بن جعفر عن الجواد فقال: إن كنت تسأل عن المخلوقين فان الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل من بخل بما افترض الله، وإن كنت تعني الخالق، فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، أعطاك لأنه إن أعطاك ما ليس لك وان منعك منعك ما ليس لك.

٢ ـ الحلم:

جاء في مقاتل الطالبيين قال أبو الفرج بسنده عن يحى بن الحسن: كان موسى بن جعفر إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنانير وكانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتين إلى المائة دينار. وكانت صرار موسى مثلاً شائعاً بين الناس.

وجاء في الارشاد للشيخ المفيد: أخبرني الشريف أبو محمد الحسن ن محمد عن جده عن غير واحد من أصحابه ومشايخه أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذيه ويشتم علياً. فقال له بعض أصحابه: دعنا نقتله. فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم أشد الزجر. وسأل عن العمري فذكر له انه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه في مزرعته فوجده فيها، فدخل المزرعة بحماره فصاح به العمري لا تطأ زرعنا! فتوطأه بالحمار حتى وصل إليه فنزل فجلس عنده، وضاحكه وقال له: كم غرمت في زرعك؟ قال له: مائة دينار. قال الإمام: فكم ترجو أن تصيب؟ قال: أنا لا أعلم الغيب. قال: إنما قلت لك كم ترجو إن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار فأعطاه الإمام عليه السلام ثلاثمائة دينار. وقال: هذا زرعك على حاله فقام العمري وقبل رأسه وانصرف. فراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته. فوثب أصحابه فقالوا له: ما قصتك؟ قال كنت تقول خلاف هذا فخاصمهم وشاتمهم وجعل يدعو لابي الحسن موسى كلما دخل وخرج، فقال أبو الحسن موسى

لحاشيته الذين أرادوا قتل العمري: أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار.

٣ ـ التواضع ومكارم الأخلاق:

مر برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلّم عليه، ونزل عنده وحادثه طويلاً، ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت له فقيل له: يا ابن رسول الله أتتنزل إلى هذا ثم تسأله عن حوائجه وهو إليك أحوج؟ فقال عليه السلام: عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم، وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر يرد من حاجتنا إليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه، ثم قال:

نواصل من لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديق[1]

وروي عن الحسن بن علي بن حمزة عن أبيه قال: رأيت أبا الحسن يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه في العرق.

فقلت جعلت فداك، أين الرجال؟!

قال: يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي.

فقلت: ومن هو؟

فقال؛ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين[2].

٤ ـ عبادته عليه السلام:

لقد شهدت له ألقابه على حسن عبادته، وشدة خوفه من الله تعالى، فمن زين المجتهدين، إلى العبد الصالح، والنفس الزكيّة، والصابر، إلى غير ذلك من الألقاب المشيرة إلى صفاته الموقرة، وعبادته المتواصلة؛ ولم يحدثنا التاريخ عن مسجون غير الإمام موسى بن جعفر كان يشكر الله تعالى على ما أتاح له من نعمة

(١) تحف العقول ص٣٠٥.
(٢) بحار الأنوار ج١١، ص٢٦٦.

التفرغ للعبادة بين جدران السجن، ويحسب ذلك نعمة، وجب بها عليه الشكر.

قال ابن الصباغ المالكي: إن شخصاً من بعض العيون التي كانت عليه في السجن، رفع إلى عيسى بن جعفر أنه سمعه يقول؛ في دعائه: **«اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك وقد فعلت، فلك الحمد»**[1].

وعن أبي حنيفة انه دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ادعوا لي موسى، فدعوه، فقال له في ذلك. فقال: نعم يا أبه، إن الذي كنت أصلّي إليه كان أقرب إليّ منهم، يقول الله تعالى: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** فضمه أبو عبد الله إلى نفسه ثم قال: بأبي أنت وأمي يا مودع الأسرار[2].

وجاء في كشف الغمة: كان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع وكان إذا قرأ القرآن يحزن ويبكي ويبكي السامعون لتلاوته[3]. ولكثرة سجوده كان له غلام يقص اللحم من جبينه، وعرنين أنفه، فقد نظم بعض الشعراء ذلك بقوله:

طالت لطول سجود منه ثفنته — فقرحت جبهة منه وعرنينا
رأى فراغته في السجن منيته — ونعمة شكر الباري بها حينا[4]

٥ ـ كرمه وصدقاته:

من أبرز خصائص أئمة أهل البيت عليهم السلام البر والاحسان إلى الناس كافة، وبصورة خاصة الطبقة الضعيفة، فكانوا يخصّونهم بجزيل فضلهم، ونبل عطاياهم، حتى كان من منهجهم في الليالي المظلمة هو التطواف على بيوت الفقراء والمساكين بالأغذية والمال وهم لا يعرفونهم.

قال ابن الصباغ المالكي: كان موسى الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه،

---

(١) الفصول المهمة ص٢٢٢.
(٢) المناقب ج٢، ص٣٧٢.
(٣) كشف الغمة ص٢٤٧.
(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر.

وأعلمهم وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً وكان يتفقد فقراء المدينة ويحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم والنفقات، ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك، ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته[١].

وقال محمد بن عبد الله البكري: قدمت المدينة أطلب ديناً فأعياني، فقلت لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى فشكوت إليه، فأتيته في ضيعته، فذكرت له قضيّتي، فدخل ولم يقم إلاّ يسيراً حتى خرج إلي، فقال لغلامه: اذهب، ثم مدّ يده إليّ فرفع إليّ صرة فيها ثلاثمائة دينار، فركبت دابتي وانصرفت[٢].

كما رووا عن عيسى بن محمد بن مغيث القرطبي قال: زرعت بطّيخاً وقثاءاً وقرعاً في موضع بالجوانية، على بئر يقال لها (أم عظام) فلما قرب الخير، واستوى الزرع بغتني الجراد فاتى على الزرع كله، وكنت غرمت على الزرع وفي ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً، فبينما أنا جالس إذ طلع موسى بن جعفر بن محمد، فسلّم ثم قال: أي شيء حالك؟ فقلت: أصبحت كالصريم، بغتني الجراد فأكل زرعي.

قال عليه السلام وكم غرمت فيه؟ فقلت: مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فقال عليه السلام: يا عرفة زن لأبي المغيث مائة وخمسين ديناراً، فربحك ثلاثون ديناراً والجملان. فقلت يا مبارك ادخل وادع لي فيها بالبركة. فدخل ودعا، وحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تمسّكوا ببقايا المصائب؛ ثم علقت عليه الجملين وسقيت، فجعل الله فيها البركة وزكت، فبعث منها بعشرة آلاف[٣].

وقال علي بن عيسى الأربلي[٤]:

«مناقب الكاظم وفضائله ومعجزاته الظاهرة، ودلائله وصفاته الباهرة تشهد انه افترع قبة الشرف وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها، وذللت له كواهل السيادة فركبها وامتطاها، وحكم في غنائم المجد فاختار صفاياها واصطفاها.

(١) الفصول المهمة ص٢١٩.
(٢) أعيان الشيعة ج٣ ص٤٢ وتاريخ بغداد ج١٣، ص٢٨.
(٣) كشف الغمة ص٢٤٣ وتاريخ بغداد ج١٣، ص٢٩.
(٤) كشف الغمة ج٢، ص٢٥٣.

طالت أصوله، فسمت إلى أعلى رتب الجلال، وسمت فروعه فعلت إلى حيث لا تنال، يأتيه المجد من كل أطرافه، ويكاد الشرف يقطر من أعطافه.

فكان كما قال الشاعر:

أتـــاه المجـــد مـــن هنـــا وهنـــا وكـــان لـــه كمجتمـــع السيـــول

السحاب الماطر قطرة من كرمه، والعباب الزاخر نغبة من نغبه، واللباب الفاخر من عد من عبيده وخدمه، كأن الشعرى علّقت في يمينه ولا كرامة للشعرى العبور، وكأن الرياض أشبهت خلائقه ولا نعمى لعين الروض الممطور.

وهو عليه السلام غرة في وجه الزمان وما الغرر والحجول، وهو أضوأ من الشمس والقمر، وهذا جهد من يقول: بل هو والله أعلى مكانة من الأوصاف وأسمى، وأشرف عرفاً من هذه النعوت وأنمى، فكيف تبلغ المدائح كنه مقداره، أو ترتقي همة البليغ إلى نعت فخاره، أو تجري جياد الأقلام في جلباب صفاته، أو يسري خيال الأوهام في ذكر حالاته؟

كاظم الغيظ، وصائم القيظ، عنصره كريم، ومجده حادث وقديم، وهو بكل ما يوصف به زعيم، الآباء عظام، والأبناء كرام، والدين متين، والحق ظاهر مبين، والكاظم في أمر الله قوي أمين، وجوهر فضله غالٍ ثمين وواصفه لا يكذب ولا يمين، قد تلقى راية الإمامة باليمين، فسما عليه السلام إلى الخيرات منقطع القرين، وأنا أحلف على ذلك فيه وفي آبائه وأبنائه عليهم السلام باليمين.

كم له من فضيلة جليلة، ومنقبة بعلو شأنه كفيلة، وهي وإن بلغت الغاية بالنسبة إليه قليلة، ومهما عد من المزايا والمفاخر فهي فيهم صادقة، وفي غيرهم مستحيلة. إليهم ينسب العظماء، وعنهم يأخذ العلماء، ومنهم يتعلم الكرماء، وهم الهداة إلى الله فبهداهم اقتده وهم الأدلاء على الله فلا تحل عنهم ولا تنشده، وهم الأمناء على أسرار الغيب، وهم المطهرون من الرجس والعيب، وهم النجوم الزواهر في الظلام، وهم الشموس المشرقة في الأيام، وهم الذين أوضحوا شعائر الإسلام وعرفوا الحلال من الحرام، من تلق منهم تقل لاقيت سيداً، ومتى عددت منهم واحداً كان بكل الكمالات منفرداً، ومن قصدت منهم حمدت قصدك مقصداً،

ورأيت من لا يمنعه جوده اليوم أن يجود غداً، ومتى عدت إليه عاد كما بدا، المائدة والانعام يشهدان بحالهم، والمائدة والأنعام يخبران بنوالهم، فلهم كرم الأبوة والنبوة، وهم معادن الفتوة والمروة، والسماح في طبائعهم غريزة، والمكارم لهم شنشنة ونحيزة، والأقوال في مدحهم وإن طالت وجيزة، بحور علم لا تنزف، وأقمار عز لا تخسف وشموس مجد لا تكسف. مدح أحدهم يصدق على الجميع وهم متعادلون في الفخار فكلهم شريف رفيع. بذوا الأمثال بطريفهم وتالدهم ولا مثيل، ونالوا النجوم بمفاخرهم ومحامدهم فانقطع دون شأوهم العديل ولا عديل. فمن الذي ينتهي في السير إلى أمدهم وقد سد دونه السبيل، أمن لهم يوم كيومهم أو غدٍ كغدهم، ولو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم صلى الله عليه وآله صلاة نامية الأمداد، باقية على الآباد مدخرة ليوم المعاد، إنه كريم جواد[1].

كل ما صدر عن الأئمة المعصومين عليهم السلام من وصايا ورسائل وخطب وشعر كان في سبيل الدعوة الاسلامية والحث على طاعة الله تعالى والدعوة الى التحلّي بمكارم الأخلاق والتمسك بالفضائل. فكانوا عليهم السلام يعملون على تثقيف الأمة الإسلامية وتعليمها وتوعيتها، ويبذلون أقصى الجهود في تقويمها وهدايتها الى الطريق السليم.

وموضوع الشعر كان ينشد عند عامة الناس في التشبيب واللهو والمجون، أما أهل البيت فكانوا ينظمونه في الدعوة الى الخير والعقيدة الإسلامية، والأخلاق، والتحلّي بالفضائل النبيلة. وهذه هي الفوارق التي تميزهم عن غيرهم من الشعراء الآخرين.

جاء في البحار أنه دخل عليه السلام وهو طفل على أبيه الإمام الصادق عليه السلام وبيده لوح فقال له أبوه يا بني أكتب ما سأمليه عليك:

تنح عن القبيح ولا ترده.

ثم قال: اجزه.

فقال عليه السلام: ومن أوليته حسناً فزده.

(١) كشف الغمة ج٢، ص٢٤٦.

فتابع الإمام الصادق القول :

ستلقى من عدوك كل كيد .

فقال الإمام الطفل عليه السلام : إذا كان العدو فلا تكده .

فقال : «ذرية بعضها من بعض»[(١)] .

وقال عليه السلام أيضاً في أفعال العباد :

لم تخل أفعالنا التي نذم بها ... احدى ثلاث حين نبديها

إما تفرّد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللوم عنا حين نأتيها

أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما كان يلحقنا من لائم فيها

أو لم يكن لآلهي في جنايتها ... ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها[(٢)]

وقال عليه السلام في اللجوء الى الله :

أنت ربي إذ ظمئت إلى الماء ... وقوتي إذا أردت الطعاما[(٣)]

والإمام الكاظم لم يكن شاعراً محترفاً بل كان نظمه للشعر قليلاً جداً. ذكر الشيخ المفيد أبياتاً له تلاها الإمام الرضا عليه السلام على المأمون ونسبها عليه السلام إلى أبيه :

كن للمكاره بالعزاء مدافعاً ... فلعل يوماً لا ترى ما تكره

فلربما استتر الفتى فتنافست ... فيه العيون وانه لمموه

ولربما ابتسم الوقور من الأذى ... وضميره من حره يتأوّه[(٤)]

كان عليه السلام يعلم كل شيء يدور حوله ولكن عيون المراقبين ترصده دائماً فلم يكن له إلا أن يموه ما يقول حذراً فيبتسم من الأذى المحدق به وضميره من حره يتأوه في صدره. وذكر ذو النون المصري أنه اجتاز أثناء سياحته على قرية تسمى

(١) البحار ج١١ ص٢٦٤ والبحار ج١١ ص١٤٧ .
(٢) البحار ج١١ ص٢٨٥ .
(٣) تذكرة الخواص ص١٩٦ .
(٤) الأمالي : ص١٥٠ .

بتدصر فرأى جداراً قد كتبت عليه هذه الأبيات :

أنـا ابـن منـى والمشعـريـن وزمـزم ومكــة والبيــت العتيــق المعظــم
وجـدّي النبـي المصطفـى وأبـي الـذي ولايتــه فــرض علــى كــل مسلــم
وأمــي البتــول المستضــاء بنــورهــا إذا مـا عـددنـاهـا عـديلـة مـريـم
وسبطـا رســول الله عمــي ووالــدي وأولاده الأطهـــار تسعـــة أنجـــم
متــى تتعلــق منهــم بحبــل ولايــة تفـز يـوم يجـزى الفـائـزون وتنعـم
أئمــة هـــذا الخلـــق بعـــد نبيهـــم فـإن كنـت لـم تعلـم بـذلـك فـاعلـم
أنـا العلـوي الفـاطمـي الـذي ارتمـى بـه الخـوف والأيـام بـالمـرء تـرتمـي
فـالمحـت بـالـدار التـي أنـا كـاتـب عليهـا بشعـري فـاقـران شئـت والمـم
وسلــم لأمــر الله فــي كــل حــالــة فليـس أخـو الإسـلام مـن لـم يسلـم

قال ذو النون فعلمت انه علوي قد تخفى عن السلطة في خلافة هارون، واحتمل المجلسي ان تكون هذه الأبيات للإمام الكاظم عليه السلام ذهب إلى ذلك المكان وكتبها لإتمام الحجة على أعدائه[1].

وما نراه ان الإمام عليه السلام لم يتخف ولم يتهرّب من السلطة في يوم من ا لأيام بل كان في يثرب مقيماً ينكر على هارون وعلى غيره من ملوك عصره بكل جرأة وإقدام، وهذا الذي أوصل به الى السجن.

ما قاله العلماء والعظماء في فضائله

أجمع المسلمون على اختلاف مذاهبهم على أفضلية أئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، وأعلميتهم، ورفعة منزلتهم، وسموّ مقامهم وقرب مكانتهم من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما تنافسوا في ذكر الكتابة عنهم وبيان سيرهم، وذكر أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيهم.

ولا غرو في ذلك بعد أن قرنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن الكريم ـ كما في حديث الثقلين ـ ووصفهم بسفينة نوح التي من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق

(١) الأمالي: ص١٥٠.

وهوى . . . إلى كثير من الأحاديث التي له ﷺ في بيان فضلهم، والتنويه بسموّ مقامهم.

١ ـ قال هارون الرشيد لابنه المأمون: «هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده»[١].

٢ ـ وقال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني:

هو الإمام الكبير القدر، الأوحد، الحجة، الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين (كاظماً) وهو المعروف عند أهل العراق بـ(باب الحوائج) لأنه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجة قط . . . له كرامات ظاهرة، ومناقب باهرة، انتزع قمة الشرف وعلاها، وسما الى أوج المزايا فبلغ علاها . . .[٢].

٣ ـ وقال عبدالله بن أسعد اليانعي:

الإمام موسى كان صالحاً عابداً، جواداً حليماً، كبير القدر، وهو أحد الأئمة الإثني عشر المعصومين في اعتقاد الإمامية، وكان يدعى بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده، وكان سخياً كريماً، كان يبلغه عن الرجل ما يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار[٣].

٤ ـ وقال خير الدين الزركلي:

موسى بن جعفر الصادق بن الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه وأحد كبار العلماء الأجواد . . .»[٤].

٥ ـ وقال محمد بن علي بن شهراشوب:

«وكان الإمام أجلّ الناس شأناً، وأعلاهم في الدين مكاناً، وأسخاهم بناناً،

---

(١) أعيان الشيعة ج٣ ص٧١.
(٢) أئمتنا ج١ ص٦٦ ـ ٦٧.
(٣) مرآة الجنان ج١ ص٣٩٤.
(٤) الأعلام ج٣ ص١٠٨.

وأفصحهم لساناً، وأشجعهم جناناً، قد خصّ بشرف الولاية، وحاز إرث النبوة، وتبوأ محل الخلافة، سليل النبوة، وعقيد الخلافة»[1].

٦ ـ وقال أحمد بن حجر الهيثمي:

وموسى الكاظم، هو وارث أبيه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأسخاهم[2].

٧ ـ وقال الدكتور محمد يوسف موسى:

«ونستطيع أن نذكر أن أول من كتب في الفقه هو الإمام موسى الكاظم الذي مات سجيناً عام ١٨٣هـ وكان ما كتبه إجابة عن مسائل وجّهت إليه تحت إسم (الحلال والحرام)[3].

٨ ـ وقال علي بن عيسى الأربلي:

«مناقب الكاظم عليه السلام وفضائله ومعجزاته الظاهرة، ودلائله وصفاته الباهرة، ومخاتله تشهد أنه افترع قمة الشرف وعلاها وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها، وذللت له كواهل السيادة فركبها وامتطاها وحكم في غنائم المجد فاختار صفاياها واصطفاها:

تركت والحسن تأخذه	تصطفي منه وتنتجب
فانتقت منه أحاسنه	واستزادت فضل ما تهب[4]

٩ ـ وقال الشيخ سليمان المعروف بخواجة كلان:

«موسى الكاظم هو وارث أبيه جعفر بن محمد، علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان عند أهل العراق معروفاً بباب

(١) المناقب ج٢ ص٣٨٣.
(٢) الصواعق المحرقة ص١٢١.
(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص١٧٥.
(٤) كشف الغمة ص٢٥٥.

قضاء الحوائج، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم»[1].

١٠ ـ وقال النسابة أحمد بن علي:

«كان موسى الكاظم عظيم الفضل، رابط الجأش، واسع العطاء، لقّب بالكاظم لكظمه الغيظ، وحلمه، وكان يخرج في الليل وفي كمه صرر من الدراهم فيعطي من لقيه ومن أراد برّه، وكان يضرب المثل بصرّة موسى وكان أهله يقولون: عجباً لمن جاءته صرّة موسى فشكا القلّة»[2].

هذه بعض الآراء الموجزة التي دوّنها كبار العلماء والتي تحمل طابع الإكبار والتقدير للإمام، وهذه الصفات التي اتّصف بها هي السرّ في عظمته، والسرّ في إجماع العلماء على إكباره، وإجماع المسلمين على محبّته. وسوف نوجزها بما يلي:

١ ـ أحلم الناس وأكظمهم للغيظ، يقابل الجاني عليه بالإحسان إليه.

٢ ـ أعلم أهل زمانه، وأفقههم، يحل مشاكلهم ويساعدهم في قضاء حاجاتهم.

٣ ـ أعبد أهل زمانه اجتهد في العبادة الى حد لا يجاريه أحد.

٤ ـ كان من أجود الناس وأسخاهم وأنداهم كفّاً، يعطي بيمينه ولا تعرف به شماله، حتى أصبح يضرب به المثل فقالوا: (مثل صرر موسى).

٥ ـ انه من أفصح الناس وأبلغهم، ورث الفصاحة من آبائه وأجداده.

٦ ـ هو باب الحوائج عند الله، قد خصّه تعالى بهذه الكرامة ومنهحه بهذا اللطف، فضمن لمن توسّل به أن يقضي حاجته ولا يرجع من عنده إلا وهو مثلوج الفؤاد ناعم البال.

٧ ـ أوصل الناس لأهله ورحمه.

٨ ـ حافل بالتواضع والورع والزهد ودماثة الخلق.

٩ ـ إمام معصوم من أئمة المسلمين ومن حجج الله على خلقه.

---

(١) ينابيع المودة ص٣٦٢.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص١٧٥.

هكذا كان الإمام الكاظم الإمام السابع من الأئمة الإثني عشر المعصومين يعالج بروحه الفوّاحة بالإيمان والتقوى النفوس المريضة التي اترعت بالآفات الاجتماعية والأنانية.

أدعيته عليه السلام:

تميّز أئمة أهل البيت عليهم السلام بمحاسن كثيرة لم يشاركهم فيها غيرهم من الناس، وامتازوا بمكارم اختصوا بها وحدهم من بين الأمة.

والدعاء أحد هذه المميّزات الكثيرة، فقد ورد لكل إمام منهم عليهم السلام أدعية كثيرة جمعها علماؤنا الأبرار رضوان الله عليهم فبلغت مئات المصنفات. فهم أول من أرشدوا الناس على الطريقة المثلى التي يجب أن يسلكها العبد في خطابه مع الله سبحانه وتعالى، وما ينبغي أني كون عليه من التوسل والانقطاع للمولى جلّ شأنه. والإمام الكاظم انقطع الى الله فكان في جميع أوقاته يلهج بذكر الله تعالى ويدعوه دعاء المنيبين.

فائدة الدعاء:

أما عن فائدة الدعاء فقد تحدث عنها بقوله: «عليكم بالدعاء، فإن الدعاء لله والطلب الى الله يردّ البلاء وقد قدّر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعي الله عز وجلّ وسئل صرف البلاء»

ثم قال في موضع آخر:

«ما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيلهمه الله عز وجلّ الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ»[(١)].

نعود لنذكر بعض أدعيته عليه السلام:

من دعاء له عليه السلام في القنوت:

«يا مفزع الفازع، ومأمن الهالع، ومطمع الطامع، وملجأ الضارع، يا غوث

(١) أصول الكافي ج٢ ص٥٥٣.

اللهفان، ومأوى الحيوان، ومروي الظمآن، ومشبع الجوعان، وكاسي العريان، وحاضر كل مكان، بلا درك ولا عيان، ولا صفة ولا بطان، عجزت الأفهام، وضلّت الأوهام عن موافقة صفة دابة من الهوام، فضلاً عن الأجرام العظام، مما أنشأت حجاباً لعظمتك، وأنّى يتغلغل إلى ما وراء ذلك بما لا يرام.

تقدّست يا قدّوس عن الظنون والحدوس، وأنت الملك القدوس بارىء الأجسام والنفوس، ومنخر العظام ومميت الأنام، ومعيدها بعد الفناء والتطميس، أسألك يا ذا القدرة والعلاء، والعز والثناء، أن تصلي على محمد وآله أولي النهى، والمحل الأوفى، والمقام الأعلى، وأن تعْجل ما قد تأجل، وتقدم ما تأخر، وتأتي بما قد أوجبت إثباته، وتقرّب ما قد تأخر في النفوس الحصرة أوانه، وتكشف البأس وسوء البأس، وعوارض الوسواس الخناس في صدور الناس، وتكفينا ما قد رهقنا، وتصرف عنا ما قدر ركبنا، وتبادر اصطلام الظالمين، ونصر المؤمنين والادالة من المعاندين، آمين ربّ العالمين»[1].

ومن دعاء له عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهمَّ اعطني الهدى وثبّتني عليه، واحشرني عليه آمناً أمن من لا خوف عليه ولا حزن ولا جزع إنك أهل التقوى وأهل المغفرة»[2]

ومن دعاء له عليه السلام لوفاء الدين:

«اللهمَّ اردد على جميع خلقك مظالمهم التي قِبَلِي صغيرها وكبيرها في يسر منك وعافية، وما لم تبلغه قوتي، ولم تسعه ذات يدي، ولم يقوَ عليه بدني ويقيني ونفسي، فأدّه عنّي من جزيل ما عندك من فضلك، ثم لا تخلف عليَّ منه شيئاً تقضيه من حسناتي يا أرحم الراحمين، أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله»[3].

(١) مهج الدعوات ص٥٤.
(٢) نفسه ص٣٣.
(٣) أصول الكافي ص٥٦٢.

ومن دعاء له عليه السلام:

«يا سابق كل فوت، يا سامعاً لكل صوت قوي أو خفي، يا محيي النفوس بعد الموت، لا تغشاك الظلمات الحندسية، ولا تشابه عليك اللغات المختلفة، ولا يشغلك شيء عن شيء، يا من لا يشغله دعوة داع دعاه من السماء، يا من له عند كل شيء من خلقه سمع سامع، وبصر نافذ، يا من لا تغلظه كثرة المسائل ولا يبره إلحاح الملحّين، يا حيّ حين لا حيّ في ديمومة ملكه وبقائه، يا من سكن العلى، واحتجب عن خلقه بنوره، يا من أشرقت لنوره دجا الظلم، أسألك باسمك الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي هو من جميع أركانك، صلِّ على محمد وأهل بيته» ثم يسأل حاجته[1].

ومن دعاء له عليه السلام:

«توكّلت على الحيّ الذي لا يموت، وتحصّنت بذي العزة والجبروت، واستعنت بذي الكبرياء والملكوت. مولاي استسلمت إليك فلا تسلمني، وتوكّلت عليك فلا تخذلني، ولجأت إلى ظلّك البسيط فلا تطرحني، أنت المطلب، وإليك المهرب، تعلم ما أخفي وما أعلن وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فامسك عنّي اللّهمّ أيدي الظالمين من الجنّ والإنس أجمعين، واشفني يا أرحم الراحمين»[2].

ومن دعاء له عند الحاجة:

«يا الله، أسألك بحق من حقّه عليك عظيم أن تصلّي على محمد وآل محمد وأن ترزقني العمل بما علّمتني من معرفة حقك، وأن تبسط عليَّ ما حظرت من رزقك»[3].

ومن أدعيته دعاء على ظالم له:

وهذا دعاء طويل نقدم نصه الكامل ليتضح منه ما قاساه الإمام عليه السلام من طواغيت زمانه، وقد دعاه في قنوته على بعض ظالميه من ملوك بني العباس المعاصرين له الذين جرّعوه أنواع الغصص والآلام فقال عليه السلام:

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢٣٩.
(٢) أئمتنا ج٢ ص٥٦.
(٣) أصول الكافي ج٢ ص٥٥٣.

اللهمَّ، إني وفلان ابن فلان، عبدان من عبيدك، نواصينا بيدك تعلم مستقرنا ومستودعنا ومنقلبنا، ومثوانا، وسرّنا، وعلانيتنا، تطلع على نياتنا، وتحيط بضمائرنا، علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نعلنه، ولا ينطوي عندك شيء من أمورنا، ولا ينسرّ دونك حال من أحوالنا، ولا لنا منك معقل يحصننا، ولا حرز يحرزنا، ولا مهرب لنا نفوتك به، ولا تمنع الظالم منك حصونه، ولا يجاهدك عنه جنوده، ولا يغالبك مغالب بمنعه، أنت مدركه أينما سلك، وقادر عليه أينما لجأ، فمعاذ المظلوم منّا بك وتوكّل المقهور منّا عليك، ورجوعه إليك، يستغيث بك إذا خذله المغيث، ويستصرخك إذا قعد عنه النصير، ويلوذ بك إذا نفته الأفنية، ويطرق بابك إذا أغلقت عنه الأبواب المرتجة ويصل إليك إذا احتجبت عنه الملوك الغفلة، تعلم ما حلّ به من قبل أن يشكوه إليك، وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له، فلك الحمد بصيراً عليماً لطيفاً.

أَللَّهُمَّ، وانه قد كان في سابق علمك، ومحكم قضائك، وجاري قدرك، ونافذ أمرك، وماضي مشيئتك في خلقك أجمعين، شقيّهم وسعيدهم، وبرّهم وفاجرهم، ان جعلت «لفلان ابن فلان» عليَّ قدرة فظلمني بها وبغى عليَّ بمكانها، واستطال وتعزز بسلطانه الذي خوّلته إياه، وتجبّر وافتخر بعلوّ حاله الذي نولته، وغرّة املاؤك، وأطغاه حلمك عنه، فقصدني بمكروه عجزت عن الصبر عليه، وتعمّدني بشرّ ضعفت عن احتماله ولم أقدر على الاستنصاف منه لضعفي، ولا على الانتصار لقلّتي فوكلت أمره إليك، وتوكّلت في شأنه عليك، وتوعّدته بعقوبتك، وحذّرته ببطشك، وخوّفته بنقمتك، فظنّ أن حلمك عنه من ضعف، وحسب أن إملاءك له من عجز، ولم تنهه واحدة عن أخرى ولا انزجر عن ثانية بأولى، لكنّه تمادى في غيّه، وتتابع في ظلمه، ولجّ في عدوانه، واستشرى في طغيانه، جرأة عليك يا سيدي ومولاي، وتعرّضاً لسخطك الذي لا تحبسه عن الباغين، فها أنا يا سيدي مستضام تحت سلطانه مستذل بفنائه، مبغيّ عليّ، وجل خائف، مروع مقهور قد قلّ صبري، وضاقت حيلتي، وتغلّقت عليّ المذاهب إلاّ إليك، وانسدّت عنّي الجهات إلاّ جهتك، والتبست عليّ أموري في دفع مكروهه، واشتبهت عليَّ الآراء في إزالة ظلمه، وخذلني من استنصرته من خلقك، وأسلمني من تعلّقت به من عبادك

فاستشرت نصحي فأشار عليَّ بالرغبة إليك، واسترشدت دليلي فلم يدلّني إلاّ إليك، فرجعت إليك يا مولاي صاغراً راغماً مستكيناً عالماً أنه لا فرج لي إلاّ عندك، ولا خلاص لي إلاّ بك انتجز وعدك في نصرتي وإجابة دعائي، لأنّ قولك الحق الذي لا يردّ ولا يبدّل، وقد قلت تباركت وتعاليت، ﴿ومن بغي عليه لينصرنّه الله﴾ وقلت جلّ ثناؤك، وتقدّست أسماؤك: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فأنا فاعل ما أمرتني به لا منّاً عليك، وكيف أمنّ به وأنت دللتني عليه، فاستجب لي كما وعدتني يا من لا يخلف الميعاد، وإني لأعلم يا سيدي ان لك يوماً تنتقم فيه من الظالم للمظلوم، وأتيقن أن لك وقتاً تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب لأنه لا يسبقك معاند، ولا يخرج من قبضتك منابذ، ولا تخاف فوت فائت، ولكن جزعي وهلعي لا يبلغان الصبر على أناتك، وانتظار حلمك، فقدرتك يا سيدي فوق كل قدرة، وسلطانك غالب كل سلطان، ومعادِ كلّ أحد إليك وإن أمهلته، ورجوع كل ظالم إليك وان انظرته، وقد أضرني - يا سيدي - حلمك عن (فلان) وطول أناتك له، وإمهالك إياه، ويكاد القنوط أن يستولي عليّ لولا الثقة بك، واليقين بوعدك، فإن كان في قضائك النافذ، وقدرتك الماضية انه ينيب، أو يتوب، أو يرجع عن ظلمي، ويكفّ عن مكروهي، وينتقل عن عظيم ما ركب منّي، فصلِّ على محمد وآله، وأوقع ذلك فيقلبه قبل إزالة نعمتك التي أنعمت بها عليه، وتكدير معروفك الذي صنعته إليه، وإن كان علمك به غير ذلك من مقامه على ظلمي، فإنّي أسألكك يا ناصر المظلومين المبغي عليهم إجابة دعوتي، فصلِّ على محمدٍ وآله وخذه من مأمنه أخذ عزيزٍ مقتدر، وأفجأه في غفلته مفاجأة مليك منتصر، واسلبه نعمته وسلطانه، وافضض عنه جموعه وأعوانه، ومزّق ملكه كل ممزّق، وفرّق أنصاره كل مفرق، واعزله من نعمتك التي لم يقابلها بالشكر والإحسان، وانزع عنه سربال عزّك الذي لم يجازه بالإحسان، واقصمه يا قاصم الجبابرة، واهلكه يا مهلك القرون الخالية، وابره يا مبير الأمم الظالمة، واخذله يا خاذل الفرق الباغية، وابتر عمره، وابتز ملكه، واعف أثره، واقطع خبره، واطف ناره، واظلم دياره، وكوّر شمسه، وازهق نفسه، واهشم سوقه، وجب سنامه، وارغم أنفه، وعجل حتفه، ولا تدع له جنة إلا هلكتها، ولا دعامة إلا قصمتها، ولا كلمة مجتمعة إلا فرّقتها، ولا قائمة علو إلاّ وضعتها ولا ركناً إلاّ

وهنته، ولا سبباً إلاّ قطعته، وأرنا أنصاره وجنوده عبيداً بعد العزّة، واجعلهم متفرّقين بعد اجتماع الكلمة ومقنعي الرؤوس بعد الظهور على الأمة، واشف بزوال أمره القلوب الوجلة، والأفئدة اللهيفة، والأمّة المتحيّرة، والبريّة الضابعة، واظهر بزواله الحدود المعطّلة، والسنن الدائرة، والأحكام المهملة والمعالم المتغيّرة، والآيات المحرّفة، والمدارس المهجورة، والمحاريب المجفوّة، والمشاهد المهدومة، واشبع به الخماص السابغة، وارو به اللهوات اللاغبة، والأكباد الضامية، وأرح به الأقدام المتعبة واطرقه ببليّة لا أخت لها، وبساعة لا مثوى فيها، وبنكبة لا انتعاش معها، وبعثرة لا إقالة منها، وأبح حريمه، ونغّص نعيمه، وأره بطشتك الكبرى، ونقمتك المثلى، وقدرتك التي هي فوق قدرته، وسلطانك الذي هو أعز من سلطانه، وأغلبه لي بقوّتك القوية، ومحالك الشديد، وامنعني منه بمنعك، وابتله بفقر لا يجبره، وبسوء لا يستره، وكله إلى نفسه فيما تريد، انك فعال لما تريد، وابره من حولك وقوتك، وكله إلى حوله وقوّته، وأزل مكره بمكرك، وادفع مشيئته بمشيئتك، واسقم جسده، وايتم ولده، ونقّص أجله، وخيّب أمله، وأزل دولته، وأطل عولته، واجعل شغله في بدنه، ولا تفكّه من حزنه وصيّر كيده في ضلال، وأمره إلى زوال ونعمته إلى انتقال وجده في سفال، وسلطانه في اضمحلال، وعاقبته إلى شر مآل، وأمته بغيظه إن أمتّه، وابقه بحسرته ان ابقيته، وقني شره وهمزه ولمزه وسطوته وعداوته، والمحه لمحة تدمر بها عليه، فإنّك أشد بأساً وأشد تنكيلا . . »[1].

استجابة دعاء الإمام الكاظم عليه السلام

عاش أهل البيت عليهم السلام مظلومين مضطهدين طيلة الحكم الأموي الغاشم ولما انتقل الحكم إلى العباسيين باسم العلويين حسب الناس أن الحكم العباسي سوف يخفف عنهم الوطأة، ويرفع عنهم الحيف.

ولما جاءت رايات أبي مسلم الخراساني بانتصار العلويين، وللأخذ بثأرهم وظلامتهم، أصبح الأمر معكوساً، فإذا بالعباسيين يظلمون وينكّلون بأئمة أهل البيت، ويتتبعونهم قتلاً وسجناً وتشريداً حتى كانت مدة ملكهم أشد قسوة من بني

(١) مهج الدعوات ص٦٧.

أمية. فقال أحد الشعراء:

تالله ما فعلت علوج أمية معشار ما فعلت بنو العباس

وقال آخر:

يا ليت ظلم بني أمية دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

ولم يلجأ أئمة أهل البيت إلى الدعاء على ظالميهم إلا عندما يبلغ الظلم منتهاه، والجور غايته، ويطفح الكيل. . .

وجاء في كتاب عيسى بن جعفر للرشيد: «لقد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طوال هذه المدة، فما وجدته يفتر عن العبادة، ووضعت من يسمع منه ما يقوله في دعائه، فما دعا عليك ولا عليّ، ولا ذكرنا بسوء وما يدعو لنفسه إلاّ بالمغفرة والرحمة. . »[1].

إذا عرفنا هذا منه صلوات الله وسلامه عليه، نقدر شدة الظروف التي مرّت عليه فاضطرته للدعاء على ظالميه.

وسوف نذكر بعض ما ورد من استجابة دعائه عليه السلام:

١ ـ قال عبد الله بن صالح: حدثنا صاحب الفضل بن الربيع قال: كنت ذات ليلة في فراشي، مع بعض جواربي، فلما كان في نصف الليل سمعت حركة باب المقصورة، فراعني ذلك، فقالت الجارية: لعلّ هذا من الهواء، فلم يمض إلا يسير حتى رأيت باب البيت الذي كنت فيه قد فتح وإذا مسرور الكبير قد دخل عليّ، فقال: أجب الرشيد، ولم يسلّم عليّ، فيئست من نفسي، وقلت: هذا مسرور، ويدخل بلا إذن ولم يسلّم، ما هو إلاّ القتل؛ فقالت الجارية لما رأت تحيّري: ثق بالله عزّ وجلّ وانهض، فنهضت ولبست ثيابي، وخرجت معه حتى أتيت الدار، فسلمت على أمير المؤمنين وهو في مرقده، فرد علي السلام فسقطت.

فقال: تداخلك رعب!

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فتركني ساعة حتى سكنت ثم قال: صر إلى حبسنا فاخرج موسى بن جعفر بن

(١) أعيان الشيعة ج٣، ص٦١.

محمد، وادفع إليه ثلاثين ألف درهم، واخلع عليه خمس خلع، واحمله على ثلاثة مراكب، وخيره بين المقام معنا أو الرحيل عنا إلى أي بلاد أحب.

فقلت له: يا أمير المؤمنين: تأمر باطلاق موسى بن جعفر؟!

قال: نعم. فكررت ثلاث مرات.

فقال: نعم، ويلك! أتريد أن انكث العهد؟!

فقلت: يا أمير المؤمنين: وما العهد؟!

قال: بينا أنا في مرقدي هذا إذ ساورني أسد، ما رأيت من الأسود أعظم منه، فقعد على صدري وقبض على حلقي، وقال لي: حبست موسى بن جعفر ظالماً له.

فقلت: وأنا أطلقه، وأهب له، وأخلع عليه، فأخذ عليّ عهد الله عزّ وجلّ وميثاقه وقام عن صدري وقد كادت نفسي أن تخرج فقال: فخرجت من عنده ووافيت موسى بن جعفر عليه السلام وهو في حبسه، فرأيته قائماً يصلّي، فجلست حتى سلّم، ثم أبلغته سلام أمير المؤمنين وأعلمته بالذي أمرني به في أمره، وإني قد احضرت ما وصله به.

فقال: إن كنت أمرت بشيء غير هذا فافعله.

فقلت: لا وحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله ما أمرت إلا بهذا.

فقال: لا حاجة لي في الخلع والحملان والمال إذا كانت فيه حقوق الأمة.

فقلت: ناشدتك الله أن لا تردّه فيغتاظ.

فقال: اعمل به ما أحببت.

وأخذت بيده عليه السلام وأخرجته من السجن، ثم قلت له: يا ابن رسول الله أخبرني ما السبب الذي نلت به هذه الكرامة من هذا الرجل فقد وجب حقّي عليك لبشارتي إيّاك، ولما أجراه الله تعالى من هذا الأمر؟

فقال عليه السلام: رأيت النبي صلى الله عليه وآله ليلة الأربعاء في النوم فقال لي: يا موسى أنت محبوس مظلوم.

فقلت: نعم يا رسول الله محبوس مظلوم.

فكرّر علي ثلاثاً، ثم قال: «لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين».

أصبح غداً صائماً، واتبعه بصيام الخميس والجمعة، فإذا كان وقت الافطار فصل اثنتي عشرة ركعة، تقرأ في كل ركعة: الحمد واثنتي عشرة: قل هو الله أحد. فإذا صليت منها أربع ركعات فاسجد، ثم قال: «يا سابق الفوت، يا سامع كل صوت ويا محي العظام وهي رميم بعد الموت، أسألك باسمك العظيم الأعظم أن تصلي على محمد عبدك ورسولك، وعلى أهل بيته الطاهرين وان تعجل لي الفرج مما أنا فيه». ففعلت فكان الذي رأيت[1].

٢ ـ ونقل صاحب كتاب نثر الدرر: ان موسى بن جعفر الكاظم ذكر له، أن الهادي قد هم بك، قال لأهل بيته ومن يليه: ما تشيرون به عليّ من الرأي؟

فقالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تغيب شخصك عنه، فانه لا يؤمن عليك من شره. فتبسم ثم قال:

زعمت سخينة ان ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

ثم رفع يده إلى السماء فقال:

«الّهي كم من عدو شحذ لي ظبة مديته، وأرهف لي شبا حدّه، وداف لي قواتل سمومه، ولم تنم عني عين حراسته، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن ملمّات الحوائج، صرفت ذلك عني بحولك وقوتك لا بحولي وقوتي، وألقيته في الحفيرة التي احتفرها لي خائباً مما أمله في دنياه، متباعداً عما يرجوه في أخرآه فلك الحمد على قدر ما عممتني فيه نعمك، وما توليتني من جودك وكرمك. اللهم فخذه بقوتك، وافلل حده عني بقدرتك، واجعل له شغلاً فيما يليه، وعجزاً به عما ينويه. اللّهُمَّ واعدني عليه عدوة حاضرة تكون من غيظي شفاءاً، ومن حنقي عليه وفاءاً، وصل اللهم دعائي بالاجابة، وانظم شايتي بالتغيير، وعرفه عما قليل ما وعدت به من الاجابة لعبيدك المضطرين إنك ذو الفضل العظيم، والمن الجسيم».

ثم إن أهل بيته انصرفوا عنه، فلما كان بعد مدة يسيرة اجتمعوا لقراءة الكتاب الوارد على موسى الكاظم بموت الهادي، وفي ذلك يقول بعضهم:

---

(١) أئمتنا ج٢ ص٥٩ ـ ٦١.

وسـاريـة لـم تسـر فـي الأرض تبغـي   محـلاً ولـم يقطـع بهـا الأرض قـاطـع

٣ ـ وروى الكليني عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير قال: حدثني أبو جعفر الشامي قال: حدثني رجل بالشام يقال له: هلقام قال: أتيت أبا ابراهيم عليه السلام فقلت له: جعلت فداك علمني دعاء جامعاً للدنيا والآخرة وأوجز، فقال: قل في دبر الفجر إلى أن تطلع الشمس: «**سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله وأسأله من فضله**».

قال هلقام: لقد كنت من أسوء أهل بيتي حالاً فما علمت حتى أتاني ميراث من قبل رجل ما ظننت أن بيني وبينه قرابة وإني اليوم من أيسر أهل بيتي وما ذلك إلا بما علمني مولاي العبد الصالح عليه السلام»[1].

٤ ـ ومن دعائه عليه السلام عندما كان محبوساً يقلب خديه على التراب:

«**يا مذل كل جبار ومعزّ كل ذليل وحقك بلغ مجهودي، فصلِّ على محمد وآل محمد وفرّج عني**»[2].

٥ ـ وقال داود بن زربي:

سمعت أبا الحسن الأول عليه السلام يقول: اللهم إني أسألك العافية، وأسألك جميل العافية، وأسألك شكر العافية، وأسألك شكر شكر العافية.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويقول: أسألك تمام العافية ثم قال: تمام العافية الفوز بالجنة، والنجاة من النار»[3].

ولا ريب أن الدعاء من قلب العبد الصالح المؤمن، التقي، الورع يستجاب من الله العزيز القدير. وجاء ذلك في القرآن الكريم:

﴿**وقال ربكم ادعوني استجب لكم**﴾[4].

---

(١) الكافي ج٢ ص٥٥٠.
(٢) بحار الأنوار ٩٤/٣١٣.
(٣) المصدر نفسه ٩٥/٣٦٢.
(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.

أدعية الأسبوع

روى الشيخ الطوسي، قدس الله سره، باسناده عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام :

دعاء يوم الجمعة

مرحباً بخلق الله الجديد وبكما من كاتبين وشاهدين أكتبا :

بسم الله، أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن الاسلام كما وصف، والدين كما شرع، وان الكتاب كما أنزل، والقول كما حدث، وان الله هو الحق المبين، وصلوات الله وبركاته وشرايف تحياته وسلامه على محمد وآله؛ أصبحت في أمان الله الذي لا يستباح، وفي ذمة الله التي لا تخفر وفي جوار الله الذي لا يُضام، وكنفه الذي لا يرام، وجار الله آمن محفوظ، ما شاء الله، كل نعمة فمن الله، ما شاء الله، لا يأتي الخير إلاّ الله ما شاء الله، نعم القادر الله ما شاء الله، توكّلت على الله، أشهد أن لا إلّه إلاّ الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم اغفر لي كل ذنب يحبس رزقي، ويحجب مسألتي، أو يقصر بي عن بلوغ مسألتي، أو يصد بوجهك الكريم عني.

اللهم اغفر لي، وارزقني، وارحمني، واجبرني، وعافني، واعف عنّي، وارفعني، واهدني، وانصرني، والق قلبي الصبر والنصر يا مالك الملك، فإنّه لا يملك ذلك غيرك. اللهم وما كتبت عليّ من خير فوفّقني واهدني له، ومُنَّ عليّ به، وأعني وثبّتني عليه، واجعله أحب إليّ من غيره، وأثر عندي مما سواه، وزدني من

فضلك. اللهم إني أسألك رضوانك والجنة، وأعوذ بك من سخطك والنار، وأسألك النصيب الأوفر في جنّات النعيم.

اللهم طهّر لساني من الكذب، وقلبي من النفاق، وعملي من الرياء وبصري من الخيانة، فإنّك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور اللهم إن كنت عندك محروماً مقتّراً عليّ رزقي فامح حرماني وتقتير رزقي ، واكتبني عندك مرزوقاً موفّقاً للخيرات، فإنك قلت تباركّت وتعاليت ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب﴾ صلى الله على محمد وآله إنك حميد مجيد.

دعاء يوم السبت

مرحباً بخلق الله الجديد وبكما من كاتبين وشاهدين؛ اكتبا بسم الله، أشهد أن لا إلّه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الإسلام كما وصف، وان الدين كما شرع، وان الكتاب كما أنزل، والقول كما حدث، وان الله هو الحق المبين، وصلوات الله وسلامه على محمد وآله أصبحت.

اللهم في امانك اسلمت إليك نفسي، ووجهت إليك وجهي، وفوضت إليك أمري، وألجأت إليك ظهري، رهبة منك، ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلاّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ورسولك الذي أرسلت.

اللهم إني فقير إليك فارزقني بغير حساب، إنّك ترزق من تشاء بغير حساب.

اللّهم انّي أسألك الطيّبات من الرزق، وترك المنكرات وحب المساكين، وان تتوب عليّ.

اللهم إني أسألك بكرامتك التي أنت أهلها أن تتجاوز عن سوء ما عندي بحسن ما عندك يا الله، وان تعطيني من جزيل عطائك أفضل ما أعطيته أحداً من عبادك. اللهم إني أعوذ بك من مال يكون عليّ فتنة، ومن ولد يكون لي عدواً.

اللّهمّ قد ترى مكاني، وتسمع ندائي وكلامي، وتعلم حاجتي، أسألك بجميع أسمائك أن تقضي لي كل حاجة من حوائج الدنيا والآخرة.

اللهم إني أدعوك دعاء عبد ضعفت قوّته، واشتدت فاقته، وعظم جرمه وقلّ

عدده، وضعف عمله، دعاء من لا يجد لفاقته ساداً غيرك، ولا لضعفه عوناً سواك، أسألك جوامع الخير وخواتمه وسوابقه وفوائده وجميع ذلك بدوام فضلك وإحسانك، ويمنك ورحمتك، فارحمني واعتقني من النار. يا من كبس الأرض على الماء، يا من سمك السماء في الهواء، ويا واحداً قبل كل أحد، ويا واحداً بعد كل شيء، ويا من لا يعلم ولا يدري كيف هو إلاّ هو، ويا من لا يقدّر قدرته إلاّ هو، ويا من كل يوم هو في شأن، يا من لا يشغله شأن عن شأن، ويا غوث المستغيثين، ويا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، ويا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما.

ربِّ ارحمني رحمة لا تضلّني لا تشقني بعدها أبداً، أنت حميد مجيد وصلى الله على محمد وآله وسلم.

دعاء يوم الأحد

مرحباً بخلق الله الجديد وبكما من كاتبين وشاهدين، اكتبا: باسم الله، أشهد أن لا آله إلاّ الله وحده لا شريك له، واشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وانّ الاسلام كما وصف، والدين كما شرع، وان الكتاب كما أنزل، والقول كما حدث وان الله هو الحق المبين حيّا الله محمداً بالسلام، وصلى عليه كما هو أهله وعلى آله، أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يكون فيهما لله وحده لا شريك له.

اللهم إجعل أول هذا النهار صلاحاً، وأوسطه نجاحاً وآخره فلاحاً واسألك خير الدنيا والآخرة.

اللهم لا تدع لي ذنباً إلاّ غفرته، ولا همّاً إلاّ فرجته، ولا ديناً إلاّ قضيته، ولا غائباً إلا حفظته، وأديته، ولا مريضاً إلا شفيته، وعافيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولي فيها صلاح إلاّ قضيتها.

اللهم تمّ نورك فهديت، وعظم حلمك فعفوت، وبسطت يدك فأعطيت، فلك الحمد؛ وجهك خير الوجوه، وعطيّتك أنفع العطيّة، فلك الحمد تطاع ربنا فتشكر، وتعصى ربنا فتغفر، تجيب المضطر وتكشف الضر، وتشفي السقم، وتنجي من الكرب العظيم؛ لا تجزي بآلائك، ولا يحصي نعمائك أحدٌ، رحمتك وسعت كل

شيء فارحمني، ومن الخيرات فارزقني.

تقبل صلاتي، واسمع دعائي، ولا تعرض عني يا مولاي حين أدعوك، ولا تحرمني الّهي حين أسألك من أجل خطاياي؛ الّهي لا تحرمني لقاءك، واجعل محبّتي وارادتي محبتك وارادتك، واكفني هول المطلع.

اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفذ، ومرافقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى جنة الخلد.

اللهم وأسألك العفاف والتقى، والعمل بما تحب وترضى، والرضا بالقضاء والنظر إلى وجهك.

اللهم لقّني حجّتي عند الممات، ولا ترني عملي حسرات.

اللهم اكفني طلب ما لم تقدر لي من الرزق، وما قسمت لي فاتني به يا الله في يسر منك وعافية.

اللهم إني أسألك توبة نصوحاً تقبلها مني، تبقي عليّ بركتها وتغفر بها ما مضى من ذنوبي وتعصمني بها فيما مضى من عمري يا أهل التقوى وأهل المغفرة، وصلّى الله على محمد وآل محمد إنّك حميد مجيد.

دعاء يوم الاثنين

مرحباً بخلق الله الجديد وبكما من كاتبين وشاهدين، اكتبا: بسم الله، أشهد أن لا الّه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الاسلام كما وصف، وأنّ الدين كما شرع، وانّ القول كما حدث، وان الكتاب كما أنزل، وأن الله هو الحق المبين، حيّاً الله محمداً بالسلام، وصلى عليه وعلى آله. اللهم ما أصبحت فيه من عافية في ديني ودنياي فأنت الذي أعطيتني ورزقتني ووفقتني له وسترتني، ولا حمد لي يا الّهي في ما كان مني من خير، ولا عذر لي منه.

اللهم إنّه لا حول ولا قوّة لي على جميع ذلك إلاّ بك، يا من بلغ أهل الخير وأعانهم عليه بلغني الخير وأعني عليه.

اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها، وأجرني من مواقف الخزي في الدنيا

والآخرة، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، وأسألك الغنيمة من كل بِرّ والسلامة من كل إثم، وأسألك الفوز بالجنّة، والنجاة من النار.

اللهم رضّني بقضائك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجّلت عليّ.

اللهم اعطني ما أحببت واجعله خيراً لي.

اللهم ما انسيتني فلا تنسني ذكرك وما أحببت فلا أحب معصيتك.

اللهم امكر لي ولا تمكر عليَّ، واعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر علي، واهدني ويسر لي الهدى، واعني على من ظلمني حتى أبلغ فيه ثأري.

الهم اجعلني لك شاكراً ذاكراً لك، محبّاً لك، راهباً، واختم لي منك بخير.

اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق ان تحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وان تتوفاني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في السر والعلانية، والعدل في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن تحبب إليّ لقاءك في غير ضرّاء مضرّة، ولا فتنةٍ مضلّة، واختم لي بما ختمت به لعبادك الصالحين إنك حميد مجيد.

دعاء يوم الثلاثاء

مرحباً بخلق الله الجديد وبكما من كاتبين وشاهدين، اكتبا: بإسم الله، أشهد أن لا إلّه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنّ الاسلام كما وصف، والدين كما شرع، وأنّ الكتاب كما أنزل، والقول كما حدث، وان الله هو الحق المبين حيّا الله محمداً بالسلام، وصلّى الله عليه وآله؛ وأصبحت أسألك يا الله والعافية في ديني ودنياي وآخرتي وأهلي ومالي وولدي.

اللهم استر عوراتي وأجب دعواتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي. اللهم إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني، وإن تضعني فمن ذا الذي يرفعني.

اللهم لا تجعلني للبلاء عرضاً، ولا للفتنة نصباً، ولا تتبعني ببلاء على اثر بلاء، فقد ترى ضعفي وقلّة حيلتي وتضرّعي، أعوذ بك من جميع غضبك فأعذني، واستجير بك فأعنّي، وأتوكّل عليك فاكفني، واستهديك فاهدني، واستعصمك فاعصمني، واستغفرك فاغفر لي، واسترحمك فارحمني، واسترزقك فارزقني؛ سبحانك من ذا يعلم ما أنت ولا يخافك، ومن يعرف قدرتك ولا يهابك، سبحانك ربّنا.

اللهم إنّي أسألك ايماناً دائماً، وقلباً خاشعاً، وعلماً نافعاً ويقيناً صادقاً، واسألك ديناً قيّماً، وأسألك رزقاً واسعاً.

اللهم لا تقطع رجاءنا، ولا تخيّب دعاءنا، ولا تجهد بلاءنا، وأسألك العافية والشكر على العافية، واسألك الغنى عن الناس أجمعين يا أرحم الراحمين، ويا منتهى همّة الراغبين والمفرّج عن المغمومين، ويا من إذا أراد شيئاً فحسبه أن يقول له كن فيكون.

اللهم إنّ كل شيء لك، وكل شيء بيدك، وكل شيء إليك يصير، وأنت على كل شيء قدير؛ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ميسّر لما عسّرت، ولا معقّب لما حكمت، ولا ينفع ذا الجدِ منك الجدُّ، ولا قوّة إلاّ بك، ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن.

اللهم فما قصر عنه عملي رأيي، ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحداً من خلقك، وخير أنت معطيه أحداً من خلقك، فإنّي أسألك وأرغب إليك فيه يا أرحم الراحمين.

اللهم صل على محمد وآله إنك حميد مجيد.

دعاء يوم الأربعاء

مرحباً بخلق الله الجديد وبكما من كاتبين وشاهدين اكتبا بسم الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأشهد أن الاسلام كما وصف والدين كما شرع وان الكتاب كما أنزل والقول كما حدث وان الله هو الحق المبين حيا الله محمداً بالسلام وصلى عليه وعلى آله.

اللهم اجعلني من أفضل عبادك نصيباً في كل خير تقسمه في هذا اليوم، من نور تهدي به، أو رزق تبسطه، أو ضرّ تكشفه، أو بلاء تصرفه، أو شرّ تدفعه، أو رحمة تنشرها، أو معصية تصرفها.

اللهم اغفر لي ما قد سلف من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني عملاً ترضى به عنّي.

اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته في شيء من كتبك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أو علّمته أحداً من خلقك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وشفاء صدري، ونور بصري، وذهاب همي وحزني فإنه لا حول ولا قوّة إلاّ بك.

اللهم رب الأرواح الفانية، ورب الأجساد البالية، أسألك بطاعة الأرواح البالغة إلى عروجها، وبطاعة القبور المشتقة عن أهلها، وبدعوتك الصادقة فيهم، وأخذك الحق بينهم وبين الخلائق مثلا ينطقون من مخافتك، يرجون رحمتك، ويخافون عذابك، أسألك النور في بصري، واليقين في قلبي، والاخلاص في عملي، وذكرك على لساني أبداً ما أبقيتني.

اللهم ما فتحت لي من باب طاعة فلا تغلقه عنّي أبداً، وما أغلقت عنّي من باب معصية فلا تفتحه عليّ أبداً.

اللهم ارزقني حلاوة الايمان، وطعم المغفرة، ولذّة الإسلام، وبرد العيش بعد الموت، إنّه لا يملك ذلك غيرك.

اللهم إنّي أعوذ بك أن أضل أو أذل أو أظلم أو آمر أو أجهل أو يجهل عليّ، أو أجور أو يجار عليّ، اخرجني من الدنيا مغفوراً لي ذنبي، ومقبولاً عملي، واعطني كتابي بيميني، واحشرني في زمرة النبي محمد وآله.

دعاء يوم الخميس

مرحباً بخلق الله الجديد وبكما من كاتبين وشاهدين، اكتبا: بسم الله أشهد أن لا إلّه إلاّ الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الاسلام كما وصف، وانّ

الدين كما شرع، والقول كما حدث، والكتاب كما أنزل، وانّ الله هو الحق المبين؛ حبا الله محمداً بالسلام، وصلى عليه وعلى آله.

أصبحت أعوذ بوجه الله الكريم، واسمه العظيم، وكلماته التامة، من شر السامة، والهامة، والعين اللامة، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر كل دابة ربّي أخذ بناصيتها، إنّ ربّي على صراط مستقيم.

اللهم إني أعوذ بك من جميع خلقك، وأتوكّل عليك في جميع أموري، فاحفظني من بين يدي ومن خلفي ومن فوقي ومن تحتي ولا تكلني في حوائجي إلى عبد من عبادك فيخذلني، أنت مولاي وسيّدي فلا تخيّبني من رحمتك.

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحويل عافيتك، استعنت بحول الله وقوّته من حول خلقه وقوّتهم، وأعوذ برب الفلق من شر ما خلق، حسبي الله ونعم الوكيل.

اللهم أعزّني بطاعتك، وأذلَّ أعدائي بمعصيتك، واقصمهم يا قاصم كل جبار عنيد، يا من لا يخيب من دعاه ويا من إذا توكل العبد عليه كفاه، اكفني كل مهم من أمر الدنيا والآخرة.

اللهم إنّي أسألك عمل الخائفين، وخوف العاملين وخشوع العابدين، وعبادة المتقين، واخبات المؤمنين، وانابة المخبين، وتوكل الموقنين، ويسر المتوكلين، والحقنا بالأحياء المرزوقين، وادخلنا الجنة، واعتقنا من النار، واصلح لنا شأننا كله.

اللهم إني أسألك ايماناً صادقاً يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، إنك بكل خير عليم غير معلم ان تقضي لي حوائجي، وان تغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله إنّك حميد مجيد[1].

قيمة الدعاء

والدعاء باب كبير يستحق الدراسة بعناية خاصة من جميع جوانبه: الأدبية والاجتماعية والنفسية والدينية والأخلاقية..

(١) راجع مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٣٥٠ ـ ٣٥٧.

والدعاء راحة للنفس فيه اعتزاز وكبرياء واخلاص، لأن الداعي يدعو ربّ العالمين، وفاطر السماوات والأرض ورب العرش العظيم وهل أعظم وأرفع وأفضل وأنبل من الله عزّ وجلّ، الرحمان الرحيم، الذي يقول للشيء كن فيكون. ؟!

ألم يخلق الإنسان بأحسن تقويم، وخلق له جميع ما في الدنيا من الطيّبات الا يحق له أن يسبّحه في كل أوان، ويدعوه عند اشتداد البلايا والأحزان؟

فالدعاء يصبح ذوب أنفاس أفعمت بحب الخالق، وفيض أرواح تقطّعت في سبيل العشق الآلهي، وهو ابتهالات تأخذ بمجامع القلوب ونبضات الجوارح، وإطلالة شوق إلى عالم القدسية والطهارة.

والدعاء هو الذي ينمي في روح الإنسان الصلة الروحية بالله حيث يشعر الداعي بان الله عز وجل قريب منه وقريب من آلامه، وحلال لمشاكله، وملبّي حاجاته، فيدعو ربّه ليفتح عليه أبواب رحمته، وليخفف عنه ما ثقل عليه من ذلك، ويقضي له ما صعب حله، وبعدها يأتيه الفرج، ويدخل إلى قلبه الفرح.

يقول الإمام الكاظم: «**. . . يا رحيماً بكل مسترحم، ويا رؤوفاً بكل مسكين، ويا أقرب من دعي وأسرعه إجابة، ويا مفرّجاً عن كل ملهوف، ويا خير من طلب منه الخير وأسرعه عطاءً ونجاحاً، وأحسنه عطفاً وتفضّلاً**» والدعاء هو الفناء في الله جل وعلا حيث تعقبه حياة أبدية، والرحيل إليه بشوق يبعث حرارة الشعور وصدق العاطفة، ونبل الأحاسيس، وشفافية الروح إلى من إليه ترجع الأمور.

والدعاء أيضاً هو نموذج لنقاء السريرة، وإخلاص القلوب، وصفاء الرؤى،

يقول الإمام الكاظم:

«السر عندك علانية، والغيب عندك شهادة، تعلم وهم القلوب، ورجم الغيوب، ورجع الألسن، وخائنة الأعين، وما تخفي الصدور وأنت رجاؤنا عند كل شدة، وغياثنا عند كل محل، وسيّدنا في كل كريهة، وناصرنا عند كل ظلم، وقوّتنا عند كل ضعف، وبلاغنا في كل عجز؛ كم من كريهة وشدة ضعفت فيها القوّة،

وقلّت فيها الحيلة، أسلمنا فيها الرفيق وخذلنا فيها الشفيق، انزلتها بك يا رب ولم نرج غيرك، ففرّجتها وخففت ثقلها، وكشفت غمرتها، وكفيتنا إيّاها عمن سواك، ولا يخفى على الأدباء أن أدعية الإمام الكاظم عليه السلام كأدعية جده الإمام زين العابدين عليه السلام[1] جاءت محببة إلى النفوس بما انطوت عليه من فنون البلاغة والفصاحة، وجمال الاسلوب، وسعة العرض، وحسن التعبير، وهي خير منهل يغرف منه طلاب الأدب والبلاغة والفصاحة والبيان وصناعة الكتابة.

وهذه الأدعية عند الأئمة المعصومين يمكن أن تعطى أطروحة دراسات عليا بعنوان: الفن الأدبي في الدعاء، أو أدب الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام أو قيمة الدعاء وأثره في الأدب العربي.

الإمامة

الذي دفعني إلى الحديث عن الإمامة هو سؤال بعض الأساتذة الزملاء في الجامعة اللبنانية، كلية الآداب قوله: لماذا الشيعة يعظمون دور الإمامة أكثر مما تستحق؟ وما هو دور الإمام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

قبل الجواب على هذا السؤال أرى من الغريب جداً ما يدعيه غير الشيعة من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحل من هذه الدنيا ولم يوص إلى أحد من بعده ليقوم مقامه، ويتحمّل مسؤولية تنفيذ الدعوة الإسلامية، فترك الأمة بلا إمام يدير شؤونها، ويجمع شملها، ويوضح السنن، ويقوّم الأعوجاج، ويقيم الحدود، ويرشد الضالين عن الخط الإسلامي الصحيح؟!!

وما هو ثابت عند المؤرخين وكتاب السنن أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يستخلف على المدينة إذا أراد سفراً، ولا يرسل جيشاً في مهمة حتى يعيّن له قائداً، وربّما عين لبعض جيوشه أكثر من قائد[2].

---

(١) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام وقد عالج هذا الموضوع عدد من الباحثين العلماء منهم السيد عباس الموسوي في كتابه (في رحاب الصحيفة السجادية).

(٢) ففي حرب مؤتة أمّر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، وجعل القيادة للأول، فإن أصيب فللثاني فإن أصيب فللثالث.

ومن المؤسف انه عندما يريدون تنزيه شخص أو جماعة يخلقون أفضل المبررات في نظرهم، ويعتذرون عنهم بأحسن الأعذار. من ذلك ابتدع معاوية فرقة القصاصين الذين يشيدون بمآثره، ويعيبون على عليّ وأنصاره. ثم اخترع فرقة المرجئة الذين يرجئون معايب ونقائص الخليفة إلى يوم الحساب، ويعفى من محاسبة الجماعة له إن ظلم أو أخطأ. كما نسب إلى الرسول ﷺ وإلى الله سبحانه وتعالى ما لم ينزل به سلطان. كل ذلك من أجل تصحيح عمل قام به السلف، أو من أجل مصالح دنيوية ضيّقة، وقد نسوا أو تناسوا قول الله تعالى: **﴿... أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يَهدّي إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾**(١).

ولو أنصف الناس الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام لاكتفوا بنص الغدير وحده دون غيره من النصوص الكثيرة، فقد شهد بيعة يوم الغدير جل المسلمين، وشاهدوا المراسيم التي اجراها الرسول ﷺ في ذلك اليوم التاريخي ومن العجيب كيف نسيت الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ ذلك اليوم، هذا والعهد قريب، والرسول ﷺ بعد لم يدفن والشهود الكثر حضور. ولا أريد أن أخوض في هذا الحديث المؤلم الذي دب الاختلاف بين المسلمين وفرّقهم فرقاً وشيعاً.

ولا يخفى على كل ذي بصر ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحده المنصوص عليه بالخلافة من قبل الرسول الأعظم ﷺ، وكذلك أولاده عليهم الصلاة والسلام(٢).

وقد التزم الأئمة عليهم السلام في نص بعضهم على بعض، السابق منهم على اللاحق، والوالد على ولده، إقامة للحجة، وإعذاراً للأمة. وهنا أحد النصوص الكثيرة في حق الامام موسى الكاظم عليه السلام من قبل أبيه الصادق عليه السلام:

قال محمد بن الوليد: سمعت علي بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول لجماعة من خاصته وأصحابه:

(١) سورة يونس، الآية ٣٥.
(٢) راجع أئمتنا ج١ تجد نصوص الرسول الأعظم ﷺ على الأئمة عليهم السلام.

استوصوا يا بني موسى خيراً، فانه أفضل ولدي، ومن أخلفه من بعدي، وهو القائم مقامي، والحجّة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي»[1].

والإمام موسى عليه السلام بلغ أعلى مستويات الإنسانية وقيمها في مواهبه وعبقرياته، فكان عنواناً فذاً من أفذاذ العقل الإنساني، ومثلاً رائعاً من أمثلة الخير والكمال في الأرض؛ وذلك لما أثر عنه من الفضائل والمآثر كدماثة الأخلاق، والاحسان إلى الناس، والصمود أمام الأحداث، وسعة العلم، ونبل الحلم، إلى غير ذلك من النزعات الكريمة التي يقدّسها كل انسان يقدّر المثل العليا، ويؤمن بالانسانية الكريمة؛ وقد منحه الله تعالى الامامة، وخصّه بالنيابة العامة عن جده الرسول الأعظم، فهو أحد أوصيائه المعصومين، وأحد خلفائه على أمته.

والإمامة حسب مفهوم الشيعة، كالنبوة لا يمنحها الله إلاّ للذوات الخيّرة التي طهرت من الأرجاس والآثام. وهي من أسمى المناصب الالّهية لا يتوّج بها إلا أفضل الخلق وأكرمهم عند الله. وهنا لا بد من توضيح معنى الامامة.

معنى الإمامة:

الإمام لفظاً:

يقال للطريق الواسع الواضح، ولدليل المسافرين، ولحادي الإبل، والقدر الذي يتعلمه التلميذ كل يوم في المدرسة يقال: حفظ الصبي إمامه. والقرآن للمسلمين جاء في التنزيل: ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾[2][3].

والإمامة اصطلاحاً:

«رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص انساني»

والإمام حسب هذا التحديد هو الزعيم العام والرئيس المتبع الذي له السلطة الشاملة على جميع شؤون الناس الدينية والدنيوية فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من

(١) الارشاد ص٣١٠.
(٢) المعجم ج١، ص٢٧.
(٣) سورة يس، الآية ١٢.

أنفسهم فكذلك الإمام حسب ما نص عليه النبي ﷺ في خطابه بغدير خم حينما نصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة وإماماً على المسلمين من بعده.

حاجة الأمة إلى الامامة:

الإمامة أصل من أصول التشريع الاسلامي، اتفق المسلمون على ضرورتها، لأن الشريعة الإسلامية مجموعة من الأحكام والقواعد فيها الحدود والعقوبات، وفيها الحكم بما أنزل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن حياض الدين، والارث والزواج وكل ما يتعلق بتنظيم الحياة الدنيوية والدينية تنظيماً سليماً مباركاً يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع جاء في السياسة الشرعية لابن تيمية:

«إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم وكذلك سائر ما أوجبه الله من الجهاد والعدل، وإقامة الحدود، ولا تتم إلا بالقوة والإمارة..»[1].

فلا بد لوجود المسلمين السياسي والديني والاجتماعي من إمام يسوس أمرهم ويعالج قضاياهم على ضوء كتاب الله، وسنة نبيه المصطفى ﷺ، ويسير فيهم سيرة حسنة قوامها العدل الخالص، وإظهار الحق وإرجاعه إلى مستحقه.

وبذلك تصبح الإمامة ضرورة من ضروريات الحياة الإسلامية لا يمكن الاستغناء عنها، فبها تتحقق العدالة الكبرى التي ينشدها الله في الأرض عن طريق الأئمة العلماء. ومن هنا كان القول المأثور: العلماء ورثة الأنبياء.

ومن الأمور الضرورية الداعية إلى قيام الأمامة: ايصال الناس إلى معرفة الله وطاعته، وارشاد المجتمع إلى الخير والحق والصلاح وتغذيته بروح الايمان والتقوى وإبعاده عن الشرور والمفاسد.

---

(١) السياسة الشرعية ص١٧٢ ـ ١٧٣.

الاتفاق على وجوبها:

اتفق عامة المسلمين على وجوب الإمامة بمعناها القيادي للأمة سوى الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وانما عليهم أن يتعاطوا الحق فيما بينهم[١].

وقد أجمع المسلمون على زيف ذلك وبطلانه أما الأخبار التي تضافرت على ضرورتها هي كثيرة اخترنا منها:

١ ـ قول الرسول الأكرم ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية وقال ﷺ: من فارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عصبية يغضب لغضبها أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية»[٢].

وقال ابن خلدون: «إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين ولم تترك الناس فوضى في عصر... واستقر ذلك اجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام...»[٣].

يبدو واضحاً مما تقدم أن المسلمين قد أجمعوا منذ فجر التاريخ على ضرورة الإمام، وانها من الواجبات الشرعية التي لا تستقيم الحياة في البلاد الاسلامية بدونها.

تعيين الإمام:

أجمع الشيعة ان الانتخاب في الإمامة باطل، والاختيار فيها متسحيل، فحالها كحال النبوة، ليس بيد الأمة، ولا بيد أهل الحل والعقد فكما أن النبوة لا تكون بايجاد الإنسان ورغبته كذلك الإمامة، لأنّ العصمة التي هي شرط من شروط الإمامة عند الشيعة، لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى، المطلع على دخائل القلوب

---

(١) الملل والأهواء ج٤، ص٨٧.

(٢) روى الحديث مسلم وكذلك رواه النسائي.

(٣) المقدمة ص١٥١.

وخفايا النفوس، فهو عزّ وجلّ وحده يمنحها لمن يشاء من عباده ويختاره لمنصب الإمامة والخلافة.

فالنبوة والإمامة، كونهما منصباً الهياً فإن تعيينهما من مختصاته تعالى ولا يجوز فيهما الترشيح والانتخاب. وقد أعلن ذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾**[1].

وقال تعالى أيضاً: **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾**[2].

والنصوص المتضافرة عن أئمة أهل البيت تدل بوضوح على وجوب تعيين الإمامة من الله عز وجل. من تلك النصوص ما استدل به حجة الله على أرضه، وخليفته على عباده الذي يصلح ما فسد من نظام الدين ويقوم الاعوجاج، مهدي هذه الأمة عجل الله فرجه الشريف وذلك عندما سأله سعد بن عبد الله عن العلة التي تمنع من اختيار الناس إماماً لأنفسهم فاجابه عليه السلام قائلاً:

ـ يختارون مصلحاً أو مفسداً؟ ـ بل مصلحاً.

ـ فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد بما يخطر ببال غيره من إصلاح أو فساد؟

ـ بلى

ـ فهي العلة أوردها لك ببرهان يثق به عقلك، اخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل الكتب عليهم، وأيدهم بالوحي والعصمة، إذ هم أعلام الأمم، وأهدى إلى الاختيار، منهم مثل موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما، وكمال علمهما إذا هما بالاختيار ان تقع خيرتهما على المنافقق وهما يظنان أنه مؤمن.

ـ لا.

ـ هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه، ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لا يشك في ايمانهم

(١) سورة ص الآية ٢٦.

(٢) سورة القصص، الآية ٦٨.

واخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين.

قال تعالى في ذلك:

﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾[1]. إلى قوله تعالى:

﴿. . . فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾[2] فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح علمنا ان الاختيار ليس إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور، وتكن الضمائر»[3].

من هنا نعلم ان الطاقات البشرية قاصرة عن إدراك الأصلح الذي تسعد به الأمة وإنما أمر ذلك بيد الله تعالى العالم بخفايا الأمور قال تعالى: **﴿إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾**[4].

واجبات الإمام:

حمل الإسلام مسؤولية كبيرة على عاتق الإمام، فأوجب عليه السهر على مصالح المسلمين ورعاية شؤونهم الدينية والدنيوية، وأناط به العمل على تطوير حياتهم وإرشادهم إلى الخير والصلاح.

وقد ذكر المعنيون بهذه البحوث أهم الواجبات التي يجب على الإمام القيام بها من أجل صيانة الإسلام كما أراده الرسول الأعظم ﷺ:

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٥.
(٢) سورة النساء، الآية ١٥٣.
(٣) بحار الأنوار ج١٣، ص١٢٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٢٩.

١ ـ حراسة الإسلام وحفظ الدين وصيانته من المستهترين بالقيم الإنسانية والأخلاق الحميدة.

٢ ـ حماية بيضة الإسلام لينصرف الناس في معايشهم وينتشروا في أسفارهم، آمنين على أنفسهم وأموالهم.

٣ ـ الدفاع عن الثغور بالعَدَد والعُدَد حتى لا يطمع العدو بهم فينتهك محارمهم، ويسفك دماء المسلمين، من هنا وجب الجهاد.

٤ ـ الجهاد ضد الكفار المحاربين للاسلام حتى يسلموا أو يدخلوا في ذمة المسلمين قياماً بحق الله بظهور دينه على الدين كله.

قال تعالى: **﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾**[1].

٥ ـ تنفيذ الأحكام الشرعية بالحق، وقطع الخصومات حتى لا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم، وإقامة الحدود لتتوقى المحارم، وتصان الأنفس والأموال.

٦ ـ اختيار الأمناء والأكفاء، وتقليد الولايات للثقات النصحاء لتضبط الأعمال وتحفظ الأموال.

٧ ـ جباية أموال الفيء، والخراج على ما أوجبه الشرع نصاً أو اجتهاداً من غير حيف ولا عسف.

٨ ـ العطاء المحق لكل واحد من بيت المال من غير سرف ولا تقتير ودفعه إلى المسلمين في وقت معلوم لا تقديم فيه ولا تأخير.

٩ ـ الاشراف على الأمور العامة بنفسه غير معتمد على ولاته وعماله، فقد يغش الناصح ويخون الأمين فينجرف وراء أهوائه وأطماعه. قال تعالى: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾**[2].

(١) سورة التوبة، الآية ٣٢.
(٢) سورة ص، الآية ٢٦.

وجاء في الصحيحين من رواية ابن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

وأخرج الترمذي من حديث عمرو بن مرة الجهني قال لمعاوية: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجات والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته»[2].

ومن يمعن النظر فيما أُثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يرى أن واجبات الإمام أشمل من ذلك فانها تصل إلى إقامة مجتمع يعيش أفراده في ظلال العدل والحق والحرية، ونشر الأخلاق والفضائل التي دعا إليها الدين الإسلامي، ونبذ الرذائل والبغي والفساد التي نهى عنها. فواجبات الإمام مهمة وشاملة نتمنى أن يأخذ بها رؤساء العالم اليوم أو ببعض منها.

هذا من حيث الواجبات أما عن صفات الإمام، فما هي الصفات التي نص عليها الفقه الاسلامي والتي يجب أن يتحلى بها الإمام؟

صفات الإمام:

لا بد أن تتوفر في الإمام جميع الصفات الرفيعة، والنزعات الخيرة والمثل الكريمة، من علم وتقوى، ورجاحة في الرأي وأصالة في التفكير ودراية تامة بما تحتاج إليه الأمة في جميع مجالاتها وقد ذكر المعنيون بالفقه الإسلامي الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في الإمام عند الشيعة. أهمها:[3]

١ ـ العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.

٢ ـ العدالة بشروطها الجامعة وهي الامتناع من ارتكاب الذنوب، وعدم الاصرار على صغائرها.

---

(١) صحيح البخاري ج٩ ص٦٢ ومسلم ج٢ ص٢١٣.

(٢) صحيح الترمذي ج٦، ص٧٣ والخلة: الحاجة والفقر.

(٣) راجع هذه الأوصاف في الأحكام السلطانية ص٤، والمقدمة لابن خلدون ص١٣٥.

٣ ـ سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان. . . ليصح معها مباشرة ما يدرك بها.

٤ ـ سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة، وسرعة النهوض.

٥ ـ الرأي المفضي إلى سياسة الرعية، وتدبير المصالح.

٦ ـ الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية بيضة الإسلام وجهاد العدو، لأن الجهاد في سبيل احقاق الحق باب من أبواب الجنة كما قال أمير المؤمنين في خطبة الجهاد.

٧ ـ النسب وهو أن يكون الإمام من قريش لأنها أفصح العرب وأعلمهم ويعتقد الشيعة ان الإمام يجب أن تتوفر فيه صفات أخرى فيكون أفضل الناس في ملكاته الفكرية وابداعاته الشخصية ألا وهي العصمة.

العصمة:

العصمة عند الشيعة هي قاعدة أساسية في الإمامة، وهي من المبادىء الأولية في كيانهم العقائدي وقد عرفها المتكلمون فقالوا:

إنها لطف من الله يفيضها على أكمل عباده، وأفضلهم عنده، وبها يمتنع من ارتكاب الآثام والجرائم عمداً أو سهواً. . . هذه العقيدة أثارت عليهم التهم والطعون، فاتهمهم قوم بالغلو والافراط في الحب، حب أهل البيت عليهم السلام.

لكنا إذا رجعنا إلى الأدلة الموضوعية نجدها مؤيدة لما تذهب إليه الشيعة، ويكفي في ذلك القرآن الكريم وآية التطهير:

قال تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾[1].

تدل هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على عصمة أهل أئمة البيت عليهم السلام من الذنوب وطهارتهم من الزيغ والرجس[2]، وذلك بما جاء فيها في علم صناعة الكلام من حصر وتأكيد.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) الرجس: المعاصي.

ـ فحصر إذهاب الرجس بكلمة إنما التي هي من أقوى أدوات الحصر.

ـ ودخول اللام في الكلام الخبري.

ـ وتكرار لفظ الطهارة، وكل ذلك يدل على الحصر والاختصاص.

ـ كما ان إرادة الله باذهاب الرجس عنهم يستحيل فيها أن يتخلف المراد عن الإرادة. قال تعالى:

﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾(١).

وبهذا يتم الاستدلال الأكيد على عصمة أئمة أهل البيت من كل ذنب ومعصية.

ومن منا لا يذكر حديث الثقلين الذي يدل بوضوح تام على العصمة فقد قرن الرسول ﷺ بين الكتاب والعترة، فكما أن الكتاب العزيز معصوم من الخطأ والزلل فكذلك العترة، وإلاّ لما صحت المقارنة والمساواة بينهما. وبعد توفر الأدلة الموضوعية فلا مساغ للإنكار على الشيعة بذلك.

وما نراه ان نصوص القرآن هي التي قادتهم إلى ذلك وصحاح السنة ودلائل العقل. حتى ان طبيعة الاسلام ذاتها اضطرتهم إلى هذه العقيدة.

ونحن لسنا في صدد الدفاع عن الشيعة، لأننا نبغي الحقيقة اينما كانت فالعصمة التي يشترطونها في إمام المسلمين، لا تخرج به عن مصاف البشر، ولا تلحقه بعداد الآلهة كما يتقول المتقولون!

ثم هل العصمة في ذاتها جزء الّهي حتى إذا اشترطناها نكون قد قلنا في الخليفة بالحلول؟!

ولا يخفى على أحد من العلماء ان العصمة رصيد نفساني كبير يتكون من تعادل جميع القوى النفسانية، وبلوغ كل واحدة منها أقصى درجة يمكن أن يبلغها الإنسان، ثم سيطرة القوى العقلية على جميع هذه القوى والغرائز سيطرة كاملة حتى لا تشذ في أمر ولا تستغل دونها في عمل(٢). ثم يزيد فيقول:

---

(١) سورة يس، الآية ٨٢.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١، ص١١٢.

هذه الحصانة الذاتية التي يرتفع بها الإنسان الأعلى عن الاتضاع في طبيعته، ويمتنع بها عن الانزلاق في إرادته وعن الانحرافات التي تترسب في منطقة اللاشعوري، تتحول عقداً نفسية تتحكم في دوافع المرء وفي سلوكه، وفي اتجاهاته وملكاته وتسوقه من حيث لا يريد إلى النشوز عن الحق والشرود عن العدل.

هذه الحصانة الذاتية التي توقظ مشاعر الإنسان الكامل فلا يغفل، ويعتلي بملكاته واشراقه فلا ينزلق، ولا يكبو، والتي تحفظ له صحته النفسية من كل وجه، هذه هي العصمة التي يشترطها مذهب أهل البيت في الرئيس الأعلى لحكومة الإسلام، وفي ظني أنه شرط بمنتهى الجلاء كما انه بمنتهى الحكمة..»[1].

إن المنطق العلمي بجميع أبعاده يقضي بصحة ما تذهب إليه الشيعة من اعتبار العصمة في أئمة أهل البيت عليهم السلام أما القول المعاكس فلا يستند إلى منطق عقلي ودليل علمي.

وصفة أخرى هامة جداً يقول بها الشيعة وهي:

العلم:

يعتقد الشيعة بأن الإمام لا بد أن يكون أعلم الناس في عصره وأفضلهم في مقدراته العلمية. وقد أوضح هذه الجهة توضيحاً دقيقاً سماحة المغفور له الشيخ محمد رضا المظفر فقال: «أما علمه، فهو يتلقى المعارف والأحكام الآلهية، وجميع المعلومات من طريق النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام قبله، وإذا استجد شيء لا بد له أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه من طريق على وجهه الحقيقي لا يخطىء فيه، كل ذلك مستنداً إلى البراهين العقلية، ولا يستند إلى تلقينات المعلمين، وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد، ولذا قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «وقل رب زدني علماً».

وأضاف يقول بعد الاستدلال على ذلك: ويبدو واضحاً هذا الأمر في تاريخ

(١) المصدر نفسه ص١١٣.

الأئمة عليهم السلام كالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لم يتربوا على أحد، ولم يتعلّموا على يد معلم، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد أستاذ في شيء من الأشياء مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى. وما سئلوا عن شيء إلا أجابوا عليه في وقته، ولم تمر على ألسنتهم كلمة «لا أدري» ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك في حين أنك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته وتربيته وتلمذته على غيره وأخذ الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات كعادة البشر في كل عصر ومصر»[1].

أما الإمام كاشف الغطاء فقد عرض إلى صفات الإمام عليه السلام وقال فيما يختص في مواهبه العلمية:

«وان يكون أفضل أهل زمانه في كل فضيلة، وأعلمهم بكل علم، لأن الغرض منه تكميل البشر وتزكية النفوس، وتهذيبها بالعلم والعمل الصالح «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليه آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة».

والناقص لا يكون مكملاً، والفاقد لا يكون معطياً، فالإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر»[2].

وكما ترى هذا هو الرأي الصريح للشيعة في علم الإمام، وليس فيه أي غلو أو هوى كما يتهمهم الخصوم.

وهنا يحضرني قول من وصف كلام الإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة فقال:

«كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق».

وأفضل كلام يقال في هذا المجال كلمة الإمام الرضا عليه السلام فهي من أعمق

(١) عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ص٥١ ـ ٥٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ٧٢ ـ ٧٣.

الأدلة على الإمامة، وأكثرها استيعاباً وشمولاً وبياناً لمنصبها فقال عليه السلام:

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟

إن الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إن الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة، والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال عز وجل: **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾** فقال الخليل سروراً بها: **﴿ومن ذريتي﴾**؟ قال عز وجل: **﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾**.

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة. ثم أكرمه الله تعالى وجعل ذريته أهل الصفوة والطهارة.

فقال عز وجل: **﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾**[1].

ولم تزل الإمامة في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً بعد قرن حتى ورثها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال عزّ وجلّ:

﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾[2].

فكانت الخلافة للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي قلّدها علياً بأمر الله عزّ وجلّ فصارت له في ذريته الأصفياء اللذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزّ وجلّ: **﴿وقال الذين أُوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾**[3].

فالإمامة أصبحت في ولد علي خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن يختار هؤلاء الجهال؟

---

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(٣) سورة الروم، الآية: ٥٦.

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، وخلافة الله عز وجلّ وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام حتى وصلت الى الإمام زين العابدين، ومنه إلى الإمام الباقر، ومنه الى الإمام الصادق، ومنه إلى الإمام الكاظم عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام، وهكذا تتابعت في هذه الذرية الطاهرة الى الإمام المهدي الثاني عشر عجّل الله فرجه الشريف.

وتعرض عليه السلام بعد هذا الى علم الأنبياء والأئمة فقال:

«إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله، ويؤتيهم من مخزون علمه. وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم، ثم انظروا الى قوله تعالى: **﴿أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾**[1]. وقال عزّ وجلّ: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾**[2] وقال عزّ وجلّ في الأئمة من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وعترته وذريته **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا﴾**[3].

فالعبد الصالح الذي اختاره الله عز وجل لأمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فهو معصوم، مؤيد، موفق، مسدد، قد أمن الخطايا والزلل، والعثار؛ يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه.

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[4].

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه؟! أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه، تعدوا وبيت الله الحق، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم،

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤ ـ ٥٥.
(٤) سورة الحديد، الآية ٢١.

فقال عز وجل: **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[1]. وقال عز وجل:

﴿فتعساً لهم وأضل أعمالهم﴾[2]. وقال عز وجل:

﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾[3].

انتهى بذلك حديث الإمام الرضا عليه السلام[4] وهو حافل باكمل وأروع صور الاستدلال والحجة الدامغة على ضرورة الإمامة، واستحالة الاختيار والانتخاب من قبَل سائر الناس، ووجوب رجوع التعيين في ذلك إلى الله تعالى وحده فهو الذي يختار لهذا المنصب الرفيع من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه صفات العلم الغزير والمعرفة الواسعة الشاملة لشؤون الحياة الفردية والجماعية. وممن يتحلى بطهارة النفس، وصفاء الذات، وعدم الانقياد والخضوع لدواعي الهوى، ونوازع الشرور والغرور. وبهذه الصفات الكاملة الشاملة يصلح الإمام لهداية الناس واصلاحهم، وارشادهم إلى طرق الخير والكمال، وغرس روح الثقة والفضيلة في نفوسهم ليكونوا كما أرادهم الله عز وجل وكما أرادهم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾**[5].

النص على الإمامة:

ينحصر تعيين الإمام عند الشيعة في النص، وعليه فيجب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعين من يخلفه من بعده، وكذلك يجب على الإمام أن ينص على الخلف من بعده الذي يجب أن يرجع إليه الناس. وقد أجمعت كل كتب الحديث التي تعرضت لهذه المواضيع بتدوين النصوص في ذلك فقد أوصى الرسول الأكرم (يوم الدار)

---

(١) سورة القصص، الآية ٥٠.

(٢) سورة محمد، الآية ٨.

(٣) سورة المؤمن، الآية ٣٥.

(٤) راجع عيون أخبار الرضا ج١، ص٢١٦ ـ ٢٢٢ وأصول الكافي.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

في أمير المؤمنين فقال ﷺ: «هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[١] واخرج الطبراني الاستناد إلى سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: إن وصيي وموضع سري، وخير من أترك بعدي وينجز عدتي، ويقضي ديني علي بن أبي طالب»[٢].

وجاء في حلية الأولياء عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، قال أنس: فجاء علي، فقام رسول الله ﷺ مستبشراً فاعتنقه وقال له: أنت تؤدّي عني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي[٣].

ووردت نصوص نبوية متواترة رواها الفريقان في إمامة السبطين والريحانتين عليهما السلام فقد قال ﷺ فيهما: «أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة»[٤]. وقال ﷺ وهو يشير إلى الحسين:

«هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة»[٥]وجاء في المراجعات بالاستناد إلى سلمان قال: دخلت على النبي ﷺ فإذا الحسين بن علي على فخذه وهو يلثم فاه، ويقول: «أنت سيد ابن سيد، أنت إمام إبن إمام أخو إمام أبو الأئمة، وأنت حجة الله وابن حجته، وأبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم»[٦].

واستفاضت كتب الحديث بنصوص نبوية أخرى تحصر الإمامة في اثني عشر إماماً كلهم من قريش فقد روى جابر بن سمرة قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[٧].

---

(١) كنز العمال ج٦، ص٣٩٢.
(٢) نفسه ج٦، ص١٥٤.
(٣) حلية الأولياء ج١، ص٦٣.
(٤) الاتحاف بحب الأشراف، ص١٢٩.
(٥) منهاج السنة ج٤، ص٢١٠.
(٦) المراجعات ٢٢٨.
(٧) المراجعات ص٢٢٧.

وجاء في المراجعات أيضاً أخرج الصدوق بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم المهدي هم خلفائي وأوصيائي»[1].

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سره يحى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[2].

ويضاف إلى هذه النصوص النبوية، النصوص التي رواها الثقات والعلماء الأتقياء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في نص كل إمام منهم على الإمام الذي يخلفه من بعده، فقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام حينما حضرته الوفاة إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام وقال له:

«يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين» ثم أقبل على الحسين فقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا ـ وأشار إلى علي زين العابدين ـ ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد فاقرأه من رسول الله السلام»[3].

هذه النصوص تدل بوضوح وتأكيد على لزوم النص في الإمامة، وبطلان غيره وقد أخذت بها الشيعة واعتمدتها في بناء عقيدتها في الإمامة.

عصر الإمام الكاظم عليه السلام:

إتسم عصر الإمام الكاظم بموجات رهيبة من الاتجاهات العقائدية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما تميز بالنزعات الشعوبية والعنصرية والنحل الدينية،

(١) المصدر نفسه.
(٢) حلية الأولياء ج١، ص٨٦.
(٣) كشف الغمة ص١٥١ وأصول الكافي للكليني.

الاسلام بريء منها كل البراءة.

وقد تصارعت تلك الحركات الفكرية تصارعاً بعيد المدى أحدث هزاتا اجتماعية خطيرة. والسبب في ذلك كما يرى علماء الاجتماع يعود إلى الفتح الاسلامي الذي نقل ثقافات الأمم مع سائر علومها وعاداتها وتقاليدها إلى العالم الاسلامي، بالاضافة إلى أن الإسلام قد دعا المسلمين في الوقت نفسه إلى الاستزادة من العلوم والمعارف في شتى الحقول. وهذا ما أحدث انقلاباً فكرياً في المجتمع الاسلامي فتلقحت الأفكار وتبلورت بألوان من الثقافة لم يعهد لها المجتمع نظيراً في العصور السالفة. وقد حدث ما لا بد منه حيث تسربت تلك الطاقات العلمية إلى الجانب العقائدي من واقع الحياة، فحدثت المذاهب الإسلامية، والفرق الدينية، مما جعل الأمة تتشعب إلى طوائف وقع فيما بينها الكثير من المناظرات والمخاصمات والجدل، فكانت النوادي التي حفلت بالمعارك الكلامية والصراع العنيف وبصورة خاصة: خلق القرآن، وصفات الخالق الايجابية والسلبية والقضاء والقدر. . . وكان من أبرز المتصارعين في هذه الساحة علماء الكلام، والفلاسفة، علماء الحديث.

من هنا نرى العديد من الكتب التي تناولت هذه المواضيع وهي حافلة بصور كثيرة من تلك الخصومات والمشاجرات والمناظرات.

وكان من أخطر الدعوات المحمومة التي اندلعت في ذلك العصر هي (الإلحاد) قام بها دخلاء حملوا في قرارة نفوسهم الحقد على الاسلام والكره للمسلمين، وقد ثقل عليهم امتداد الحكم الاسلامي وانتشار سلطانه في الأرض، وتثبيت شريعته الانسانية السمحاء.

فرأوا أن لا حول لهم ولا طول إلى محاربته بالقوة، فأخذوا عن طريق الخداع والحيل يبثون سمومهم في نفوس الناشئة الإسلامية، وما زالوا حتى اليوم يلقون الشبه والأوهام في النفوس حتى اننا وجدنا من استجاب لهم من المسلمين المخدوعين والمغرورين، وكان لهم بالمرصاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام وكبار رجال الفكر والقادة من أصحابه وطلابه فتصدوا لتلك الأفكار الوافدة بالأدلة العلمية القاطعة وبيّنوا فسادها وبعدها عن المنطق والعقل. فكانت تحمل

احتجاجاتهم طابع الجهاد في سبيل الحق والحرص على مصالح الأمة الاسلامية.

بسبب ذلك قام علماء الشيعة الجهابذة فحاضروا وناقشوا وحاوروا الملحدين والخارجين على الدين حتى دان لهم عدد غفير وعادوا إلى حظيرة الاسلام مقتنعين راضين. لكن هذا الأمر لم يرق للحكام العباسيين فتصدوا لقاعدة الحركة العلمية من الشيعة واضطهدوهم ونكّلوا بهم ومنعوهم في أغلب الأحيان من الكلام في مجالات العقيدة خوفاً على مناصبهم عندما يظهر الحق الصريح، حتى اضطر الإمام الكاظم عليه السلام في أيام المهدي أن بعث إلى هشام أن يكف عن الكلام نظراً لخطورة الموقف، فكفّ هشام عن ذلك حتى مات المهدي.

سياسة الحكم العباسي

قام الحكم العباسي في أكثر أدواره على الظلم والجور نهج فيه العباسيون منهجاً فردياً خاصاً بعيداً عن العدل السياسي والعدل الاجتماعي، تسلموا جميع السلطات الإدارية والقضائية، ولم يكن عندهم ثمة مجلس إداري أو إستشاري تعالج فيه أمور الرعية ومصالحها ووسائل تطورها وتقدمها. فالخليفة يحكم بحسب رأيه وهواه وكأنّه ظل الله على الأرض ـ كما يقولون ـ فالطابع الاستبدادي للحكم العباسي واضح لا لبس فيه. استبداد ونهب أموال، ومصادرة الحريات، وظلم، وارغام الناس على ما يكرهون.

والواقع ان الحكم العباسي لا يختلف في مادته وصورته عن الحكم الأموي فالنظام الإداري العباسي هو نفسه في جوهره نظام الأمويين.

الدوائر الرسمية في العصر العباسي أجحفت كثيراً بحقوق العامة في الوقت نفسه كانت تصانع ذوي النفوذ والوجوه المعروفة فتمارس الظلم والجور على الأهالي المساكين الذين يدفعون الضرائب ويلبون الدعوة للجهاد، بينما كان الحكام ينفقون أموال الشعوب الاسلامية على شهواتهم وحواشيهم، ولا نغالي إذا قلنا أن التاريخ يعيد نفسه في أكثر العصور.

جاء في تاريخ الإسلام ان العتابي سُئل: لماذا لا تتقرّب بأدبك إلى السلطان؟

فقال: «إني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء، ويرمي من السور في غير شيء، ولا أدري أي الرجلين أكون!!»، ولما قتل المأمون وزيره الفضل بن سهل، عرض الوزارة على أحمد بن أبي خالد فأبى أن يقبلها وقال:

«لم أر أحداً تعرض للوزارة وسلمت حاله» والسبب واضح في ذلك أن الحكم العباسي لم يكن جارياً على قانون معروف أو دستور مكتوب، بل كان يجري حسب نزعات الحاكم وميول الخليفة، فهو الذي كان يوزع الموت أو الحياة على من كره أو على من أحب.

فالأحكام بالاعدام كانت تصدر من البلاط بمجرد وشاية من غير أن يطمئن أو يوثق بقول المخبر، مرة تصدر بالمفرد ومرة تصدر بالجملة.

ونعطي مثلاً نموذجاً على ذلك: فقد وشي برجل يقال له: (الفضيل بن عمران) إلى أبي جعفر المنصور، وكان كاتباً لابنه جعفر ووليّاً لأمره، فقد وشي به أنه يعبث بجعفر، فبعث المنصور برجلين أو جلادين، وأمرهما بقتل الفضيل حيث وجداه، وكتب إلى جعفر يعلمه ما أمرهما به وقال للرجلين: لا تدفعا الكتاب إلى جعفر حتى تفرغا من قتله. فلما انتهيا إليه ضربا عنقه، وكان الفضيل عفيفاً صالحاً، فقيل للمنصور: إنه أبرأ الناس مما رمي به، وقد عجلت عليه، فندم على ذلك، ووجه رسولاً، وجعل له عشرة آلاف درهم إن أدركه قبل أن يقتل، فقدم الرسول فوجده جثة هامدة، فاستنكر جعفر ذلك وقال لمولاه:

«ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل، مسلم، عفيف، دين، بلا جرم ولا جناية؟!» فأجابه مولاه سويد:

«هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء، وهو أعلم بما يصنع».

هكذا كان يعتقد أصحاب العقول البسيطة الساذجة، وهكذا كانت أرواح الناس يتصرفون بها حسب ما يشاؤون، وما العجب فالملك في نظرهم يفعل ما يحلو له، فهو ظل الله على الأرض، لا يسأل عن ذنب ولا عن جرم. فمن يحاسبه؟ ليس هناك من سلطة قضائية معروفة، وليس عنده من ضمير يردعه عن المحرمات. ومع ذلك يعد نفسه خليفة المسلمين. أين هم وأين الإسلام؟! هوة ساحقة تفصل

بينهما هم أشبه بالقياصرة والأكاسرة!! والحقيقة ان البلاد الإسلامية أيام الحكم العباسي كانت ترزح تحت كابوس ثقيل من الظلم والجور والتعسّف، حيث كان حكام بني العباس ينفذون خططهم بالعنف والقتل على الظن. ولأوّل مرة في تاريخ الاسلام نجد النطع إلى جانب كرسي الخلافة، كما نجد الجلاد أداة للوصول إلى العرش على حد قول المؤرخ المعروف فليب حتي.

على هذه الحال كان الحكم العباسي في أكثر أدواره وعهوده، كان خاضعاً للأهواء الشخصية والعواطف القبلية. فالغلمان والنساء والندماء والعابثون كان لهم الضلع الكبير في إدارة شؤون الحكم وتوزيع الهبات والجوائز على المغنين والمغنيات.

فالحكم عندهم لم يخضع لمنطق الحق والعدل اللذين أمر بهما الإسلام.

هذا الوضع غير السليم جعل العصر يحفل بقيام فرق اسلامية عديدة ومذاهب وطوائف اختلفت فيما بينها في أصول الدين وفروعه.

الفرق الاسلامية:

أهم ما حصل من أحداث في العصر العباسي الأول قيام المذاهب الاسلامية وحدوث نزاع بين المسلمين فانقسموا إلى عدة طوائف، وفرق اختلفت فيما بينها في أكثر أمور الدين.

والطريف ان الحكم العباسي هو الذي شجع على احداث المذاهب الاسلامية، فغذاها ونمّاها، وحمل الناس بالقوّة والقهر على اعتناقها. وما نرجح في ذلك:

إبعاد المسلمين عن أئمة أهل البيت الذين يمثلون واقع الدين الإسلامي الصحيح واتجاهاته الثورية في القضاء على الظلم والغبن، وانقاذ الناس المقهورين من الجور السياسي والاستبداد الظالم، وإذا ما رجعنا قليلاً إلى الوراء نجد:

العلويين قد اندفعوا في العصر الأموي إلى ساحات الجهاد المقدس لحفظ الدين وصيانة المجتمع من ظلم الأمويين وبطشهم، لقد حاولوا بتكليف شرعي

إعادة المبادىء الكريمة التي ينشدها الإسلام، ويؤمن بضرورة توفيرها على جميع المواطنين، وهي تتلخص على الإيمان الكامل بحق الفرد، ونشر الإستقرار في الربوع الاسلامية، وبسط العدالة والحرية والمساواة والأخوة بين المسلمين، وتوفير كل أسباب المعيشة الهانئة والرزق الكريم والأمن على كافة الأراضي الإسلامية.

هذه المبادىء اعتبرها العلويون القاعدة الأساسية لتقدم المجتمع وتطويره لينطلق في ميدان الحياة الحضارية الحرة الكريمة.

وفي العصر العباسي أكمل العلويون جهادهم من أجل هذه المبادىء العليا فهبّوا إلى ميادين النضال لأن السكوت على الظالم مساعدة له على ظلمه. لذلك واجهوا صعوبات كثيرة ومشاكل معقدة، فسجنوا في السجون، ودس لهم السم، وأريقت دماؤهم، وارتفعت أجسادهم على أعواد المشانق، ولم يتخلوا عن مبادئهم المقدسة ونضالهم الشرعي في مقاومة الظلم من سلطة أي كان، داخلي أم خارجي. فالتف حولهم العدد الغفير من جماهير المؤمنين لأن العلويين حماة هذه الأمة وقادتها الشرعيين وولاة أمرها، وانه لا يمكن بأي حال أن تتوفر للمجتمع في ذلك العصر أسباب معيشته ورخائه إلاّ في ظل حكمهم العادل، فالتف حولهم الثوار والمتظاهرون وهتفوا بأعلى أصواتهم «الدعوة إلى الرضا من آل محمد».

وكان لا بد من قيام ثورة عارمة اندلعت في جميع أنحاء البلاد على الحكم الأموي فأطاحت به ودكت أركانه، وقامت الدولة العباسية بمؤازرة العلويين الذين كان لهم اليد الطولى في مناصرتها وتثبيت أركانها، ولما استتب لهم الأمر وتملّكوا زمام الحكم، عملوا جاهدين على التنكيل بالعلويين وإبادتهم بأبشع الطرق والأساليب.

وكان المخطط الرهيب الذي اتبعه الحكام العباسيون من السفاح إلى المنصور إلى هارون إلى المأمون إلى الهادي. . . . . كلهم عملوا على القضاء على الشيعة ومن ناصرهم من القوى المعارضة، والقوى المؤمنة التي تعرف الحق وأهله.

هذا المخطّط العباسي اعتمد على عدة أمور خلاصتها: اشغال المسلمين بالقضايا العقائدية وتفرقتهم وابعادهم عن الشؤون السياسية، من هنا وجدنا النوادي في بغداد ويثرب والبصرة وسائر أنحاء العالم الاسلامي تعج بالمناظرات الكلامية، والجدل الفلسفي واحتجاج كل فريق على الفريق الآخر لتثبيت نظريته ودحض نظرية الآخرين، وكل هذه الفرق كانت تدور وتجول حول الاطار العقائدي في الاسلام. وقد وجهت الحياة العلمية في العصور العباسية إلى احداث المذاهب الإسلامية بعيداً عن الحياة السياسية التي يعيشها عامة المسلمين.

ونقطة هامة أخرى اعتمدها المخطط العباسي هي:

عزل أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الحياة السياسية، والرقابة المشددة عليهم، ومنع الاتصال بهم، وابعاد الناس عن الأخذ منهم فيما يعود إلى الأمور العقائدية ومعالم الدين الإسلامي.

لذلك وجدنا المنصور الدوانيقي يعهد إلى الإمام مالك، أحد رؤساء المذاهب الأربعة وضع كتاب في الفقه يحمل الناس على العمل به قهراً، فامتنع مالك أول الأمر، وهو تلميذ الإمام جعفر الصادق، ثم رضخ لأوامر المنصور بعد الترهيب والترغيب فوضع كتابه المعروف بالموطأ.

منذ ذلك الوقت بدأت الحكومات العباسية تساند أئمة المذاهب الأربعة، وتنشر فقههم، حتى انها حملت الناس على العمل بهذه المذاهب بعد أن اغدقت عليهم الأموال الطائلة، وكرمتهم تكريماً عظيماً لابعاد الناس عن المذهب الجعفري، مذهب الإمام الصادق ومذهب أئمة أهل البيت المتخذ برمته عن جدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، المتخذ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أول من وضع بذرة التشيع، هذه البذرة الطيبة المباركة، ونماها وتعاهدها بالسقي والعناية[1].

(١) قال الإمام كاشف الغطاء (قدس الله مثواه): إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية ـ فوضعت بذرة التشيع مع بذرة الاسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقي والعناية، حتى نمت وازدهرت في حياته ثم =

وأول من شجع على انتشار مذهب مالك الرشيد حيث أمر عامله على المدينة بان لا يقطع أمراً دون أن يأخذ رأي مالك، كما كان يجلس على الأرض لاستماع حديثه تكريماً لمالك وتعظيماً لمذهبه.

ثم أصدر أوامره بأن لا يهتف أيام الحج إلا مالك، فأخذ الناس يزدحمون عليه وتوافدت إليه الوفود من سائر الأقاليم لاستماع حديثه وأخذ الأحكام الشرعية منه. وكان لا يدنو إليه أحد لما أحيط به من التقدير الرسمي. فقد اجتمع به غلمان من السود غلاظ شداد يأتمرون بأمره، وينكلون بمن شاء أن ينكل به.

لقد علا شأن مالك بما أعطي من السلطة من مكانة مرموقة وعناية بالغة اولتها له الحكومة العباسية كما أولت غيره من أئمة المذاهب الثلاثة الأخرى. والغرض من ذلك واضح كل الوضوح وهو إضعاف كيان أئمة أهل البيت عليهم السلام والقضاء على الشيعة الذين كانوا من أقوى الجبهات المعادية للحكم العباسي الظالم. لكنهم فشلوا وبقي الشيعة يجاهدون وما زالوا في اعلاء كلمة الحق وصيانة الدين الاسلامي من الانحراف والتزوير. قال تعالى:

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون﴾، ﴿وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[1].

ولا يخفى على أحد من المؤرخين وعلماء الحديث والصحابة المؤمنين أن الطائفة الشيعية حملت لواء الاصلاح وثارت في وجه الطغاة والظالمين المستبدين، وحفل تاريخها بالمآثر الطيّبة والمفاخر الحميدة وخدمة الاسلام مهما كلف الثمن. لقد جاهدوا ضد الظالمين لأن السكوت عن الظلم خيانة شرعية، والسكوت عن الظالم يعني مساعدته على ظلمه فلا بد إذن من المقاومة الشرعية.

وأول المقاومين للظلم بعد النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد كلفه ذلك جهاداً مريراً وحروباً دامية ضد المنحرفين عن الدين القويم أمثال

= أثمرت بعد وفاته (أصل الشيعة وأصولها ص٨٧ ـ ٨٨).

(١) سورة الصف، الآيتين ٨ ـ ٩.

معاوية بن أبي سفيان وأعوانه. ثم استلم راية الجهاد في سبيل الله ابنه الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد الفاجر العاهر وأعوانه الذين اشتروا الضلالة بالهدى، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، واشتروا الكفر بالايمان

أراد الإمام الحسين عليه السلام الخروج من أجل الاصلاح في أمة جده التي ظللها معاوية وتابع بعده ابنه يزيد في الانحراف والظلم والضلال، فكان لا بد للإمام المعصوم إلا أن يقوم بالمسؤولية الإلهية فقال عليه السلام : «عهد عهده إليَّ أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله » وهكذا تابع الأئمة عليهم السلام الجهاد في سبيل الله في جميع العصور.

التنكيل بالعلويين

مع المنصور:

اصاب العلويون ألواناً من شتى المحن في العهدين الأموي والعباسي ومحنتهم في عهد المنصور كانت من أقسى المحن وأفجعها، فقد أذاقهم جميع أنواع العنف والجور والعذاب، فحاول عدة مرات إبادة شبابهم وشيوخهم، وكان ما حل بهم من التنكيل مع الحكام العباسيين وخاصة المنصور، أضعاف ما واجهوه أيام الحكم الأموي حتى قيل في ذلك:

يا ليت جور بني أمية دام لنا   وليت عدل بني العباس في النار

لقد واجهوا أعنف الخطوب وأقسى الرزايا من أجل تحرير المجتمع الاسلامي وانقاذه من الجور والظلم والاستبداد.

لم يضعفوا أمام هذا الطاغية وأمام غيره من الحكام الظالمين، بل اندفعوا بكل فخر واعتزاز إلى ساحات الجهاد، وناضلوا في سبيل إعلاء كلمة الله حتى استشهدوا أحراراً كراماً مشجعين الأحرار والمناضلين في عصرهم وفي كل عصر على متابعة طريق النضال، فاتحين لهم أبواب الكفاح، راسمين لهم طريق الخلاص من حكم الذل والعبودية.

وسوف نذكر حادثة أليمة من حوادث جسام كثيرة فعلها المنصور مع العلويين. لقد زجهم في سجن مظلم لا يعرف فيه الليل من النهار، حتى باتوا لا

يعرفون وقت الصلاة، فجزأوا القرآن الكريم خمسة أجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم لجزئه[1] أمر الطاغية باحضار محمد بن ابراهيم وكان آية في بهاء وجهه وجماله ولما حضر عند المنصور التفت إليه بسخرية قائلاً :

أنت المسمى بالديباج الأصفر؟ فقال : نعم.

أما والله لاقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك.

ثم أمر باسطوانة مبنية ففرغت، وأدخل فيها، فبنيت عليه وهو حي[2] وبقي العلويون في سجن المنصور وهم يعانون أهوالاً من الخطوب والمصائب، حتى مرضوا ومات أكثرهم، ثم أمر الطاغية بهدم السجن على من بقي منهم، فهدم عليهم، ومات أكثرهم وفيهم عبد الله بن الحسن[3].

حفلت هذه المأساة الغريبة والعجيبة بأنواع الرزايا والخطوب، فقد انتهكت فيها حرمة الرسول الأعظم ﷺ في ذريته وأبنائه، ولم يراقب المنصور الله فيهم ولم يرع أي حرمة لهم.

لقد وهبت تلك النفوس الزكية أرواحها لله لتنقذ من شر تلك الطغمة الحاكمة عباد الله، حكام ظالمون همهم الدنيا والسلطان والجاه والمال، وفي سبيل ذلك كفروا بجميع القيم الإنسانية، وتنكّروا لجميع المبادىء الإسلامية.

هذه المأساة الكبرى أثارت موجات من السخط على بني العباس فتجمهر الأحرار حول أهل البيت متمسكين بعدلهم ومبادئهم بغية إنقاذهم من هذا الوضع المتردي الأليم. وقد اندفع الشعراء بعد أحقاب من السنين المريرة بهجاء الحكام العباسيين على جرائمهم النكراء وخاصة الجريمة الأخيرة التي ذهب ضحيتها عبد الله بن الحسن.

من هؤلاء الشعراء نذكر أبا فراس الحمداني الشاعر العربي الأصيل، استنكر الجريمة النكراء واندفع قائلاً في قصيدة طويلة بلغت ما يقارب الستين بيتاً نذكر منها :

---

(١) مروج الذهب ج٣، ص٢٢٥.

(٢) الطبري ج٩، ص٣٩٨.

(٣) مروج الذهب ج٣، ص٢٢٥.

الدين مخترم، والحق مهتضم؛ ... وفيء آل رسول الله مقتسم

يا للرجال! أما لله منتصف ... من الطغاة؟ أما للدين منتقم؟!

بنو عليّ رعايا في ديارهم ... والأمر تملكه النسوان والخدم!

للمتقين، من الدنيا، عواقبها ... وإن تعجل منها الظالم الأثم

لا يطغينّ بني العباس ملكهم! ... بنو علي مواليهم وإن زعموا

أتفخرون عليهم؟ لا أبا لكم ... حتى كأنّ رسول الله جدكم

وما توازن، يوماً بينكم شرف ... ولا تساوت بكم، في موطن، قدم

ولا لكم مثلهم، في المجد، متصل ... ولا لجدكم مسعاة جدهم

ولا لعرقكم من عرقهم شبه ... ولا نفيلتكم من أمهم أمم

قام النبي بها، يوم الغدير، لهم ... والله يشهد، والأملاك والأمم

حتى إذا أصبحت في غير موضعها ... لكنهم ستروا وجه الذي علموا

ثم ادعاها بنوا العباس إرثهم ... وما لهم قَدَم، فيها، ولا قِدَم

بئس الجزاء جزيتم في بني حسن ... أبوهم العلم الهادي وأمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم ... ولا يمين، ولا قربى، ولا ذمم

هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب ... للصافحين ببدر عن أسيركم؟

هلا كففتم عن الديباج السنكم ... وعن بنات رسول الله شتمكم؟

ما نزهت لرسول الله مهجته ... عن السياط! فهلا نزّه الحرم؟

ما نال منهم بنو حرب، وإن عظمت ... تلك الجرائر، إلا دون نيلكم

كم غدرة لكم في الدين واضحة! ... وكم دم لرسول الله عندكم!

أأنتم آله فيما ترون، وفي ... أظفاركم، من بنيه الطاهرين دم؟

هيهات لا قربت قربى ولا رحم ... يوماً، إذا أقصت الأخلاق والشيم!

كانت مودة سلمان له رحم ... ولم يكن بين نوح وابنه رحم![1]

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا ... مأمونكم كالرضا إنّ أنصف الحكم

الركن والبيت والاستار منزلهم ... وزمزم، والصفا، والحجر والحرم

(١) الديوان ص١٢٨ والغدير ج٣، ص٢٣٨.

صلـى الإلّـه عليهـم، أينمـا ذكـروا   لأنهـم للـورى كهـف، ومعتصـم

يبدو واضحاً من هذا الشعر الاسى العميق على ما أصاب العلويين من النكبات والرزايا في عهد المنصور وسائر ملوك بني العباس الذين تنكروا للاحسان الذي أسداه إليهم الرسول الأعظم وعلى جدهم العباس فقد قابلوا الإحسان بالاساءة، والعفو بالعقاب المرير لذرية النبي الشريفة، وعترته الطاهرة.

مصادرة أموال العلويين:

لما اعتقل المنصور العلويين، وأودعهم في السجون المظلمة، عهد إلى عامله بمصادرة جميع أموالهم وبيع رقيقهم[1].

كما صادر أموال الإمام الصادق عليه السلام، ولما هلك المنصور يروى أن المهدي أرجعها إلى ابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وضعهم في الاسطوانات[2]

بدأ المنصور يفتش على من بقي من العلويين فمن ظفر به جعله في الاسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر، حتى ظفر بغلام من ولد الحسن وكان حسن الوجه فسلمه إلى البناء وأمره أن يجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه، فدخلت البناء رقة على هذا الولد الوسيم فترك له في الاسطوانة منفذاً يدخل منها الهواء، وقال للغلام: لا بأس عليك فاصبر فاني سأخرجك من جوف هذه الاسطوانة عندما يرخى الليل سدوله.

ولما جن الليل جاء البناء فأخرج العلوي المظلوم، وقال له: اتق الله في دمي ودم العملة الذين معي، وغيّب شخصك، فإني إنما أخرجتك في ظلمة هذه الليلة لأني خفت أن يكون جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة خصمي بين يدي الله، وأكد عليه بأن يواري نفسه فطلب منه الغلام أن يخبر أمه لتطيب نفسها، ويقل جزعها، فهرب الغلام ولا يدرى بأي أرض أقام، وجاء البناء إلى دار أم الغلام ليعلمها

(١) البداية والنهاية ج١٠، ص٨١.
(٢) بحار الأنوار ج٤٧ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧.

بخلاص ابنها من قبضة ذلك الطاغية فسمع دوياً كدوي النحل قبل أن يدخل من البكاء فعرف أنها أمه فأسرها بخبر ولدها، وانصرف عنها[1].

هلاك المنصور:

عهد المنصور بأمره إلى ولده المهدي، ونصبه ملكاً من بعده وأوصاه بهذه الوصية: «إني تركت بعض المسيئين من الناس على ثلاثة أصناف، فقيراً لا يرجو إلا غناك، وخائفاً لا يرجو إلا أمنك، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك، فإذا وليت فأذقهم طعم الرفاهية، لا تمدد لهم كل المد.. وقد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي، وبنيت لك مدينة لم يكن في الاسلام مثلها..»[2].

هلك الطاغية الجبار الذي أذاق جميع الناس صنوف الظلم والجور والفقر سنة (١٥٨هـ) وانطوت بذلك صفحة سوداء من حياة الأمة الاسلامية مملوءة بالاثم والموبقات وكان عمر الإمام موسى الكاظم عليه السلام آنذاك ثلاثين سنة، مضى خلالها زهرة شبابه في عهد هذا الطاغية مكلوم القلب، حزين النفس، كاظم الغيظ حزناً على المسلمين عامة، وعلى ما لاقاه العلويون خاصة من التنكيل البشع، والعذاب الأليم. وسوف نرى صفحة أخرى مع ولده المهدي.

في عهد المهدي:

كان المهدي ألين جانباً من أبيه فقد عرف بالسخاء، وبسط الكف، وعدم القسوة على الناس عموماً، لذلك استقبله العالم الاسلامي بمزيد من الفرح والبهجة لما لاقاه من العنف والجور في حكم أبيه المنصور. وحينما استقل بالحكم أصدر مرسوماً ملكياً بالعفو عن جميع المساجين والمعتقلين السياسين، سوى من كان في عنقه دم أو كان ذا فساد في الأرض؛ كما رد جميع الأموال المنقولة والثابتة التي صادرها أبوه من أهلها ظلماً وعدواناً، ومن هؤلاء كان الإمام موسى عليه السلام رد عليه كل ما صادره أبوه المنصور من الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١، ص١١١.
(٢) تاريخ اليعقوبي ج٣، ص٣٤٩.

يقول المؤرخون عن سبب ذلك أنه يعود إلى الوضع العام في البلاد حيث أصبح الملك على جانب عظيم من الطمأنينة والاستقرار.

وسبب آخر هو ما ظفر به من الثراء العريض مما جمعه أبوه المنصور الذي يعده الجاحظ: من أصحاب الجمع والمنع ومن أبخل البخلاء.

لكن مما يؤسف له أن هذا المال الذي جمعه أبوه بالتقتير والظلم قد أنفقه المهدي على اللهو والمجون والهبات الكبيرة للماجنين والمغنين والعملاء، دون أن يهتم بالطبقة الضعيفة الفقيرة فكان كل همه إشباع شهواته الشخصية، والبذخ والترف والمجون. أمّا ما ورثه من أبيه وبقي على الخط نفسه: عداؤه للعلويين وشيعتهم، فقد كان يكرههم كرهاً شديداً، ورث ذلك من أبيه المنصور الذي كان يعتقد أن لا بقاء له في الحكم إلاّ بالقضاء على العلويين وشيعتهم وفيما يلي نعرض بعض نزعاته الحاقدة وأعماله الجائرة وما لاقاه الإمام موسى عليه السلام في عهده من ظلم وجور وسجن.

شاع اللهو في عهد المهدي، وساد المجون، وانتشر التحلل بين الناس، فقد ذاع شعر بشار بن برد وتغزله بالنساء حتى ضجّ منه الأشراف والغيارى على الدين. دخل على المهدي يزيد بن منصور وطلب منه أن يوقف بشاراً عند حده، فضيق عليه في بادىء الأمر ثم أطلق سراحه، وانجرف هو بتيار مكشوف من المجون والدعارة، ويعد بنظر الجاحظ المؤسس الأول للهو في دولة بني العباس.

يقول الجاحظ:

«إنه احتجب بادىء ذي بدء عن المغنين ثم قال: إنما اللذة في مشاهدة السرور في الدنو ممن سرني، فاما من وراء وراء فما خيرها ولذتها؟» وبلغه حسن صوت ابراهيم الموصلي وجودة غنائه فقرّبه إليه، وأعلى من شأنه[1] وكان مولعاً بشرب الخمر حتى نهاه عن ذلك وزيره يعقوب بن داود قائلاً له: «أبعد الصلاة في المسجد تفعل هذا؟!».

---

(١) الأغاني ج٥، ص٥.

فلم يلتفت لنصحه وقد سمع نصيحة بعض الشعراء الماجنين الذين حبذ له الاستمرار في شربها وعدم الاعتناء بقول وزيره قائلاً:

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً واقبل على صهباء طيبة النشر[1]

الرشوة والظلم:

انشغل المهدي يلهوه وملذاته عن الرعية، فأخذ عماله الذئاب ينهبون الأموال ويستلبون الثروات، وانتشرت الرشوة انتشاراً هائلاً عند جميع القائمين على شؤون الدولة. كما عمد الى ظلم الناس والاحجاف بحقوقهم، فأمر بجباية أسواق بغداد، وجعل الأجرة عليها[2].

كما شدد في الخراج الى حد لا يطاق، وإذا ما اشتكى أحد من رعيته المظلومين مستغيثاً يكون مصيره السجن أو القبر[3]

اهتمامه بالوضاعين:

قرّب المهدي منه طائفة من علماء السوء الذين باعوا ضمائرهم بثمن رخيص، وفتكوا بالاسلام، وشوهوا معالمه، فأخذوا ينمّقون الأباطيل ويلفّقون الأكاذيب في مدح المهدي والثناء عليه، أمثال:

أبي جعفر السندي، وغياث بن إبراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحمام فحدثه عن أبي هريرة أنه قال: «لا سبق إلا في حافراً ونصل، وزاد فيه أو جناح..» فأمر له المهدي على حديثه الكاذب بعشرة آلاف درهم، ولما ولّى عنه جلساؤه قال: «أشهد أنه كذب على رسول الله ﷺ ما قال رسول الله ذلك، ولكنه أراد أن يتقرّب إلي..»[4]. ومع علمه بكذبه فقد أوصله وأعطاه وبذلك شجع حركة وضع الحديث وهي من أعظم الكوارث التي مني بها الإسلام[5].

---

(١) الفخري ص١٦٧.
(٢) تاريخ اليعقوبي ج٣ ص١٣٤.
(٣) الجهشياري ص١٠٣.
(٤) تاريخ بغداد ج٢ ص١٩٣.
(٥) راجع نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية ج٢.

عداؤه للعلويين:

كان المهدي يكن في أعماق نفسه البغض للعلويين وشيعتهم، وقد ورث هذه البغضاء والكراهية عن أبيه المنصور، ويعود السبب في ذلك الى الحق في تولي الحكم؛ فالثورة على الحكم الأموي قامت على أكتاف العلويين حماة العدل والحق في الاسلام؛ وكانت تحمل طابع التشيع وواقعه الذي اتخذه الثوار شعاراً لهم، فناضلوا من أجله وانضم العباسيون الى الدعوة على هذا الأساس.

روى الطبري قال: دخل المهدي على أبي عون عائداً له، وطلب منه المهدي أن يعرض عليه حوائجه ليقوم بقضائها لأنه كان من أعز أصحابه وآثرهم عنده. فقال له أبو عون:

ـ حاجتي أن ترضى عن ولدي عبدالله، فقد طالت موجدتك عليه.

فقال الهندي: ـ يا أبا عبدالله انه على غير الطريق، وعلى خلاف رأينا ورأيك، انه يسيء القول في الشيخين.

فقال أبو عون: ـ هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه، ودعونا إليه، فإن كان قد بدا لكم فمرونا بما أحببتم حتى نطيعكم»[1]فالثورة على الحكم الأموي كما يتضح انما كانت شيعية بجميع أبعادها، فالمهدي متأكد من ذلك وعموم العباسيين يجزمون أن الثورة قامت من أجل التشيع.

وشاهد آخر يدل ان الحق في تسلّم الحكم للعلويين وان العباسيين اختلسوا الحكم من أجل أطماعهم وهو: ان القاسم بن مجاشع بعث بوصيته الى المهدي ليشهد فيها يقول بالرسالة الوصيّة:

«شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط لا إلّه إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام يشهد بذلك، ويشهد ان محمداً عبده ورسوله، وان عليّ بن أبي طالب وصيّ رسول الله ﷺ ووارث الإمامة من بعده».

(١) الطبري أحداث سنة ١٦٩.

فلما قرأ المهدي الفقرات الأخيرة من الوصية رماها من يده ولم ينظر في باقيها»[1].

لقد آمن بذلك خواص العباسيين لكن طمع العباسيين في تولي السلطة وانحرافهم من أجل أطماعهم أحدث في نفوس حكامهم الطامعين هذا البغض للعلويين.

المهدي والإمام موسى عليه السلام:

في بداية حكمه لم يتعرض المهدي الى الإمام بمكروه، وقد اكتفى بوضعه تحت الرقابة المشددة. ولما شاع ذكره في الأوساط الاسلامية عامة، والشيعية خاصة، ثار غضب المهدي، وعمد الى التضييق عليه، ثم الى اعتقاله، لكنه سرعان ما أطلق سراحه لأنه رأى برهاناً إلّهياً منعه عن ذلك. وذاك البرهان:

إطلاق سراح الإمام عليه السلام:

سئم الإمام عليه السلام من السجن، وضاق صدره من طول المدة، فلجأ الى الله تعالى في أن يخلصه من هذه المحنة. قام في غلس الليل فجدد طهوره وصلّى لربه أربع ركعات وأخذ يناجي الله ويدعوه، فاستجاب الله جلّ جلاله دعاء الإمام عليه السلام، فأخرج من السجن.

عودة اعتقال المهدي للإمام عليه السلام:

لما انتشر ذكر الإمام وذاع صيته في جميع الآفاق الاسلامية، خاف المهدي على كرسيه ولم يتمالك حقده وغيظه، واعتقد ان ملكه لا يستقر إلا باعتقال الإمام، فكتب الى عامله على المدينة يأمره بإرسال الإمام إليه فوراً، ولما وصلت الرسالة وبلغ الإمام الخبر، تجهز للسفر من وقته، فسار عليه السلام حتى انتهى الى زبالة فاستقبله أبو خالد بحزن، نظر إليه الإمام نظرة رأفة ورحمة وقال له:

ـ ما لي أراك منقبضاً؟!!

(١) الطبري ج٦ ص٣٩٧.

ـ كيف لا أنقبض وأنت سائر الى هذا الطاغية ولا آمن عليك. هدأ الامام من روعه وأخبره أنه لا ضير عليه في سفره هذا.

ثم انصرف الإمام متوجهاً الى بغداد. فلما وصل اليها أمر المهدي باعتقاله وإيداعه السجن، ونام المهدي تلك الليلة فرأى في منامه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فخاطبه:

﴿يا محمد، فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾[1].

فنهض المهدي من نومه مذعوراً واستدعى حاجبه الربيع فوراً فلما مثل بين يديه سمع المهدي يردد هذه الآية المباركة، وأمره بإحضار الإمام موسى، فلما أقبل إليه عانقه وأجلسه الى جانبه ثم قال له بعطف غير مألوف منه:

«يا أبا الحسن، إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقرأ عليَّ الآية المذكورة، أفتؤمنني أن لا تخرج عليَّ أو على أحد من ولدي؟

ـ والله ما فعلت ذلك ولا هو من شأني.

ـ صدقت، يا ربيع، اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله الى المدينة، فقام الربيع فشايعه وأحكم أمره وسرحه في الليل.

وسارت قافلة الإمام عليه السلام تطوي البيداء حتى انتهت الى (زبالة) وكان اليوم الذي عينه لأبي خالد الذي يترقب قدومه بفارغ الصبر. فلما قدم عليه السلام عليه بادر يلثم يديه والفرح باد عليه فأدرك الإمام سروره وقال له: «إن لهم إلي عودة لا أتخلص منها»[2]. وأشار الى ما يصنعه له هارون من اعتقاله له في سجونه.

الامام الكاظم عليه السلام في عهد الهادي:

تولى الهادي الخلافة في أيام شبابها الغض، وفي إبان قوتها الكاملة، وثروتها الموفورة، وقد بويع له وهو في غضارة العمر وريعان الشباب، فدفعه ذلك الى التمادي في الغرور والطيش، ومن مظاهر ذلك انه كان إذا مشى مشت الشرطة

(١) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٢) البحار ج١١ ص٢٥٢ ونور الأبصار ص١٣٦.

بين يديه بالسيوف المشهورة، والأعمدة والقسي الموتورة[1] ليظهر بذلك أبهة السلطة، اتصف بنزعات شريرة ظهرت في سلوكه وفي أعماله.

ومن هواياته الخاصة اللهو والغناء، أحب صوت إبراهيم الموصلي وغناه فأطربه، فوهب اليه ثلاثين ألف دينار، وهو القائل: لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب[2].

وقد بالغ هذا الطاغية المغرور في عدائه للعلويين والتنكيل بهم، فقطع ما أجراه لهم المهدي من الأرزاق والأعطيات، وكتب الى جميع الآفاق في طلبهم، وحملهم الى بغداد[3].

ومن الكوارث الفظيعة التي حلّت بعترة النبي ﷺ وذريته كارثة (فخ) التي تحدث عنها الإمام الجواد بقوله:

«لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ».

لقد اقترف العباسيون في هذه الجريمة أضعاف ما اقترفه الأمويون في مأساة كربلاء، فرفعوا رؤوس العلويين على الرماح ومعها الأسرى يطاف بها في الأقطار، وتركوا الجثث الطاهرة ملقاة على الأرض مبالغة منهم في التشفي والانتقام من أهل البيت عليهم السلام.

أرسلت رؤوس الأبرار الطاهرين الى الطاغية الهادي ومعها الأسرى مقيدون بالسلاسل، وفي أيديهم وأرجلهم الحديد.

أمر الطاغية بقتل الأسرى فقتلوا وصلبوا على باب الحبس[4].

تهديد الهادي للإمام موسى عليه السلام:

بعد أن أتم الهادي نكبته بالعلويين أخذ يتوعّد الأحياء منهم بالقتل والدمار وعلى رأسهم عميدهم وسيدهم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فقال: «والله ما خرج

(١) حضارة الاسلام في دار السلام ص٨٤.
(٢) الأغاني ج٥ ص٢٤١ وص٦.
(٣) اليعقوبي ج٣ ص١٣٦.
(٤) الطبري ج١٠ ص٢٩.

حسين إلا عن أمره، ولا اتبع إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه».

وأضاف يقول في تهديده: «ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر الصادق عليه السلام من الفضل المبرز عن أهله في دينه، وعمله وفضله، وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً».

استهزاء الإمام به:

بعد التهديد خف أهل بيت الامام وأصحابه إليه وأشاروا مجمعين عليه أن يختفي من شرّ هذا الطاغية لينقذ نفسه من ويلاته، فلم يهتم للأمر لأنه قد استشف من وراء الغيب هلاك هذا الباغي قريباً وتمثل بقول كعب بن مالك:

زعمت سخينة ان ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب[1]

وكان ما أراد الإمام بإذن الله سبحانه الذي قصم ظهره قبل أن ينال الامام بسوء.

دعاء الإمام عليه السلام على الهادي:

توجه الامام موسى بن جعفر عليه السلام نحو القبلة، وأخذ يتضرّع الى الله لينجيه من شرّ هذا الطاغية الحقود. ودعا بهذا الدعاء الجليل:

«إلهي: كم من عدوّ انتضى عليّ سيف عداوته، وشحذ لي ظبة مديته، وأرهب لي شبا حدّه، وداف لي قواتل سمومه، وسدد نحوي صوائب سهامه، ولم تنم عني عين حراسته، وأضمر أن يسومني المكروه، ويجرّعني زعاف مرارته، فنظرت الى

(١) كعب بن مالك بن أبي كعب الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وأحد السبعين الذين بايعوه بالعقبة، وشهد المشاهد كلها سوى واقعة بدر وهو القائل:

وببئر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقد توفي في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن كف بصره. معجم الشعراء ص٣٤٢.

ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن الانتصار ممن قصدني بمحاربته، ووحدتي في كثير من ناواني، وارصادهم لي فيما لم أعمل فيه فكري في الارصاد لهم بمثله . . .[1].

وبعد فراغ الإمام عليه السلام من دعائه الشريف التفت الى أصحابه يهدىء روعهم، ويفيض عليهم قبساً من علمه المستمد من علم جده الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً: «وحرمة هذا القبر وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وآله قد مات الهادي من يومه هذا، والله إنه لحق مثل ما انكم تنطقون . . ».

هلاك الطاغية الهادي:

استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء وليه العبد الصالح فأهلك عدوه الطاغية الجبار، وأراح العباد والبلاد من شره، وروت أكثر المصادر عن سبب وفاته فقالوا: ان أمه الخيزران غضبت عليه لأنه قطع نفوذها لقصة مشهورة، وانها خافت على ولدها هارون من شرّه، فأوعزت الى جواريها بخنقه، فعمدت الجواري الى قتله وهو نائم[2].

وبذلك انطوت صفحة هذا الطاغية، ولم تطل خلافته فقد كانت سنة وبضعة أشهر؛ لكنها كانت ثقيلة على المسلمين الذين لاقوا خلالها أصعب المحن، وهل آلم من مشهد رؤوس أبناء النبي صلى الله عليه وآله يطاف بها في الأقطار، وأسراهم يقتلون ويصلبون، لم ترع فيهم لا حرمة الرسول صلى الله عليه وآله ولا حرمة الاسلام، دين المحبة والعدل والتسامح!! كل هذه الأحداث الجسام من المهدي الى المنصور الى الهادي الى الرشيد رآها كلها الامام موسى بن جعفر بعينه، وشاهدها بنفسه، وذاق ويلاتها، ورافق مآسيها؛ لقد رأى الحق مضاعاً، والعدل مجافى والظلم مسيطراً، والاحرار في القبور وفي غياهب السجون.

عاش في غضون صباه وفي ريعان عمره محنة المجتمع الاسلامي وشقاءه

(١) يعرف هذا الدعاء بدعاء الجوشن الصغير ذكر في مهج الدعوات ص٢٢٠ وفي مفاتيح الجنان وذكره ابن شهراشوب في المناقب.

(٢) الطبري ج١٠ ص٣٣ والجهشياري ص١٧٥ واليعقوبي ج٣ ص١٣٨.

فرأى الأدوار الرهيبة التي مرّت به فلم ينتقل من جور الأمويين وظلمهم حتى وقع تحت وطأة الحكم العباسي، فأخذ يعاني التعسف والجور والاستبداد، وأخذت السلطة العباسية تمعن في نهب ثروات المسلمين وإفقارهم وصرفها على المجون والدعارة كما كان الحال أيام الحكم الأموي. ومن الطبيعي ان يكون لكل ذلك أثر كبير في حياة الامام الكاظم عليه السلام المشحونة بالأسى والحزن.

وقد أُلام لأنني استرسلت في الحديث عن عصر الامام عليه السلام والسبب في ذلك يعود لما لهذه الأحداث الكبيرة والمؤلمة من أثر في حياة الإمام عليه السلام لكنه لم يلن له جانب، ولا تهاون مرّة واحدة، ولم يضعف أمام هول كل هذه الجرائم، بل دافع بكل ما أعطاه الله من قوة، وكظم غيظه، وجاهد صابراً مثابراً مطالباً بحق المسلمين المحرومين، ومناصراً للحق من أجل صيانة الدين والمحافظة على حقوق الأمة الإسلامية.

الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهارون:

لا بد لنا من الحديث عن الأسباب التي دعت هارون الرشيد لسجن الإمام موسى عليه السلام وأظن ان القراء يهمهم الاطلاع على هذه الأسباب، والتعرّف على دور محنته الكبرى أيام اضطهاده في سجن الطاغية هارون.

١ ـ حقد هارون الموروث:

كان الحقد من الصفات الرئيسية التي تميّز بها هارون، فهو لم يرق له أن يسمع الناس أن يتحدثوا عن أي شخصية تتمتع بمكانة عليا في مجتمعه، محاولاً تزهيد الناس واحتكار الذكر الحسن لنفسه، وهذا يدل على منتهى الأنانية الحاقدة، ومنتهى الضعف في الشخصية القلقة.

حسد الرشيد البرامكة وحقد عليهم لما ذاع صيتهم، وتحدّث الناس عن مكارمهم حتى أنزل بهم أشد العقاب وأزال وجودهم.

وحقد على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لما يتحلى به من شخصية فذّة لامعة بعد أن ذاع صيته العطر بين الناس، وتناقلوا فضائله، وتحدّثوا عن علمه الغزير، ومواهبه العالية. وذهب جمهور غفير من المسلمين الى الاعتقاد بإمامته

وأنه أحق بالخلافة من أي شخص آخر في عصره. وكان يذهب الى فكرة الإمامة كبار المسؤولين في دولة هارون مثل: علي بن يقطين، وابن الأشعث، وهند بن الحجاج وأبو يوسف محمد بن الحسن وغيرهم من قادة الفكر الاسلامي. والرشيد نفسه يؤمن بأن الامام موسى بن جعفر عليه السلام هو أولى منه بهذا المنصب الهام في الأمة الاسلامية كما أدلى بذلك لابنه المأمون.

لم يرقَ لهارون أن يرى في المجتمع من هو أفضل منه، وان الجماهير وسائر الأوساط الشعبية والخاصة تؤمن أيضاً هو أولى بالخلافة منه، وان الامام يفوقه علماً وفضلاً وحكمة وثقة، وان المسلمين قد أجمعوا على تعظيمه، فتناقلوا فضائله وعلومه، وتدفقوا على بابه من أجل الاستفتاء في الأمور الدينية. لذلك كله حقد على الامام وارتكب تلك الجريمة المروعة حيث أودعه في ظلمات السجون، وغيّبه عن جماهيره وشيعته، وحرم الأمة الاسلامية من الاستفادة من غزير علومه، ونبل نصائحه، وجميل توجيهاته.

٢ ـ حرص هارون على المُلك:

كان هارون يضحي في سبيل ملكه جميع القيم والمقدسات، وقد عبر عن مدى حرصه على سلطته بكلمته المعروفة التي تناقلتها الأجيال وهي: «لو نازعني رسول الله صلى الله عليه وآله لأخذت الذي فيه عيناه».

أجل! فكيف يخلي عن سراح الامام، وكيف تطيب نفسه وقد رأى الناس أجمعوا على حب الامام وتقديره واحترامه؟

كان هارون يخرج متنكراً الى العامة ليقف على اتجاهاتهم ورغباتهم فلا يسمع إلا الذكر العاطر والثناء الجميل على الإمام، وحب الناس له، ورغبتهم في أن يتولّى شؤونهم، مما دفع به على ارتكاب جريمته وقتله.

٣ ـ الوشاية بالإمام عليه السلام:

من الذين بلي بهم الاسلام جماعة من الأوغاد والمتزلفين، باعوا ضمائرهم فعمدوا الى السعي بالامام عليه السلام والوشاية به عند الطاغية هارون ليتزلّفوا إليه

بذلك. وقد بقي منهم نماذج في جميع مراحل التاريخ.

ـ من هؤلاء من أبلغ هارون بأن الامام تجبى له الأموال الطائلة من شتّى الأقطار الاسلامية، واشترى ضيعة تسمى (اليسرية) بثلاثين ألف دينار، فأثار ذلك كوامن الحقد عند هارون.

وسياسته كانت تجاه العلويين تقضي بفقرهم، ووضع الحصار الاقتصادي عليهم. وهذه الوشاية كانت من جملة الأسباب التي دعت الى سجن الامام عليه السلام [1].

ـ وفريق آخر من هؤلاء الأشرار سعوا بالإمام الى هارون فقالوا له: ان الامام يطالب بالخلافة، ويكتب الى سائر الأقطار الاسلامية يدعوهم الى نفسه، ويحفّزهم ضد الدولة العباسية وكان في طليعة هؤلاء الوشاة يحيى البرمكي. هؤلاء أثاروا كوامن الحقد على الإمام.

ـ ومن الأسباب التي زادت في حقد هارون على الإمام وسببت في اعتقاله احتجاجه عليه السلام عليه بأنه أولى بالنبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم من جميع المسلمين، فهو أحد أسباطه ووريثه، وانه أحق بالخلافة من غيره وقد جرى احتجاجه عليه السلام معه في مرقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أقبل هارون بوجهه على الضريح المقدّس وسلّم على النبي قائلاً: «السلام عليك يا ابن العم» وقد اعتز بك على من سواه، وافتخر على غيره برحمه الماسّة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانما نال الخلافة لقربه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وكان الامام عند ذلك حاضراً فسلّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلا:

«السلام عليكَ يا أبتِ». ففقد الرشيد صوابه، واستولت عليه موجات من الاستياء، فاندفع هارون قائلاً بنبرات تقطر غضباً: «لما قلت إنك أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منّا؟؟».

فأجابه عليه السلام بجواب سديد لم يتكمن الرشيد من الرد عليه. سأله الإمام:

(١) الفصول المهمة ص٢٥٢.

«لو بعث الرسول ﷺ حياً وخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه الى ذلك؟.

فقال هارون: سبحان الله!! وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم.

فقال الإمام عليه السلام مبيناً له الوجه في قربه من النبي ﷺ قائلاً: «لكنه لا يخطب مني ولا أزوجه لأنه ولدنا ولم يلدكم فلذلك نحن أقرب إليه منكم» ثم زاد قائلاً عليه السلام:

«هل يجوز للرسول ﷺ أن يدخل على حرمك وهنَّ مكشفات؟؟».

فقال هارون: لا.

فقال الامام عليه السلام لكن له ان يدخل على حرمي ويجوز له ذلك ولذلك نحن أقرب إليه منكم»[1].

وعندها ظهر عجز هارون فقال له: «لله درّك إن العلم شجرة نبتت في صدوركم فكان لكم ثمرها، ولغيركم الأوراق».

واندفع هارون بعدما أعياه الدليل الى المنطق وأمر باعتقال الامام عليه السلام وزجّه في السجن[2].

٤ ـ صلابة موقف الإمام:

كان موقف الإمام عليه السلام من الطاغية هارون موقفاً واضحاً كل الوضوح، تمثلت فيه صلابة العدل، وقوة الحق، والدفاع عن المظلومين، والوقوف الى جانبهم في كل شؤونهم وشجونهم، فقد أعلن لشيعته أن التعاون مع السلطة الحاكمة حرام ولا يجوز بأي وجه من الوجوه. وشاعت في الأوساط الاسلامية فتوى الامام بحرمة الولاية من قبل هارون، وحرمة التعاون مع الحكام الظالمين فأوغر ذلك قلب هارون وحقد على الامام حقداً بعيد الحدود.

والامام عليه السلام كما يعلم الجميع لا يعرف المصانعة والتسامح مع الحق، ولا

(١) أخبار الدول ص١١٣ ووفيات الأعيان ج١ ص٣٩٤ والاتحاف بحب الأشراف ص٥٥.

(٢) تذكرة الخواص ٣٥٩ طبعاً هذا منطق الظالمين الطامعين.

يداري فيما يعود الاساءة الى مصالح الأمة الاسلامية. فموقفه واضحاً صريحاً. لا لبس فيه.

يروى انه دخل على هارون في بعض قصوره الأنيقة الفخمة التي لم يرَ مثلها في بغداد، فسأله هارون بعد أن أسكرته نشوة الحكم قائلاً: ما هذه الدار؟

فأجابه الامام عليه السلام غير مهتم بسلطانه وجبروته:

هذه الدار دار الفاسقين. قال تعالى: **﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾**[١].

لما سمع هارون هذا الكلام الثقيل على روحه أصابته رعدة عارمة واستولت عليه موجة من الاستياء. فقال للإمام:

ـ دار مَن هي؟

ـ هي لشيعتنا فترة، ولغيرهم فتنة.

ـ ما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

ـ أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلا معمورة.

ـ أين شيعتك؟

ـ فتلا عليه الإمام عليه السلام قوله تعالى: **﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البيّنة﴾**[٢].

فطفح إناء الغضب عند هارون وصاح غاضباً:

ـ أنحن كفار؟!! فقال الإمام: لا، ولكن كما قال تعالى: **﴿ألم ترَ الى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾**[٣].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٢) سورة البينة، الآية: ١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.

فغضب هارون وأغلظ في كلامه على الإمام[1].

هكذا كان موقف الامام عليه السلام مع هارون كموقف أبيه وجده عليهما السلام لا لين فيه ولا هوادة أمام الحق. فالغاصب لمنصب الخلافة هو مختلس للسلطة والحكم، ويجب أن يحاسب ويطالب بحقوق الأمة الاسلامية وكما قال سيّد الشهداء: «ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».

الإمام الكاظم دائرة معارف:

رسالته في العقل:

قبل الحديث عن رسالة الامام موسى عليه السلام في العقل التي تعد ثروة فكرية عظيمة، لا بدّ لنا من الحديث عن منهج أهل البيت عليهم السلام في العقل.

لأهل البيت عليهم السلام منهج علمي خاص لا يحيدون عنه، به يفسرون الأمور الدينية، وبه يقيسون المبادىء والآراء والمعتقدات والفلسفات **وهو العقل السليم**.

بالعقل السليم يستدل على غيره ولا يستدل بغيره عليه. ولأهل البيت كلام كثير بهذا الموضوع ذكره الكليني في أول أصول الكافي منه: «ان الله جعل العقل دليلاً على معرفته... ومن كان عاقلاً كان له دين.. أعلم الناس بأمر الله أحسنهم عقلاً.. العقل دليل المؤمن»

وجاء في نهج البلاغة لأمير المؤمنين: «أغنى الغنى العقل».

معنى هذا ان العقل هو المبدأ الأول لكل حجة ودليل، وإليه تنتهي طرق العلم والمعرفة بكل شيء وكل حكم.

والعقل هو القوة المبدعة التي منحها الله عز وجلّ إلى الإنسان وميّزه به على الحيوان الأبكم، وشرّفه على بقية الموجودات، واستطاع به أن يستخدم الكائنات، ويكشف أسرارها، وبالعقل جعله خليفة في الأرض، ينظّم الحياة عليها ويعمرها.

وقد انتهى الإنسان بفضل عقله الى غزو الفضاء والكواكب، وانطلق انطلاقة

---

(١) البحار ج١١، ص٢٧٩.

رائعة الى اكتشافات مذهلة، وسيصل في مستقبله القريب أو البعيد الى ما هو أعمق وأشمل من ذلك.

إن كل حكم سواء أكان مصدره الوحي أم الحس والتجربة دليله العقل حيث لا وزن للسمع والبصر بلا عقل، ولا سبيل الى العلم بمصدر الوحي الا العقل ودلالته. وبصورة أوضح نحن نأخذ بحكم الوحي والشرع بأمر من العقل، أما حكم العقل فنأخذه ونعمل به، وإن لم ينص عليه الوحي والشرع، والخلاصة أن أبعد الناس عن الدين من يظن أن الدين بعيد عن العقل. وإن ما يقصد إليه هو العقل السليم.

معنى العقل السليم:

العاقل في اصطلاح القرآن الكريم وعند الناس هو الذي يضع الشيء في مكانه ويملك إرادة قوية فيحبس نفسه عما يشين بها ولا يستجيب لهواها إن يكُ مخالفاً للعقل وحكمه. قال تعالى: **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهنّ..»**[1]**﴾** وقال عز وجل: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله..﴾**[2].

وقال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم... فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾**[3].

وقال سبحانه وتعالى: **﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى﴾**[4].

يتضح من هذه الآيات الكريمات ان العاقل هو الذي ينقاد الى حكم العقل، ويؤثره على هواه. وعليه يكون المراد بالعقل السليم: الإدراك النابع من العقل

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.
(٢) صورة ص، الآية: ٥١.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٤) سورة النازعات، الآييتان ٤٠ ـ ٤١.

بالذات، العقل المستنير بالمعرفة والحق والإيمان، وليس من الجهل والتعصب والأهواء الشخصية!!

وما نراه ان الرجل الواقعي الواعي لا يجزم بالفكرة الخاطفة العابرة، ولا ينطلق مع رغبته وإرادته قبل أن يتدبر ويتأمل، بل يتريّث ويملك نفسه ويبحث، حتى يهتدي الى الرأي الناضج الأصيل. على العكس من الرجل العاطفي الذي يبتّ في الأمور برغبته وهواه قبل أن يفكر ملياً، وبتعبير أدق: يصدّق قبل أن يتصوّر.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن العقل فقال: «ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان. قيل له: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل».

ويعني بقوله عليه السلام ان العقل لا يقود الى الحرام كما يفعل الشيطان. والله سبحانه وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه حيث قال: **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾**[(١)].

هذه الآية تعد من أوضح الآيات التي جاءت في العقول السليمة. والإمام عليه السلام استدل بهذه الآية الكريمة على تقديم أهل العقول السليمة على غيرهم لأن الله قد بشّرهم بالهداية والنجاح، وقد تضمنت الآية التي استشهد بها عليه السلام جملة من الفوائد منها:

١ ـ وجوب الاستدلال. ٢ ـ وحدوث الهداية.

١ ـ إذا وقف الانسان على جملة من الأمور فيها الصحيح والفاسد، وكان في الصحيح هدايته وفي السقيم غوايته فإنّه يتحتم عليه أن يميز بينهما ليعرف الصحيح منها فيتبعه، والسقيم فيبتعد عنه، ومن الطبيعي أن ذلك لا يحصل إلا بإقامة الدليل والحجة، وبهذا يستدل على وجوب النظر والاستدلال في مثل ذلك.

٢ ـ كما دلّت الآية على الهداية، فمن المعلوم ان كل عارض لا بدّ له من

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.

موجد كما لا بدّ له من قابل، اما الموجد للهداية فهو الله تعالى ولذلك نسبها إليه بقوله: ﴿أولئكَ الذينَ هَدَاهُمُ الله﴾، وأما القابلون لها كلهم أهل العقول المستقيمة وإلى ذلك أشار بقوله سبحانه: ﴿أولئك هم أولوا الألباب﴾.

ومن المعلوم ان الانسان يقبل الهداية من جهة عقله لا من جهة جسمه وأعضائه، فلو لم يكن كامل العقل لامتنع عليه حصول المعرفة والفهم كما هو ظاهر.

قال الامام موسى الكاظم عليه السلام مخاطباً هشام بن الحكم:

يا هشام: ان الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلة فقال سبحانه: ﴿وإلَهكم إلَهٌ واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[1].

يتوضّح من حديث الإمام هذا ان الله أكمل نفوس أنبيائه بالعقول الفاضلة ليكونوا حججاً على عباده، وهداة لهم الى الطريق السليم لينجوا من مهالك الدنيا ومزالقها، ولو لم يمنحهم العقل لما صلحوا لقيادة الأمم وهدايتها، لأن الناقص لا يكون مكملاً لغيره، وفاقد الشيء لا يعطيه.

كيف نصر الله أنبياءه؟

الله عزّ وجلّ نصر أنبياءه بآيات الصدق، ودلّهم على ربوبيته ببيان الحق، وعلمهم على معرفته وتوحيده بأدلة حاسمة تشهد على وجوده، وتدل على وحدانيته.

وكما قال علماء المنطق والفلاسفة، ان المعلول يدل على العلة، والأثر يدلّ على المؤثّر. وقد استدل الامام الكاظم عليه السلام على فضل الله بالآيات الكريمة،

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٣ ـ ١٦٤.

وذلك في حديثه الذهبي هذا الذي يعتبر من أهم الثروات الفكرية التي أثرت عنه. وقد شرحه شرحاً فلسفياً الشيخ المتأله الآخوند ملا صدرا اقتبسنا بعضه.

قال عليه السلام من خلال هذه الآية الكريمة:

١ ـ [خلق السماوات والأرض]: البقرة الآية ١٦٤.

من أعظم آيات الله خلقه للسماوات التي زيّنها بالكواكب السابحة في الفضاء، وسيرها في مداراتها، متباعداً بعضها عن بعض حسب قواعد الجاذبية؛ وهي مسخّرة في حركاتها وانجذابها، وجذبها بأمر الله تعالى، فبعضها أكبر من الأرض بعدة ملايين، وهي تسير في أفلاكها لا يصطدم بعضها ببعض. آية ظاهرة تنادي بوجود الله جلّت قدرته.

جاء في تفسير المنار للشيخ محمد عبده: ج٢ ص٦٠.

«تتألف هذه الأجرام السماوية من طوائف، لكل طائفة منها نظام كامل محكم، ولا يبطل نظام بعضها نظام الآخر، لأن للمجموع نظاماً عاماً واحداً يدل على أنه صادر عن إلّه واحد لا شريك له في خلقه وتقديره وحكمته وتدبيره، وأقرب تلك الطوائف إلينا ما يسمونه النظام الشمسي نسبة الى شمسنا هذه التي تفيض أنوارها على أرضنا فتكون سبباً للحياة النباتية والحيوانية.

والكواكب التابعة لهذه الشمس مختلفة في المقادير والأبعاد.

وقد استقر كل منها في مداره، وحفظت النسبة بينه وبين الآخر بنسبة إلّهية. ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة في أفلاكها فصدم بعضها بعضاً، وهلكت العوالم بذلك.

فهذا النظام آية على الرحمة الإلّهية كما أنه آية على الوحدانية، يقول العلامة جون وليام كوتس:

«إن ما اكتشفه العلم الحديث من النجوم هو بمقدار من الكثرة بحيث لو كنا نعدّ النجوم كلها بسرعة ١٥٠٠ نجماً في الدقيقة لاستغرق عدنا ٧٠٠ سنة، أما نسبة الأرض إليها فهي أقل كثيراً من نقطة على حرف في مكتبة تضم نصف مليون من

الكتب من الحجم المتوسط[١]. وتابع قائلاً:

«إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة.

إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج الى مدبّر، والتي لا يمكن نسبتها الى قدر أعمى، ولا شك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة وفهم وتقدير ظواهر هذا الكون وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده»[٢].

مما لا شك فيه ان كل ذلك لم يكن وليد الصدفة إذ كيف يمكن أن تفسر هذه العمليات المعقّدة، وكيف نستطيع أن نفسّر هذا الانتظام في ظواهر الكون، والعلاقات السببية، والتكامل والتوافق والتوازن التي تنتظم بسائر الظواهر، وتمتد آثارها من عصر الى عصر؟ وكيف يعمل هذا الكون من دون أن يكون له خالق مدبّر، هو الذي خلقه وأبدعه ودبّر سائر أموره؟؟.

٢ ـ الأرض:

ومن عجائب خلق الله في خلقه هذا الكوكب الذي نعيش عليه، فقد جعله تعالى يدور حول محوره في كل ٢٤ ساعة مرة واحدة، وسرعة حركته ألف ميل في الساعة ولو كان يدور حول محوره بسرعةماية ميل في الساعة لكان طول الليل عشر أمثال ما هو عليه الآن، وكذا طول النهار، وكانت الشمس محرقة في الصيف لجميع النبات، وفي الليالي الباردة كان يتجمد ما عليها من نبات وحيوان، كما أنها لو اقتربت الشمس من الأرض أكثر مما عليه الآن لازدادت الأشعة التي تصل إليها بدرجة تؤدي الى امتناع الحياة عليها، ولو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر لعجزت عن احتفاظها بالغلاف الجوي والمائي اللذين يحيطان بها، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حتى الموت ولو كان قطرها ضعف قطرها الحالي لأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه وانخفض تبعاً لذلك ارتفاع غلافها الهوائي وزاد الضغط الجوي وهو يوجب تأثيراً بالغاً على الحياة فإن مساحة المناطق الباردة تتسع

(١) الله يتجلى في عصر العلم.ص٤٨.
(٢) نفسه ص٤٨.

اتساعاً كبيراً، وتنقص مساحة الأرض الصالحة للسكن نقصاً ذريعاً، وبذلك تعيش الجماعات الإنسانية منفصلة أو في أماكن متنائية فتزداد العزلة بينها، ويتعذر السفر والاتصال بل قد يصير ضرباً من ضروب الخيال.

ولو كانت الأرض في حجم الشمس لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها إلى ماية وخمسين ضعفاً ونقص بذلك ارتفاع الغلاف الجوي ووصل وزن الحيوان الى زيادة ماية وخمسين ضعفاً عن وزنه الحقيقي كما تتعذّر الحياة الفكرية عامة[1].

وميزة أخرى خصّ الله بها الأرض فجعل لها غلافاً غازياً كثيفاً يقدّر سمكه بثمانماية كيلومتر. وهو يتكون من جميع العناصر الضرورية للحياة، وهو السبب في حيلولة الشهب القاتلة الى الأرض كما انه السبب في إيصال حرارة الشمس بصورة معتدلة الى الأرض بحيث يمكن أن تعيش على سطحها الحيوانات والنباتات كما أن له الأثر في نقل المياه والبخار من المحيطات الى القارات، ولولاه لتحوّلت القارات الى أرض قاحلة، وليس لبعض الكواكب هذا الغلاف مما سبب عدم ظهور الحياة عليها.

فالمرّيخ له غلاف غازي ولكنه رقيق جداً وغير صالح للحياة لخلوّه من الأوكسجين.

والزهرة لها غلاف غازي ولكنه مكوّن من ثاني أوكسيد الكربون (co_2) مما يجعله غير صالح لظهور الحياة.

وكذلك القمر له غلاف رقيق خال من العناصر الضرورية للحياة مثل الأوكسجين[2] ناهيك بما في مائها وأنهارها وجبالها ومعادنها من الآيات والعجائب.

قال سماحة الإمام المغفور له كاشف الغطاء:

«حقاً إن من أعظم تلك الآيات التي نمرّ عليها في كل وقت وعلى كل حال هذه الأرض التي نعيش عليها، ونعيش منها ونعيش بها، منها بدؤنا وإليها معادنا

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص١٠ ـ ١١.
(٢) التكامل في الاسلام ج٦ ص١٢٨.

قال تعالى: ﴿. . وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾(١).

وقال رحمه الله: الأرض هي أم المواليد الثلاثة: الجماد، والنبات، والحيوان، وتحوطها العناية بالروافد الثلاثة: الماء والهواء والشمس، فهي الحياة وهي الممات، وفيها الداء، ومنها الدواء وقد تحصى نجوم السماء، أما نجوم الأرض فلا تحصى.

ولا تزال الشريعة الاسلامية قرآنها وحديثها يعظم شأن الأرض وينوه عنها صراحة وتلميحاً. قال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً﴾(٢).

وقال عزّ وجلّ: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلاً. وحدائق غلباً وفاكهة وأبّاً. متاعاً لكم ولأنعامكم﴾(٤).

ومع تقدم الاكتشافات والاختراعات، واستخدام العقول الثاقبة جميع وسائل العلم، لم تصل هذه العقول الى تحليل جميع عناصر الأرض واستخراج جميع كنوزها، فسبحانه ما أجلّ قدرته، وأعظم صنعه. . !!

٣ ـ واختلاف الليل والنهار:

ومن آياته عز وجلّ اختلاف الليل والنهار؛ ذكر علماء التفسير للاختلاف وجهين: (أحدهما) مأخوذ من خلفه يخلفه وإذا ذهب الأول وجاء الثاني، فيكون المراد باختلاف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء. (والثاني) الاختلاف في الطول والقصر، والنور والظلمة، والزيادة والنقيصة؛ وكما انهما يختلفان في الزمان فكذلك يختلفان في المكان، فإذا افترضنا الصبح قد حلّ في موضع ما، فهي

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.
(٢) سورة المرسلات، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦.
(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.
(٤) سورة عبس، الآيات ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢.

في موضع آخر ظهر، وفي مكان آخر عصر، وفي مكان آخر مغرب. . . وهلمّ جرا.

وذلك لكروية الأرض. وهذا الاختلاف من آثار النظام الشمسي الذي يدل على وحدة الله ووجوده. كما ان هناك مصالح لا تحصى ترتبت على هذا الاختلاف: وعلى سبيل المثال: أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة في النهار، وطلب الراحة في الليل. الى غير ذلك من المصالح الحيوية التي ذكرها العلماء في سرّ هذا الاختلاف التي تكشف عن وجود الله سبحانه وتعالى، وعن جميل صنعه، وعظيم قدسه.

٤ ـ وجريان الفُلك:

ويرشح من هذه الآية الكريمة جريان الفلك في الماء، فلولا لطافة الماء وخفتها لما أمكن جريان البواخر والسفن فيه، كما أنه لولا الرياح المعينة على تحريكها الى الجهات المختلفة التي يبغيها الناس لما أمكن النفع بها، وقد جعل الله تلك الرياح متوسطة الهدوء ولو كانت عاصفة لتحطمت البواخر، بالاضافة الى أن مواد السفن من الخشب والحديد وغيرها هي من خلق الله تعالى ومن إبداعاته، وإن كانت الهيئة التركيبية من الناس[١].

٥ ـ نزول الماء من السماء:

ومن آياته تعالى إنزال الماء من السماء فإنه من عجائب صنعه جلّت قدرته، فقد خلقه مركباً من الأكسجين والهيدروجين بنسبة واحد (O) وإثنان (H). وكل عنصر من أجزائه يختلف عن العنصر الآخر ويخالفه وجعله تعالى سبباً لحياة الإنسان وسبباً لرزقه ومعيشته فقال سبحانه: **﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾**[٢].

فنزول المطر حياة للأرض، لأن فيها قوة الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية، فيحصل بذلك النبات والأزهار والرياحين، وتلبس الأرض فستانها القشيب الجميل المضمخ بعطر الزهور، ولا ريب ان الجمال يبعث على البهجة

---

(١) راجع تفسير الرازي ج٢ ص٦٨.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٠.

والمسرّة لكل من نظر اليها، وهذا هو المراد من حياتها. وفي ذلك شواهد على قدرة الصانع الماهر وابداعه. ولو أمعن الإنسان في النبات والزرع وما فيهما من العجائب لآمن بقدرة الله وجمال صنعه وحسن تدبيره. فالزرع بحكمة إلّهية يخرج بالحد الذي يحتاج إليه الإنسان في أوقات معلومة، فما يخرج في موسم الربيع لا يخرج في الخريف وما يخرج في موسم الصيف لا يدرك في الشتاء زد على ذلك الأشجار المتنوعة الثمار، فإنها متغايرة بألوانها وطعمها ورائحتها وفائدتها الصحية مع أنها تسقى بماء واحد، وتخرج من أرض واحدة، فلو نظر الإنسان الى كل ذلك بعين بصيرة لآمن بربّه وما زاغ قلبه وما خرج عن جادة الإيمان. المهم أن يعمل بعقله السليم ويفكر ملياً. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«تفكير ساعة خير من عبادة سنة».

٦ ـ بثّ الدواب في الأرض:

ومن آياته العظيمة سبحانه وتعالى بثّ الحيوانات في الأرض المختلفة، في أنواعها وأصنافها وأشكالها وطبايعها المختلفة، ومعيشتها المتباينة. ولا يخفى ان الانسان كما عرّفوا عنه حيوان ناطق لكنه شرّفه الله بالعقل المستنير، واللسان الناطق الفصيح، فهو خليفة الله في أرضه، وهو النموذج المحتذى لجميع ما في العالمين: عالم الملك، وعالم الملكوت، وبصورة خاصة حسب وعيه وإدراكه وإحاطته بما يخزن في ذاكرته من الحقائق والمعلومات الكليّة والجزئية، بل هو أكبر ما في العالم؛ يقول الإمام علي بن أبي طلب عليه السلام:

أتحسب أنك جرم صغير — وفيك انطوى العالم الأكبر

ولنتأمل في تكوين الإنسان فنرى فيه أعظم آيات الله، الأجهزة الدقيقة التي لا تعد ولا تحصى كتكوين العين التي تحتوي على ١٣٠ مليون من مستقبلات الضوء وهي أطراف أعصاب الأبصار، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذي يقيها ليلاً نهاراً، وتعتبر حركته حركة غير إرادية يمنع عنها الأتربة والذرّات، كما يكسر من حدة الشمس. ثم جعل لها سبحانه السائل المحيط بها المعروف بالدموع التي يقول عنها الأطباء: انها من أقوى المطهّرات والمعقّمات، الى غير ذلك مما هو أبلغ دليل على وجود الله مبدع الكون. قال تعالى: **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن**

تقويم﴾[1] وفي الإنسان حاسة السمع وهي أعجب أجهزة الإنسان، تحتوي على مجموعة أقنية بين لولبية ونصف مسدتيرة، ففي القسم اللولبي وحده أربعة آلاف قوس صغيرة متصلة بعصب السمع في الرأس. فما طول هذه الأقواس؟ وما حجمها؟ وكيف ركبت؟ إنها دقة تحيّر الألباب، فسبحان الله المبدع المصوّر!!

وفي الإنسان حاسة الشم: وهي من أعظم آيات الله فمركز هذه الحاسة منطقة محدودة من الغشاء المخاطي المبطن لتجويف الأنف، تسمى منطقة الشم، وهي خالية من الأهداب وبها عدة خلايا شمّية طويلة رقيقة تنقل الأثر إلى المخ، وذلك في جزء من الأنف، وهو المدخل الرئيسي للجهاز التنفسي الذي يتوقف عليه حياة الإنسان.

وفي جسم الإنسان: الجهاز العظمي، وهو يتكوّن من ٢٠٦ عظمة مختلفة الأشكال، يتصل بعضها ببعض بالمفاصل التي تحركها العضلات، وهذه العظام يقول عنها العلماء: انها مصنع **الحياة** في الجسم إذ أنها تكوّن الكريات الدموية الحمراء والبيضاء.

ومن عجيب أمر هذه الكريات أنها في كل دقيقة من حياة الإنسان يموت منها ما لا يقل عن ١٨٠٠٠٠٠٠٠ماية وثمانين مليون بسبب دفاعها عن الجسم ضد المكروبات الوافدة.

وبالإضافة الى ما تصنعه العظام من كريات الدم فإنها مخزن تحفظ للجسم ما يزيد عن حاجته من الغذاء، سواء كان ذلك في داخل العظام نفسها كالمواد الدهنية والزلالية، أو على العظام نفسها كالمواد الجيرية.

أما عن أشكال العظام الملائمة لكل موضع خلقت له فهذا أمر عجيب، فعظام الجمجمة تحمي المخ لأنها أشد صلابة من غيرها...

إلى غير ذلك مما في الإنسان من الأجهزة الأخرى التي يطول الحديث عنها ولها علماؤها المختصون بها:

---

(١) سورة التين، الآية: ٤.

كالجهاز العصبي، والجهاز اللمفاوي، والجهاز التناسلي، والجهاز العضلي. وهي تدل بوضوح على قدرة صانعها ودقة إبداعه[1].

٧ ـ تسخير السحاب:

كل ما في الكون سخّره سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان، ومصالحه وسعادته، ومن آياته تسخير السحاب، فقد سخّره في أوقات مخصوصة لإحياء العباد والبلاد، واستمرار وجوده يؤدي الى فساد جميع المركبات التي تتوقف على الجفاف، لأنه يستر أشعة الشمس؛ وانقطاعه يؤدي الى القحط فيهلك الإنسان والحيوان فكان تقديره بالأوقات الخاصة، والفصول المعيّنة، بحكمة إلّهيّة لأجل الصالح العام، لعامة المخلوقات. وهذه بلا ريب من رحمته الواسعة التي وسعت كل شيء.

والسحاب كما هو معلوم يتكوّن من تكاثف البخار في الهواء، ويختلف ارتفاعه على حسب نوع السحب، فمنها ما يكون على سطح الأرض كالضباب، ومنها ما يكون ارتفاعه بعيداً الى أكثر من ١٢ كيلومتراً، وعندما تكون سرعة الرياح الصاعدة أكثر من ثلاثين كيلومتراً في الساعة لا يمكن نزول قطرات المطر المتكوّن، وذلك لمقاومة الرياح لها.

وكلما تناثرت النقط تشحن بالكهرباء الموجبة، وتنفصل عنها الكهرباء السالبة التي تحملها الرياح.. وبعد مدة تصير مشحونة شحناً وافراً بالكهرباء، وعندما تقترب الشحنتان بعضها من بعض بواسطة الرياح.. يتم التفريغ الكهربائي، وذلك بمرور شرارة بينهما، ويستغرق وميض البرق لحظة قصيرة ويكون شكله خطاً منكسراً، ويسمع بعده الرعد وهو عبارة عن الموجات الصوتية التي يحدثها الهواء، وتخيّم السحابة، ويتنزل منها المطر الذي يغيث الأرض فتأخذ منها حاجتها المطلوبة.

(١) من المفيد في هذه البحوث مراجعة موسعة في المصادر التالية:
١ ـ أمالي الإمام الصادق عليه السلام ٢ ـ الله يتجلى في عصر العلم.
٣ ـ العلم يدعو للإيمان ٤ ـ الله والعلم الحديث.

فتأمل كيف ولدت الرياح الكهرباء بنوعيه الموجب والسالب في السحب، وسببت نزول المطر منها[1]. كل ذلك بتقدير دقيق من الله العزيز العليم الرحيم...

هذا بعض ما ورد في الآية الكريمة من الشواهد والأدلة الواضحة على وجود الله تقدّس اسمه وتعالى ذكره. فهو المصدر الوحيد لوجود هذه العوالم. وقد استدل الإمام عليه السلام بهذه الآيات لدعم حقيقة الإيمان.

من وصية له عليه السلام لهشام بن الحكم في وصفه للعقل:

إن الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه العزيز فقال سبحانه: **﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾**[2].

استدل عليه السلام بهذه الآية لترغيب الناس على اتباع القول الحسن، وهذه الفئة من الناس يبشرهم الله انهم على هداية منه وهم أصحاب العقول الراجحة، يميزون بنور عقولهم بين الكلام الخبيث فيتجنبونه والكلام الحسن فيتبعونه.

ثم تابع عليه السلام القول لهشام «يا هشام: قد وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال عزّ وجلّ: **﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾**[3].

وهنا أيضاً يرغّب الله تعالى عباده العقلاء في دار الخلود والنعيم، ويذم دار الدنيا لأنّها محصورة على الأكثر في اللهو واللعب، فالعقلاء يزهدون فيها، ويجتنبون شرّها وحرامها، ويعملون للدار الباقية التي أعدت للمتقين، والعباد الصالحين.

(١) الله والعلم الحديث ص١٧٤ ـ ١٧٥.
(٢) سورة الزمر، الآية ١٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٢.

يا هشام: ثم خوف الذين لا يعقلون عذابه فقال عزّ وجلّ:

﴿ثم دمّرنا الآخرين. وإنكم لتمرون عليهم مصبحين. وبالليل أفلا تعقلون﴾[1] استدل عليه السلام بهذه الآية وما شابهها على تدميره تعالى للذين لا يعقلون من الأمم السالفة التي كفرت بالله وقد نزلت في قوم لوط حينما جحدوا الله وكفروا بآياته، فأنزل تعالى بهم عقابه، وجعل موطنهم قبيح المنظر منتناً يمر بها المارون ليلاً نهاراً ساخرين من أهلها حيث جعلهم عبرة للذين يعقلون، وقد حذّرهم من مخالفة المرسلين الصالحين، فإن عاقبة المخالفة والعصيان الدمار والهلاك.

ثم بين ان العقل مع العلم فقال سبحانه:

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالِمُون﴾[2].

استدل عليه السلام بالآية الكريمة على ملازمة العقل للعلم فان العقل بجميع مراتبه لا يفترق عن العلم فكلاهما صنوان متلازمان

قال المفسرون عن سبب نزول هذه الآية: إنّ الكافرين انتقدوا ضرب الأمثال بالحشرات والهوام كالذباب والبعوض والعنكبوت...

وفي نظرهم أن الأمثال يجب ان تضرب بغير ذلك من الأمور الهامة وفي نظرنا ان منطقهم هذا هزيل للغاية لأن التشبيه إنما يكون بليغاً فيما إذا كان مؤثراً في النفس.

ثم ذم الذين لا يعقلون في فصل آخر لان معرفة حقيقة الاشياء لا يميزها إلا العالمون الذين حصل لهم العلم والمعرفة **﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾**.

يا هشام: **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليها آباءنا**

---

(١) سورة الصافات الآية ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[1].

وقال سبحانه: **﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾**[2].

ثم تابع في سرد الآيات الشبيهة بهذه وكلها تذم الذين لا يعقلون[3] استدل الإمام عليه السلام بهذه الآيات الكريمة على ذم من لا يعقل، ففي الآية الأولى من هذا الفصل يقول الطبرسي:

لقد اتبع القوم أسلافهم ومشايخهم في الأمور الدينية من غير بصيرة ولا دليل، والذي حفزهم إلى اتباعهم الجهل والتعصب والغباوة وهذه الآية حسب رأي المفسرين نزلت في اليهود حينما دعاهم الرسول الأكرم إلى الإسلام فرفضوا ذلك، وقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيراً منا[4]. ولو كانت لهم عقول سليمة، وأفكار ناضجة لفقهوا أن التقليد في العقائد لا يقرّه العقل السليم، لأن العقيدة لا تؤخذ إلا من الدليل العلمي الصحيح، وهي أساس ثابت لحياة الإنسان وسلوكه. إذ ما من عاقل إلا وهو عرضة للخطأ في فكره، ولا ثقة في الدين إلا بما أنزل الله، ولا معصوم إلا من عصم الله، فكيف يرغب العاقل عما أنزل الله في اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل؟؟!

والآية الثانية متممة للآية الأولى:

فإنّه تعالى لما وصف حالة الكفّار في إصرارهم على التقليد الأعمى عند دعوتهم إلى الإسلام، ضرب لهم مثلاً للسامعين عن حالهم بأنهم كالأنعام والبهائم التي لا تعي دعاء الداعي لها سوى سماع الصوت منه دون أن تفهم المعنى، فكذلك حال هؤلاء لا يتأملون دعوة الحق ولا يعونها، فهم بمنزلة الجاهلين لا يعقلون،

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٧١.
(٣) راجع يونس الآية٤٢ والفرقان الآية٤٤ والحشر الآية١٣ والبقرة الآية٤٤.
(٤) التبيان في تفسير القرآن ج١، ص١٨٨.

وهذا أعظم قدح وذم للذين لا يعقلون. لأن الإنسان إذا اتهم بعقله فقد دنياه وآخرته.

وفي الآية الثالثة: وصف سبحانه منتهى القسوة وجمود الطبع وخمول الذهن لبعض الكفار فهم يستمعون ما يتلى عليهم من الآيات والأدلة على صحة دعوة النبي ﷺ ولكنهم صم بكم لا يسمعون ولا يفقهون، وبذلك لا جدوى ولا فائدة في دعوتهم إلى اعتناق هذا الدين؛ لقد بلغوا الحد الأقصى في أمراضهم العقلية والنفسية، ولا يجدي معهم أي نصح أو إرشاد أو علاج.

وسنكتفي بهذا القدر من الآيات التي استدل بها عليه السلام على ذم من لا يعقل من الناس. والآن إلى فصل آخر من كلامه، قال عليه السلام: «يا هشام: لقد ذم الله الكثرة فقال: **﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾**[1]. وقال سبحانه أيضاً:

﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾[2].

استدل عليه السلام بهاتين الآيتين على ذم أكثر الناس لأنهم قد حجبوا عن نفوسهم الحق، وتوغلوا في الباطل، وغرقوا في الشهوات، إلا من رحمه الله منهم. ففي الآية الأولى:

خاطب تعالى نبيه ﷺ وأراد به غيره، فإنه لو أطاع الجمهور من الناس وسار وفق أهواءهم وميولهم لأضلوه عن دين الله وصرفوه عن الحق. وفي الآية الثانية:

دلت على أن أكثر الناس يقولون ما لا يعلمون، وانهم لا يؤمنون بالله في قلوبهم، بل إنما يجري على ألسنتهم دون أن ينفذ إلى أعماق قلوبهم[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.

(٢) سورة لقمان، الآية ٢٥.

(٣) راجع روح المعاني ج٦ ص٤٢٣.

ثم مدح القلّة فقال:

«يا هشام: قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾(١).

وقال: ﴿ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾(٢).

وقال: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾(٣).

وقال: ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾(٤).

استدل عليه السلام من خلال هذه الآيات الكريمة على مدحه قلة المؤمنين، وندرة وجودهم، كما صرحت الأحاديث النبوية والأخبار الواردة عن أهل البيت بذلك، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«المؤمنة أعز من المؤمن، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟».

والسبب في ندرة هذه الفئة من المؤمنين الصالحين يعود إلى أن الإيمان الحقيقي بالله يعد من أعظم مراتب الكمال التي يصل إليها الإنسان.

لكن الوصول إلى هذا الايمان يصطدم بموانع كثيرة تحول دون الوصول إليه مثل: التربية البيتية السيئة حيث يعتاد الفرد على الغش والخداع والكذب منذ الطفولة الأولى.

إن التفاحة الفاسدة تفسد التفاح السليم، والرفيق المنحط أخلاقياً وسلوكياً يفسد غيره من الرفاق الصالحين، لأن الانزلاق نحو الرذائل أسهل من الصعود نحو

---

(١) سورة سبأ، الآية ١٣.
(٢) سورة هود، الآية ٤٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٧.
(٤) سورة المائدة، الآية ١٠٣.

الفضائل، والمثل العليا وهناك حواجز كثيرة تؤدّي إلى حجب الإنسان عن خالقه، وتماديه في الاثم والموبقات.

(وقليل من عبادي الشكور) تعني صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه فيما خلق لأجله. وهذه أعظم مرتبة لا تصدر إلا ممن عرف الله واعتقد بأن جميع الخيرات والنعم صادرة منه سبحانه وتعالى. فيعمل بكل طاقته على تحصيل الخير وردع نفسه عن الحرام وحينئذٍ يكون من الشاكرين، والشكر لله بهذا المعنى من المقامات العالية التي لا يتصف بها إلا القليل من عباد الله.

وننتقل إلى فصل آخر من كلامه عليه السلام مخاطباً هشام.

«يا هشام: ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وأفضل الصفات فقال: **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾**[1].

وقال: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿أفمن يعلم انما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾**[4].

ـ استدل عليه السلام بهذه الآيات الكريمة على مدح العقلاء المتفوّقين على غيرهم، فقد مدحهم تبارك وتعالى بأحسن الصفات، وأضفى عليهم النعوت السامية. ففي الآية الأولى: منح بعض عباده (الحكمة) وهي من أعظم المواهب،

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.
(٣) سورة الرعد، الآية ١٩.
(٤) سورة الزمر، الآية ٩.

ومن أجل الصفات، فقد قيل في تعريفها، إنّها العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته. ثم وصف تعالى من مُنِحَ بها بأنه أوتي خيراً كثيراً ولا يعلم معنى الحكمة ولا يفهم القرآن الكريم إلا أُولوا الألباب.

وفي الآية الثانية: وصف تعالى عباده الكاملين في عقولهم بثلاثة أوصاف: ١ ـ الرسوخ في العلم. ٢ ـ الايمان بالله. ٣ ـ العرفان بان الكل من عند الله[١].

ثم بين سبحانه: ان المتصفين بهذه النعوت العظيمة هم العقلاء الكاملون الذين هم ذووا الألباب.

وفي الآية الثالثة دلالة على التفاوت بين من يسهر ليله في طاعة الله وبين غيره الذي يقضي أوقاته بالملاهي والملّذات، وهو معرض عن ذكر الله، فكيف يكونان متساويين. هذا غير معقول!

وقال عليه السلام: «يا هشام: إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[٢] يعني العقل.

وقال تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾[٣] يعني الفهم والعقل» وضّح عليه السلام ان المراد بالقلب ليس العضو الخاص الموجود عند الإنسان وعند الحيوان، بل المراد منه هو العقل الذي يدرك المعاني الكلية والجزئية ليتوصل إلى معرفة حقائق الأشياء وهو بذلك يمثل الكيان المعنوي للإنسان.

وفي الآية الثانية يشير عليه السلام إلى نعمة الله تعالى على لقمان، فقد منّ عليه بالحكمة، وهي من أفضل النعم وأجلها. ثم أخذ عليه السلام يتلو على هشام بعض حكم لقمان ونصائحه لولده فقال:

«يا هشام: ان لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس.

يا بني: إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها

---

(١) يعني المحكم والمتشابه من الآيات.

(٢) سورة ق، الآية ٣٧.

(٣) سورة لقمان، الآية ١١.

تقوى الله، وحشوها الايمان، وشراعها التوكّل، وقيّمها العقل، ودليلها العِلم، وسكّانها الصبر».

لقد ركز لقمان الحكيم في وصيّته لولده بالتواضع للحق، فلا يرى الإنسان لنفسه وجوداً إلاّ بالحق ولا قوّة له ولا لغيره إلاّ بالله.

والتواضع من أفضل الصفات. وقد ورد عن النبي ﷺ انه قال: «من تكبر وضعه الله، ومن تواضع لله رفعه الله».

وورد عنه ﷺ في تعديد أقوام ذمهم: «ورجل ينازع اللهَ رداءَه، فإن رداءه الكبرياء وإزاره العظمة»[1].

فالمراد بذلك ان الكبرياء والعظمة من صفات الله جلّ جلاله، لا يجوز لأحد من عباده أن يتصف بهما.

فالإنسان كلما تواضع كلما تجرد عن الأنانية، ومحا عن نفسه التكبر، زاده الله شرفاً وفضلاً.

ثم شبه لقمان الحكيم الدنيا بالبحر ووجه الشبه في ذلك:

تغير الدنيا وتغير أشكالها وصورها في كل لحظة، فالكائنات التي فيها كالأمواج في البحر معرضة للزوال والفناء.

ويحتمل وجه آخر للشبه أن الدنيا كالبحر الذي يعبر عليه الناس، فالدنيا يعبر عليها الناس إلى دار الآخرة وتكون النفوس فيها كالمسافرين، والأبدان كالسفن والبواخر تنقلهم من دار الدنيا إلى دار الخلود. وقد غرق كثير من الناس في هذه الدنيا، وسبب غرقهم يعود لتهالكهم على الشهوات.

ولما كانت الدنيا بحراً توجب الغرق والهلاك، فلا نجاة منها إلا بسبيل واحد: ألا وهو الصلاح والتقوى؛ ويكون شراعها التوكل على الله والاعتماد عليه في جميع الأمور. كما أنه لا بد من عقل يكون قيّماً لتلك السفينة ورباناً لها، والعقل

(١) المجازات النبوية للشريف الرضي ص٤٤٠، وبذلك تكون العظمة والكبرياء هما الكرامة التي يلقيها الله سبحانه على رسله القائمين بالقسط فيعظمون بها في العيون ويُجلّون في القلوب.

نور دليله العلم والمعرفة فإن نسبته إليه كنسبة الرؤية من البصر؛ ومع هذه الخصال كلها لا بد من الصبر فإن ارتقاء الإنسان وقربه من ربّه لا يحصل إلاّ بمجاهدات قويّة للنفس.

ولننتقل إلى مشهد آخر من كلامه عليه السلام:

«يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة».

ينظر من كلامه عليه السلام التأكيد على شرف الأنبياء العظيم وفضلهم الكبير بكمال عقولهم. ولا ريب ان وفور العقل من أفضل ما يمنح به الإنسان، إذ به يتوصّل إلى سعادة الدنيا، والفوز في دار الآخرة.

والعقل حسنة كبرى من حسنات الله تبارك وتعالى، ونعمة جُلّى لا تحصى فضائلها.

قال أمير المؤمنين في بعض حكمه: «أغنى الغنى العقل».

ثم تابع عليه السلام قائلاً لهشام:

«يا هشام: لو كان في يدك جوزة وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة، وقال الناس: إنها جوزة ما ضرّك وأنت تعلم أنّها لؤلؤة».

كل ذلك يعود إلى قوة العقل وحسن التمييز، فالعاقل هو الذي يعتمد على نفسه ما دام متأكّداً مما هو عليه، ولا يعير بالاً للآخرين من الناس الجاهلين الذين يقولون ما يحلو لهم دون رويّة أو تعّقل ما ينفع العقل إذا خدع الإنسان نفسه؟!

وقال عليه السلام «يا هشام: إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فاما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام.

وأما الباطنة فالعقول» ثم تابع عليه السلام:

«يا هشام: إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره».

ذكر عليه السلام في الفقرات الأخيرة من كلامه إلى بعض أحوال العقلاء من أنهم لا تمنعهم كثرة نعم الله عليهم من شكره تعالى، كما لا تزيل صبرهم النوائب والكوارث. ثم قال عليه السلام :

«يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعلن هواه على هدم عقله: من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه».

ذكر عليه السلام في كلامه هذا أن في الإنسان قوتين متباينتين، وهما:

العقل والهوى، ولكل واحدة منهما صفات ثلاث تضاد الصفات الأخرى فصفات العقل: التفكر، والحكمة، والاعتبار.

وصفات الهوى: طول الأمل، وفضول الكلام، والأنغماس في الشهوات. فطول الأمل في الدنيا يمنع من التفكر في أمور الآخرة، ويبدد نور الفكر بالظلمة، ويحجبه عن الانطلاق في ميادين الخير.

وفضول الكلام يمحي طرائف الحكمة من النفس.

أمّا الانغماس في الشهوات فإنّه يعمي القلب، ويذهب بنور الايمان، ويطفىء نور الاستبصار والاعتبار من النفس، فمن سلّط هذه الخصال العاطلة على نفسه، فقد أعان على هدم عقله، ومن هدم عقله فقد أفسد دينه ودنياه.

وقال عليه السلام : «نُصِبَ الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد[1]، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل».

وهو يعني عليه السلام ان المعارف جميعها لا تحصل إلاّ بالعلم، والعلم لا يحصل إلاّ بالتعلم، والتعلّم لا يحصل إلاّ بالعقل. فمن عقل علم، ومن علم عاش سعيداً مأنوساً في الدنيا، وغانماً كريماً في الآخرة.

---

(١) يعتقد أي يشتد ويستحكم.

وقال عليه السلام: «يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود».

فهو يعني عليه السلام ان قليل العمل من العالم مقبول والسبب في ذلك يعود: بأن العلم يطهّر النفوس، ويصفّي القلوب، ويوصل إلى معرفة الله عزّ وجلّ وفضيلة كل عمل إنما هي بقدر تأثيرها في صفاء القلب، وإزالة الحجب عن النفس، والظلمة عن الروح. وهي تختلف بحسب الأفراد، فربَّ إنسان يكفيه قليل العمل في صفاء نفسه نظراً لِلَطَافَة طبعه، ورقة حجابه، ورب إنسان لا يؤثر العمل الطيّب الذي يصدر منه في صفاء ذاته، نظراً لكثافة طبعه، وكثرة الحجب على نفسه.

وقال عليه السلام: «يا هشام: إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنّهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة.

فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته».

ذلك ان الأعمار بيد الله سبحانه، وساعة كل انسان مجهولة، وقد تكون قريبة، فمن لم يحضر نفسه لها فقد يخسر ولا مجال عنده للتعويض. وقال عليه السلام: «يا هشام: إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾**[1]».

لقد قالوا هذا القول حين علموا ان القلوب تزيغ وتعود إلى عماها، وانه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلاّ بظاهر منه، وناطق عليه».

لقد أشار الإمام عليه السلام بكلامه هذا إلى أن المؤمن إذا لم يكن قلبه مستضيئاً بهدى الله، فإنّه لا يكون آمناً من الزيغ، كما لا يكون آمناً من الارتداد بعد الدخول

(١) سورة آل عمران، الآية ٨.

في حظيرة الاسلام، والقرآن الكريم أشار إلى هذه الظاهرة. قال تعالى: ﴿. . . رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾[1].

ولذلك يدأب الصالحون بالسؤال من الله في أن لا يزيغ قلوبهم حتى لا يضلوا عن دينه، لأنّ النفوس البشرية بحسب طبيعتها ونشأتها إذا لم يساعدها التوفيق لا تنجو من وساوس الشيطان وغوايته، وهنا يذكر عليه السلام هشاماً بقول لأمير المؤمنين عليه السلام:

«يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عُبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تم عقل امرىء حتى يكون فيه خصال شتى:

الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيراً منه، وانه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر».

وهنا نراه يستدل بكلام جده عليه السلام الذي تعرض فيه لصفات العقلاء ثم تابع قائلاً عليه السلام:

«يا هشام: من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيّته زيد في رزقه ومن حسن برّه بإخوانه وأهله مدّ في عمره».

«يا هشام: لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

فما أحرانا نحن اليوم لنأخذ بكل أقواله عليه السلام وبخاصة بهذه الحكمة بالذات حيث نرى الحكمة مظلومة وأهلها مظلومين؟!

«يا هشام: «لا دين لمن لا مروءة[2] له، ولا مروءة لمن لا عقل له، وان أعظم

(١) سورة التوبة، الآية ٩٣.

(٢) كلمة مروءة غير موجودة إلا في اللغة العربية وتعني: آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان =

الناس قدراً الذين لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، أما أن أبدانكم ليس لها ثمن إلاّ الجنة، فلا تبيعوها بغيرها».

والمعنى: يجب أن تصرف الطاقات البشرية في طاعة الله تعالى ليحصل الإنسان على الثمن وهو الجنّة.

وقال عليه السلام: «أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها» ونقل صاحب الوافي عن استاذه ايضاحاً لمقالة الإمام ما نصه:

«إن الأبدان في التناقص يوماً فيوماً وذلك لتوجه النفس منها إلى عالم آخر فإن كانت النفس سعيدة كانت غاية سعيه في هذه الدنيا وانقطاع حياته البدنية إلى الله سبحانه وإلى نعيم الجنان، لكونه على منهج الهداية والاستقامة، فكأنه باع بدنه بثمن الجنة معاملة مع الله تعالى، ولهذا خلقه الله عزّ وجلّ.

وإن كانت شقيّة كانت غاية سعيه وانقطاع أجله وعمره إلى مقارنة الشيطان وعذاب النيران، لكونه على طريق الضلالة، فكأنّه باع بدنه بثمن الشهوات الفانية، واللذات الحيوانية التي ستصير نيراناً محرقة، وهي اليوم كامنة مستورة عن حواس أهل الدنيا، وستبرز يوم القيامة **﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾** معاملة مع الشيطان **﴿وخسر هنالك المبطلون﴾**.

وننتقل الآن إلى فصل آخر يتحدث فيه عن حزم العاقل واحتياطه في أقواله. قال عليه السلام: «يا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاثة خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق».

وقال الحسن بن علي عليه السلام: «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، فقيل له: يابن رسول الله ومن أهلها؟

ـ الذين خصهم الله في كتابه وذكرهم، فقال: **﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من**

= على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات أو هي: كمال الرجولية. المعجم الوسيط ج٢.

ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[1] قال: أولوا العقول.

وقال علي زين العابدين عليه السلام: مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروءة، وارشاد المستشير قضاء النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً. ثم زاد عليه السلام: «يا هشام: إن العاقل لا يحدِّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعِدُ ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه».

أراد بهذه الفقرات إلى حزم العاقل في تحفظه على أقواله وشرفه ومنزلته وتوقفه من الإقدام على ما لا يثق بحصوله.

وقال عليه السلام: «يا هشام الحياء من الايمان، والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار».

ثم انتقل عليه السلام إلى فصل آخر يركز فيه على اقتران القول بالعمل.

قال عليه السلام: «طوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول. يا عبيد السوء إتخذوا مساجد ربكم سجوناً لأجسادكم وجباهكم. واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى. ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات، وإن أجزعكم عند البلاء لأشدكم حباً للدنيا، وإن أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا.

يا عبيد السوء لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة، ولا بالثعالب الخادعة ولا الذئاب الغادرة ولا بالأسد العاتية كما تفعل بالفراس. كذلك تفعلون بالناس، فريقاً تخطفون، وفريقاً تغدرون بهم.

وبحق أقول لكم: لا يغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة.

لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة. كذلك أنتم

(١) سورة الرعد، الآية ١٩.

تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم.

يا عبيد الدنيا إنما مثلكم مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه.

يا بني اسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جُثواً على الركب، فإن الله يحي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل المطر»[1].

وهذه بعض الوصايا التي زادها الحسن بن علي الحراني فقال:

«يا هشام أصلح يومك الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو، وأعد له الجواب، فانك موقوف ومسؤول. وخذ موعظتك من الدهر وأهله، وانظر في تصرف الدهر وأحواله، فإن ما هو آتٍ من الدنيا كما ولّى منها، فاعتبر بها، وقال علي بن الحسين عليه السلام:

«إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها بحرها وبرها، وسهلها وجبلها عند ولي من أولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال، ثم قال عليه السلام:

«حر يدع هذه اللماظة (الدنيا) لأهلها فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها، فانه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس».

«يا هشام: إن كل الناس يبصرون النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك «انتم تدرسون» الحكمة، لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها».

وهنا كأنه عليه السلام يذكّر أهل العقول النيِّرة ان يقولوا ويدرسوا ويفهموا ثم عليهم أن يقرنوا العلم بالعمل.

أما الذين يرون ببصرهم ويقفلون بصيرتهم فهم ضالون في حياتهم وضالون في آخرتهم، يخرصون ولا يعرفون، ويغدرون ولا يعرفون...

قال أحد الحكماء مركزاً على المعرفة المقرونة بالعمل:

---

(١) راجع أصول الكافي ج١، ص١٣ ـ ٢٠ انتهت هذه الرسالة على رواية الشيخ الكليني وقد ذكر زيادة عليها الحسن بن علي الحراني في كتابه تحف العقول وسوف نقتطف منها بعض دررها التي أهملها الكليني.

عندما تقترن المعرفة بالعمل يرزقان صبياً يسميانه الصدق.

وعندما تقترن المعرفة بالعمل ينجبان بنتاً يسميانها الوفاء.

ويلعب الجميع لعبة أظنها الحرية.

وقال عليه السلام: «يا هشام: مكتوب في الانجيل: «طوبى للمتراحمين، أولئك هم المرحومون يوم القيامة. طوبى للمطهَّرة قلوبهم، أولئك هم المتقون يوم القيامة. طوبى للمتواضعين في الدنيا، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة».

السلام عليك يا سيدي عيسى، السلام عليك يا رسول الله لو جئت في هذه الأيام لرأيت العجب العجابا!! فالكثير الكثير من أمتك قد نسوا أو تناسوا هذه التعاليم العظيمة التي تبنى عليها المجتمعات العظيمة، والقليل القليل من أمتك من تمسكوا برسالتك واهتدوا بهديك وساهموا في بناء مجتمع سليم، لكنهم كمن ينفخ في رماد!!.

ثم قال عليه السلام منوهاً بقيمة الكلام وأنواع المتكلمين.

«يا هشام: المتكلمون ثلاثة: فرابح، وسالم، وشاجب[1].

فاما الرابح فالذاكر لله، وأما السالم فالساكت، وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل، إن الله حرم الجنة على كل فاحش بذيء الكلام قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه، وكان أبو ذر رضوان الله عليه يقول: «يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وورقك».

وكما حرمت الجنة على الشاجب وفتحت أبوابها للرابح الكثير الحياء لذلك قال عليه السلام: «الحياء من الايمان، والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار».

ثم قال عليه السلام واصفاً الدنيا على لسان السيد المسيح:

«يا هشام: تمّثلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأة زرقاء فقال لها: كم تزوّجت؟ فقالت: كثيراً، قال: فكلاً طلقك؟ فقالت: بل كلاً قتلت.

(١) الشاجب: كثير الكلام والهذيان.

قال المسيح فويح لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين!!

لا ريب إن أصحاب البصائر والعقول النيّرة يدرسون الماضي ويتأملون في مجرى أحداثه، ويقدرون نتائجه فيقيسون الحاضر على ضوء الماضي فيتعظون ويعتبرون.

ثم أردف في نصائحه لهشام في أنواع البشر، وأيّهم أنفع وأصلح.

قال عليه السلام: «يا هشام: لا خير في العيش إلاّ لرجلين: لمستمع واع، وعالم ناطق».

العالم عليه أن يبوح بما يختزن في صدره من علوم ومعارف ليفيد به سائر الناس، فيكون بذلك كالنهر المتدفق يسقي عن جانبيه الحقولا.

والمستمع عليه أن يعقل ما يلقى إليه، فيخزن في ذاكرته كل ما سمعه من العالم، ليكون له زاد خير يفيده عند الحاجة، لأن غذاء العقل أهم بكثير من غذاء الجسد. وفن الاستماع لا يقلّ أهمية عن فنّ القول.

ثم وصف عليه السلام نوع العلماء الذين يؤخذ منهم ويستمع إليهم.

فقال عليه السلام: «يا هشام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّهم عن ذكري، وعن طريق محبّتي ومناجاتي. أولئك قطّاع الطريق من عبادي، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبّتي ومناجاتي من قلوبهم».

ثم حذّر عليه السلام من التكبّر فقال:

«يا هشام: إياك والكبر على أوليائي، والاستطالة بعلمك فيمقتك الله فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك، وكن في الدنيا كساكن دار ليست له إنما ينتظر الرحيل».

ثم مدح عليه السلام المتواضع وذمّ المتكبّر فقال:

«يا هشام: إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا[1] فكذلك الحكمة

(١) الصفا: الحجر الصلد.

تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لأنّ الله تعالى جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر آلة الجهل، ألم تعلم أن من شمخ الى السقف برأسه شجبه، ومن خفض رأسه استظل تحته وأكنّه، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه».

ثم استرسل عليه السلام في حديثه فقال: «واحذر ردّ المتكبرين، فإن العلم يُذل على أن يملي على من لا يفيق»، فقال هشام:

فان لم أجد من يعقل السؤال عنها؟ فقال عليه السلام: فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول وعظيم فتنة الرد، واعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده. ولم يؤمن الخائفينن بقدر خوفهم ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده؛ ولم يفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته، فما ظنّك بالرؤوف الرحيم الذي يتودد الى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه؟ وما ظنّك بالتوّاب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يترضّاه، ويختار عداوة الخلق فيه.

«يا هشام: من أكرمه الله بثلاث فقد لطف له؛ عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر.

ثم زاد تحذيراً جديداً عاماً للدنيا وأهلها.

فقال عليه السلام: «يا هشام احذر هذه الدنيا واحذر أهلها، فان الناس فيها على أربعة أصناف:

ـ رجل متردي معانق هواه، ومتعلم مقري كلما ازداد علماً ازداد كبراً، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه.

ـ وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، يحب أن يعظّم ويوقّر.

ـ وذي بصيرة عالم عارف بطريق الحق، يحب القيام به ولكنه عاجز أو مغلوب فلا يقدر على القيام بما يعرفه، فهو محزون مغموم بذلك وهو أمثل أهل زمانه وأوجههم عقلاً»[1].

---

(١) تحف العقول ص٣٩٠ ـ ٤٠٠.

الحقيقة اننا استرسلنا في هذه الوصية القيّمة والخالدة لأنها بحر زاخر، كلّما غصنا فيه كلما ازددنا متعة وفائدة. فهي من إمام معصوم ورث علم الأوصياء عن الأنبياء، علماً شاملاً كاملاً للدين والدنيا وللناس كافة. لقد حوت هذه الوصية الذهبية جميع أصول الفضائل: في الآداب والأخلاق وقواعد السلوك والمناهج العامة لما يصلح للحياة الفردية والاجتماعية السليمة من كل غرض أو هوى، ذلك أن الشريعة الاسلامية هي أحكام إلّهية وما على الحاكم إلا تطبيق هذه الأحكام معتمداً على عقله المستنير وضميره الحيّ المستقيم.

الامام الكاظم عليه السلام علاّمة عصره وعلاّمة كل عصر:

فضل العلم والعلماء:

١ ـ روي عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: «ما هذا؟ فقيل: علاّمة. فقال: وما العلاّمة في رأيكم؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية، والأشعار العربية.

فقال صلى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: إنما العلم ثلاثة:

٢ ـ آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»[(١)].

ـ روى المجلسي عن الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا خير في العيش إلا لمستمع واع، أو عالم ناطق»[(٢)].

ـ وبهذا الإسناد قال:

٣ ـ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع يلزم من كل ذي حجي وعقل من أمتي، قيل: يا رسول الله ما هي؟ قال:

١ ـ استماع العلم. ٢ ـ وحفظه. ٣ ـ ونشره عند أهله. ٤ ـ والعمل به.

(١) الكافي ج١ ص٣٢.
(٢) بحار الأنوار ج١ ص١٦٨.

ـ والآن ماذا عن أنواع العلم عند الناس.

قال الاربلي: قال ابن حمدون في تذكرته: قال موسى بن جعفر عليه السلام: «وجدت علم الناس في أربع:

أولها: أن تعرف ربك ومفادها وجوب معرفة الله تعالى التي هي اللطف.

وثانيها: أن تعرف ما صنع بك من النعم التي يتعيّن عليك لأجلها الشكر والعبادة.

وثالثها: أن تعرف ما أراد منك: فيما أوجبه عليك وندبك الى فعله لتفعله على الحد الذي أراده منك فتستحق بذلك الثواب.

ورابعها: ان تعرف ما يخرجك من دينك، وهي أن تعرف الشيء الذي يخرجك عن طاعة الله فتتجنّبه»[1].

ـ وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سائلوا العلماء، وخالطوا الحكماء، وجالسوا الفقراء».

فسؤال العلماء توضيح وتصحيح، ومخالطة الحكماء غذاء للعقل وتوسع في المعرفة، ومجالسة الفقراء مؤانسة لهم ومشاركة في الإنسانية.

١ ـ ففي الحديث الأول يوضح عليه السلام العلم الذي لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه: فعلم الأنساب، وعلم وقائع العرب، والأشعار العربية، كل هذه ليس فيها ما يبعث على غذاء الفكر، أو يزيد في حياة المسلمين الحضارية، أو يخلق تقدّماً وتطوّراً يساعدهم على النهوض في ركاب الحضارة الإنسانية. فهذه المعارف قلّل النبي صلى الله عليه وآله من أهميتها ودعا الى الاهتمام بسائر العلوم الأخرى لأنها لا تضر من جهلها ولا تنفع من علمها.

٢ ـ ثم بيّن عليه السلام العلم الأصيل الذي عليهم تعلمه فإنهم يجدونه في:

آية محكمة، أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة. وهذا يعني التفقه في الدين ومعرفة الأحكام الشرعية، فقال لهم:

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٢٥٥.

«تفقّهوا في دين الله، فان الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب الى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة، في الدين والدنيا. وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً . . ».

٣ ـ ثم وضّح عليه السلام طرق التعلم وكيفية الإفادة منه فحصرها في أربع:

أولاً: استماع العلم: فعلى المتعلم أن يصغي جيداً لما يسمعه من العالم لأن فنّ الاستماع هام كفنّ التعليم، ومن لم يسمع جيداً لا يستوعب جيداً.

ثانياً: الحفظ: وهو أمر ضروري لأن الذاكرة خزانة المعارف والعلوم فمن لا يحفظ لا يستطيع الافادة مما تعلّمه.

ثالثاً: نشر العلم. ومن واجب العالم أن ينشر علمه ولا يبقيه محصوراً في صدره ذلك حتى يفيد به الآخرين. لأنّ العالم الذي يخزن علمه ويبخل به على سواه كالغني البخيل يخزن ماله فلا يفيد نفسه ولا يفيد غيره. لكن على العالم أيضاً أن يعرف أين ينشر علومه. عليه أن يضع الشيء في مواضعه، فلا ينشره إلاّ عند أهله. ذلك ان الماء يسقي به الزارع الأرض الخصبة وليس الأرض الرملية.

رابعاً: إقتران العلم بالعمل.

اقتران العلم بالعمل هو الغاية المرجوة. قال الدكتور زكي نجيب محمود في كتاب تجديد الفكر العربي: «من علامات هذا العصر المميزة انه عصر العلم المقترن بالعمل والموصول أحدهما بالآخر. فإذا وجدت علماً مزعوماً لا يجيء بمثابة الخطة الدقيقة لعمل يؤدّى فقل انه ليس من العلم في شيء إلاّ باسم زائف».

لكن هذا الجديد المزعوم أعلنه أهل البيت عليهم السلام منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة.

العلم عند أهل البيت عليهم السلام:

العلم بمعناه الشامل هو ان نعرف الشيء كما هو في حقيقته وواقعه ولا وزن لأي علم عند أهل البيت عليهم السلام إلا أن يجلب نفعاً، أو يدفع شرّاً تماماً كما قالوا عن العقل. لأن العلم عقل، والعالم هو العاقل. قال العالم والفيلسوف جابر بن حيّان تلميذ الإمام الصدق عليه السلام: العقل والعلم والنور كلمات مترادفة.

فالعالم يعقل الأمور ويميز بين صحيحها وسقيمها ولا يستطيع أن يكسب علوماً بدون العقل، وبالعقل يتمكن العالم من كشف الأمور الغامضة وإخراجها من الظلام فيوضحها بنور عقله.

أما الجهل بالشيء مع العلم به هو أننا لا نتصوره إطلاقاً.

والجهل بالعلم هو تصور الشيء على غير ما هو عليه من حيث لا نحس ونشعر بالخطأ فنكون عندها بعيدين عن الواقع.

جاء في نهج البلاغة: «لا خير في علم لا ينفع» وجاء في سفينة البحار: عن الإمام الكاظم عليه السلام: «أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به» والغاية من هذا ان الهدف من العلم إتقان العمل النافع.

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «من أراد العمل منكم فليعلمه وليتقنه».

العلم أولاً والاتقان ثانياً؛ وهنا يكمن سر الفنون والفوارق بين المتعلمين. واننا نجد الكثير من الناس من حصّلوا العلم ونالوا شهادات، لكم لم ينجحوا في حياتهم العملية. وهذا يعود إلى عدم إتقانهم العلوم التي حصّلوها. مثل الأطباء والمحامين والقضاة والاساتذة والمعلمين في المدارس والجامعات. فتحصل العلم شيء والفن في التعليم هو شيء آخر، المهم طريقة العطاء والاسلوب والعمل بلا علم ضرره أكثر من نفعه. قال بعض الحكماء: العمل بلا علم كشجرة بلا ثمر. وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده سرعة السير إلا بعداً» فإذا كان العلم مرادفاً للنور فكيف لهذا الجاهل أن يستدل على طريقه وهو فاقد النور؟

وهنا نتذكر وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام عندما قال له:

يا هشام: «إن ضوء الجسد في عينه، فان كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله، وإن ضوء الروح العقل، فان كان العبد عاقلاً كان عالماً بربّه، وإن كان عالماً بربّه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربّه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلاّ

بالنفس الحيّة فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النيّة الصادقة إلاّ بالعقل.

صفات العالم الصحيح:

جاء في أصول الكافي للشيخ العلامة الكليني تحت عنوان:

المستأكل بعلمه: قال الإمام الصادق عليه السلام: «أوحى الله إلى داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّك عن طريق محبتي، فإنّ أولئك قطاع طريق عبادي المريدين».

ومعنى ذلك إياك أن تركن إلى من يتخذ من عقله وعلمه خادماً مطيعاً لبلوغ أهوائه الشخصية ومطامعه الخاصة؛ لأنّه يقطع عليك الطريق إلى رحمتي ومرضاتي، وعلى كل من أراد الحق والعدل من عبادي. . . ولا جزاء عند أهل البيت عليهم السلام لقاطع الطريق إلاّ القتل أو الصلب أو قطع اليد أو الرجل أو النفي، كما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي كتاب وسائل الشيعة وغيره من المراجع الموثوقة من كتب الحديث والفقه لشيعة أهل البيت عليهم السلام.

وقال أحد الحكماء: أسوأ الأزمان زمن نجد فيه العلماء على أبواب الحكام.

وفي كتاب أشعة من بلاغة الإمام الصادق عليه السلام: «إن في جهنم رحى تطحن العلماء الفجرة». يعلق على هذا المقال الشيخ العلامة محمد جواد مغنية فيقول: «قال هذا قبل ظهور الآلة التي جعلت قوى الشر أعظم فتكاً وافتراساً لأرواح الأبرياء وأجسادهم، وأكثر نهباً واغتصاباً لحقوق الناس وأرزاقهم! . ثم يتابع رحمه الله:

ولا أدري أي شيء كان يقول الإمام الصادق عليه السلام لو وجد في هذا العصر؟! . وقد قرأ مقالاً في مجلة الهلال المصرية عدد تشرين الأول سنة ١٩٧٢م بعنوان النبي والعلم جاء فيه:

«إن أعظم تكريم للعلم أن يكون أول أمر أنزله الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم **﴿إقرأ باسم ربك الأكرم﴾**.

ونحن في حياتنا نرى كثيراً من القراءة، منها ما تكون باسم الله، وتكون في خدمة الإنسان.

ومنها ما تكون باسم التسلّط والهوى والاستعلاء الكاذب، والاستكبار. مثل قراءة اسرائيل في فلسطين ولبنان وسوريا والأرض العربية السليبة، وكقراءة امريكا في أرض فيتنام.

كل ذلك علم وقراءة، ولكنها ليست باسم الله العلي العظيم بل باسم الشيطان الرجيم!!

حدود العلم

العلم بحر واسع لا حدود له، يتجدد ويتطور يوماً بعد يوم. جاء في أصول الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «العلم يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة». ومعنى هذا أن لا حد له، وبذلك نطق العلم الحديث.

نشرت مجلة المعرفة السورية في العدد الثلاثين جاء فيه:

«إن التقدم العظيم الذي أحرزه علماء الطبيعة في أوائل القرن التاسع عشر ملأهم غروراً وخيلاء، وظنوا أنهم قد فرغوا من بناء صرح العلم... حتى جاء القرن العشرين، فتبين أنهم كانوا في أول الطريق، وأن المسير بعيد وبلا نهاية».

وذلك ما من شيء إلاّ ويمكن ان يكون محلاً للبحث ظاهراً كان أم باطناً، ماضياً أم حاضراً، حتى الشيء الواحد يكون كل آن في شأن.

وقال سبحانه: **﴿... وفوق كل ذي علم عليم﴾**[(1)].

وقال عز وجل: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾**[(2)].

وقال تعالى: **﴿وقل رب زدني علماً﴾**[(3)].

وجاء في مستدرك نهج البلاغة أن الإمام علي أمير المؤمنين قال: «العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه».

---

(1) سورة يوسف، الآية ٧٦.

(2) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

(3) سورة طه، الآية ١١٤.

والحقيقة أننا إذا أردنا إحصاء العلوم والمعارف التي عرفها الإنسان لا يمكننا حصرها تماماً فهي عديدة ومتنوعة في شتى الحياة الإنسانية. لكننا نستطيع أن نأخذ من كل علم أحسنه وأفضله، وهذا يعود إلى ثقافة الإنسان وتعمقه في معارفه وحسن تحصيلها.

العلم والعمل:

قيمة كل علم من العلوم تظهر نتائجها بالعمل، فالعلم ضروري وهام لكن الأهم التطبيق العملي ففيه تتبلور مهارة كل فرد من الأفراد المتعلمين. وهذا يعود بلا ريب إلى المواهب الذاتية المخبؤة في الداخل فكم نجد من الأشخاص الموهوبين لكن الظروف لم تساعدهم على إظهار مواهبهم عملياً. وما نبغي إليه هو أن فائدة العلم مقرونة بالعمل.

قال الدكتور زكي نجيب محمود في كتاب تجديد الفكر الغربي:

«من علامات هذا العصر المميزة أنه عصر العلم المقترن بالعمل والموصول أحدهما بالآخر. فإذا وجد علماً مزعوماً لا يجيء بمثابة الخطة الدقيقة لعمل يؤدي فقل إنه ليس من العلم في شيء إلا باسم زائف».

وهذا الجديد المزعوم جاء عند أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام علي عليه السلام: «من علم عمل». وهو يشير إلى أن العمل يفتح آفاقاً جديدة لمعارف جديدة، وهذه المعارف الكريمة تخدم بدورها النشاط العملي. وهكذا تتم الدورة الحياتية. ومعنى هذا ان العلم لا حد له كما سلف القول.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يصدق قوله عمله فليس بعالم...

العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل، فان أجابه وإلا ارتحل».

وقال الفيلسوف الملا صدرا[1] في شرح أصول الكافي: «العلم والعمل

(١) هو محمد بن ابراهيم الشيرازي الحكيم المعروف كان أعلم أهل زمانه في الحكمة، متقناً =

كالروح والجسد يتصاحبان ويتكاملان معاً، وإن كان مرتبة من العلم تستدعي عملاً بحسبه، وكل عمل يهيىء لنوع آخر من العلم».

وكما ترى هكذا جمع أهل البيت عليهم السلام بين العلم النظري، والعلم العملي. بين الفكر واليد، في مركب واحد. وهل أفضل من إطاعة اليد للفكر؟ فكلما ازدادت الإطاعة بينهما كلما كان الاتقان والابداع في الأعمال فالتوافق بين الفكر واليد يعني تقدماً حضارياً راقياً في جميع أنواع الفنون: العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية... كالطب والبناء واعمار الأرض وجميع العلوم والمهن والمعارف..

فالعلم هو اكتساب المعرفة الصحيحة من مصادرها السليمة، والفن يكمن في اخراج هذه العلوم وكيفية تطبيقها عملياً. ولنا في تجارب العلماء أفضل مثل على ذلك. وهذه التجارب هي التي ينادي بها العلماء في العصر الراهن. فالفيلسوف وعالم الاجتماع الانكليزي «فرنسيس بيكون» هو ـ حسب ما يزعمون ـ هو أول من دعا صراحة إلى اتخاذ العلم سبيلاً للارتقاء بحياة الإنسان العملية![1].

وكم من حقائق اكتشفها الأوائل من معين العلوم الأصل «كتاب الله» الكريم، ثم اشتهر بها الأواخر. حتى الذرة التي اكتشفها قبل اينشتين وماركوني العالم العربي الجلدكي صاحب كتاب: الشذور[2].

كما ورد في كتاب من هدي القرآن الكريم للاستاذ أمين الخولي نقلاً عن الكامل لابن الأثير: ان عالماً مسلماً لم يعلن عن اسمه «اكتشف محرقاً جديداً أقوى ما عرف، وقدمه لجيش صلاح الدين الأيوبي ـ وقد بلغت القلوب الحناجر ـ خوفاً

= لجميع فنونها ـ كما قال صاحب السلافة. له الأسفار الأربعة، وشرح أصول الكافي للشيخ العلامة الكليني وتفسير بعض السور القرآنية و«كسر الأصنام الجاهلية» و«شواهد الربوبية» وغيرها من المؤلفات القيمة.

توفي في البصرة في حال توجهه إلى الحج وذلك سنة ١٠٥٠هـ جاء ذلك في الكنى والألقاب ج٢، ص٣٧٢. ويعد هذا العالم الجليل الذي قرن علمه بالعمل من شيعة أهل البيت المعروفين.

(١) راجع كتاب علم الاجتماع الأدبي للمؤلف د. حسين الحاج حسن.
(٢) راجع مجلة المعرفة السوية العدد ١٥٠، ص٢٧.

من حشود الصليبيين، فأحرق ما تفنن به الأعداء من إقامة أبراج لم يكن لجيش المسلمين عليه من قوة. وما من شك كان لهذا الاختراع الوقع الحسن في نفوس المسلمين عامة. قدر صلاح الدين هذا العمل وبذل لصاحبه الأموال والاقطاع، فرفضها وقال له: إنما عملت هذا العمل لله ومن أجل مساعدة عباد الله من المسلمين، وهذا واجبي الشرعي، ولا أريد الجزاء إلا من الله تعالى ثم اختفى هذا الإنسان النبيل العظيم دون أن يحمل التاريخ عنه شيئاً حتى اسمه. فكل ما يعرف عنه في المصادر التاريخية: إنسان من دمشق لا غير. وهذا هو العمل الشريف النبيل العمل في سبيل الله. حمل أئمة أهل البيت عليهم السلام مشعل النهضة العلمية في العالم الاسلامي، فاسسوا في حواضره معالم الحياة الفكرية، ودعوا المسلمين دعوات جادة تحمل طابع الارشاد والتوجيه إلى الخير ليبنوا حياتهم الخاصة والاجتماعية على أساس من الوعي العلمي، وقد ملئت موسوعات الحديث والفقه بما أثر عنهم من أحاديث الترغيب في طلب العلم، عملاً يقول القرآن الكريم والرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن أول ما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل بآيات تدعو إلى التعلم وتطالبه بالقراءة. قال تعالى: ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾[1].

ونجد القرآن الكريم بالاضافة إلى دعوته إلى التعليم وحضه على طلب العلم يبين درجات العلماء ويخاطب ذوي الألباب بقوله عز وجل:

﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾[3].

والرسول الكريم وهو الأمين على دعوة ربه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[4].

---

(١) سورة العلق، الآية ١.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٤) سنن ابن ماجه ج١، ص٥٠ رواه أنس عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بين ﷺ منزلة العلماء، وحث الأمة على احترامهم ومعرفة حقوقهم فقال ﷺ: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه»(1).

هذه لمحة سريعة عن موقف رسول الله ﷺ لطلاب العلم وحاملي لواء التحرير من الجهل والضلال، وقد سار على مسيرته الأئمة المعصومون من أمير المؤمنين إلى ولده الحسن إلى أخيه الحسين إلى ابنه زين العابدين إلى ابنه الباقر إلى ابنه الصادق إلى ابنه الإمام موسى الكاظم عليهم جميعهم أفضل الصلاة وأزكى السلام.

عني الإمام موسى عليه السلام بهذه الدعوة الحضارية الخلّاقة فأمر جميع المسلمين بالجد على تحصيل العلم والتفقه في الدين، وحذّرهم من طلب بعض العلوم التي لا يستفيدون بها في تطوير حياتهم الفردية والاجتماعية.

من هذه العلوم المفيدة لهم: الفقه الديني.

الفقه الديني عند الإمام عليه السلام

عمل الإمام عليه السلام بوصية جده وأبيه وحث المسلمين على التفقه في الدين، ومعرفة الأحكام الشرعية فقال لهم:

«تفقّهوا في دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً..».

سأله بعض أصحابه عما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية قائلاً: «هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه؟

فقال عليه السلام: «إن الناس لا يسعهم أن يتركوا ما يحتاجون إليه في أمور دينهم». وهذا بلا ريب أمر طبيعي وواقعي فالعلماء واجبهم الشرعي إرشاد الناس

(1) مجمع الزوائد ج1، ص121 رواه الإمام أحمد باسناد صحيح.

ونصحهم ليتفهموا أمور دينهم لأن المسلم الذي يموت ولم يتخذ مرجعاً دينياً يهتدي برسالته يموت موتة جاهلية. لذلك كان على المسلمين مجالسة العلماء.

مجالسة العلماء:

من هنا وجدنا الإمام عليه السلام يأمر أصحابه بمجالسة العلماء الأفاضل للاستفادة من علومهم وآدابهم والاقتداء بسلوكهم فقال عليه السلام: «محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي»[1].

وبعد أن أشاد بفضل العلماء الذين هم أعلام الدين وورثة الأنبياء في حمل كتاب الله، عاد فحذر أصحابه منهم إذا استهوتهم الدنيا، واتبعوا السلطان، فإذا فعلوا ذلك فالحذر منهم واجب على الدين.

هذا عن واجبات العالم والآن ماذا عن واجبات المتعلم.

واجبات المسلم المتعلم:

١ ـ العمل: أعلن الإسلام دعوته الصريحة على العمل الحر والكسب الشريف. قال تعالى: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾**[2] وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الاسلامي، التوازن السليم بين مقتضيات الحياة في الأرض، من عمل وكد وكسب ونشاط. وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر.

وهي ضرورة لحياة القلب الذي لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض. بتكاليف الأمانة الكبرى. وذكر الله سبحانه وتعالى لا بد منه أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة. ولكنه ـ مع هذا ـ لا بد من فترة للذكر الخالص، والانقطاع الكامل، والتجرد المحض كما توحي الآيتان المباركتان.

إن الإسلام دعا الناس كافة إلى العمل، وحثهم عليه ليكونوا ايجابيين في

(١) الزرابي: الفرش الفاخر.
(٢) سورة الجمعة، الآية ١٠.

حياتهم يتمتعون بالجد والنشاط ليفيدوا ويستفيدوا، وكره لهم الحياة السلبية والوقوف عند عمل لا يؤدي إلا إلى عرقلة الاقتصاد وشيوع الفقر والحاجة في البلاد.

وكتب الحديث استفاضت بما أثر عن النبي ﷺ الأكرم وعن أوصيائه المعصومين، الحث على العمل واضفاء الصفات الكريمة عليه فقالوا: العمل شرف، والعمل جهاد والعمل تضحية والعمل عبادة.

وأهل البيت عليهم السلام كانوا يزاولون العمل بأنفسهم ليقتدي بهم سائر المسلمين. فالإمام جعفر الصادق عليه السلام كان يعمل في بعض بساتينه حدث أبو عمر الشيباني قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ والعرق يتصبب منه، فقلت له:

«جعلت فداك اعطني أكفك» فقال عليه السلام: «إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة»[1].

وقد سار الإمام الكاظم مسيرة أبيه عليه السلام فكان يعمل بنفسه لاعاشة عائلته، روى الحسن بن علي بن أبي حمزة قال: رأيت أبا الحسن موسى بن جعفر يعمل في أرض له، وقد استنقعت قدماه في العرق فقلت له: «جعلت فداك، أين الرجال؟ فقال عليه السلام:

«عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه، فبهر الحسن وانطلق يقول: من هو؟ فقال عليه السلام:

رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وآبائي كلهم قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين»[2].

وبذلك أعطى الإمام عليه السلام درساً مفيداً عن الإسلام فهو دين العمل والجد ولا علاقة بين العمل والمنزلة الاجتماعية للفرد مهما علت منزلته فهو مأمور بالعمل

(١) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص١٣٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه ج٣، ص٥٣.

من أجل نفسه ومن أجل عائلته. وتقديراً لحقوق العامل قال أمير المؤمنين: «ادفعوا أجر العامل قبل أن يجف عرقه».

نعود إلى ما كنا بصدده (الفقه الديني) هذه قبسات وضاءة من احاديث الإمام عليه السلام من العقيدة.

معنى الله

روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سئل عن معنى الله فقال: استولى على ما دق وجل[1].

وفي رسالة وجهها إليه الفتح بن عبدالله يسأله عن توحيد الله عز وجل فأجابه عليه السلام بعد البسملة: «الحمد لله الملهم عباده حمده، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، المستشهد بآياته على قدرته»[2].

أراد عليه السلام أن الله استشهد على قدرته الباهرة بآياته العظيمة، كخلق السماوات والأرض والشمس والقمر، ويعبر عنها بالآيات الأفقية وبخلق الأرواح والعقول والنفوس وإدراكاتها وتسمى بالآيات النفسية وهي تدل على عظيم قدرته تعالى.

ـ صفات الله:

وتابع عليه السلام: «الممتنعة من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته»

أشار عليه السلام الى أن صفات الله عين ذاته تعالى، وليست عارضة عليه كعروضها على الممكن، وقد أقيمت الأدلة الوافرة في علم الكلام على ذلك. وان الأبصار تمتنع عن رؤيته تعالى وفيه إيماء لطيف على عدم امتناع إدراك البصائر والقلوب من رؤيته، ولكنها تراه بنور المعرفة وحقيقة الإيمان كما قال عليه السلام: «ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».

(١) الكافي ج١، ص١١٥.
(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر ج١ ص٢٢٣.

ـ «ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه»[1].

أراد عليه السلام ان الله يحيط بما سواه فكيف يحيط به شيء من الأوهام التي لا تتعلق إلا بالمعاني الجزئية المحدودة.

وانه تعالى فوق الآجال والأزمنة فلا أمد له، فان الزمان مخلوق له، وان بقاءه تعالى قائم بذاته وليس بصفة عارضة.

ـ النهي عن التشبيه:

وعن الحسن بن عبد الرحمن الحماني قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: إن فلاناً زعم ان الله جسم ليس كمثله شيء، عالم، سميع، بصير، قادر، متكلم، ناطق، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد، ليس شيء منها مخلوقاً.

فقال عليه السلام: قاتله الله أما علم ان الجسم محدود والكلام غير المتكلم معاذ الله وأبرء الى الله من هذا القول، لا جسم ولا صورة ولا تحديد وكل شيء سواه مخلوق، إنما تكون الأشياء بإرادته ومشيئته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان. إن الله لا يشبهه شيء[2]

ـ النهي عن الحركة:

روى محمد بن أبي عبدالله عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال:

«لا أقول: انه قائم فأزيله عن مكانه، ولا أحدّه بمكان يكون فيه، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح، ولا أحدّه بلفظ شق فم، ولكن كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كن فيكون﴾ بمشيئته من غير تردد في نفس، حمداً فرداً، لم يحتج الى شريك يذكر له ملكه ولا يفتح له أبواب علمه»[3]

(١) نفسه ج١ ص٢٢٤.
(٢) الكافي ج١ ص١٠٦.
(٣) نفسه ج١ ص١٢٥.

ـ الإرادة والتقدير والمشيئة:

روى علي بن محمد بن عبدالله، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن إبراهيم الهاشمي قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لا يكون الشيء إلاّ ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، قلت: ما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: ما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: ما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مردّ له[1].

ـ روى أبو جعفر الطوسي عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام أخبرني عن الإرادة من الله عزّ وجلّ ومن الخلق؟ فقال: الإرادة من الله تعالى احداثه الفعل لا غير ذلك، لأنه جلّ اسمه لا يهم ولا تفكر[2].

ـ علم الله تبارك وتعالى:

سئل الإمام عليه السلام عن علم الله تعالى بسؤال جاء فيه: هل ان الله كان يعلم الأشياء، قبل أن خلق الأشياء وكوّنها، أو أنه لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق وما كوّن عندما كوّن؟ فأجاب عليه السلام موقعاً بخطه: «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء»[3].

وكتب إليه محمد بن حمزة رسالة يسأله فيها عن علم الله وهذا نصها:

«إن مواليك اختلفوا في العلم، فقال بعضهم: لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء، وقال بعضهم: لم يزل الله عالماً لان معنى يعلم يفعل فان أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً، فان رأيت جعلني الله فداك أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه».

---

(١) نفسه ج١ ص١٥٠.
(٢) أمالي الطوسي ج١ ص٢١٤.
(٣) الكافي ج١ ص١٠٧.

فكتب عليه السلام إليه: «لم يزل الله عالماً تبارك وتعالى ذكره»[١].

وكما نرى كان جوابه عليه السلام عن هذه المسألة مجملاً نظراً لقصر فهم السائل عن إدراك الجواب. لأن هذه المسألة من أشكل المسائل الفلسفية وقد وقع الاختلاف فيها بين أعاظم الفلاسفة القدامى.

فالمشائيون تبعاً لمعلمهم أرسطوطاليس ذهبوا الى أن علمه تعالى بالأشياء متقدم عليها. والإشراقيون تبعاً لمعلمهم أفلاطون ذهبوا الى أن علم الله عز وجل بالأشياء مقارن لإيجاد الشيء. وقد استدل الفريقان بأدلة كثيرة فيها لون من الغموض والإبهام، لسنا الآن في صددها.

وروى الصدوق عن الكاهلي قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء: «الحمد لله منتهى علمه» فكتب إليّ: لا تقولن منتهى علمه، ولكن قل منتهى رضاه[٢].

وعنه بإسناده عن الحسن بن يزيد بن عبد الأعلى، عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال: علم الله لا يوصف منه بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولا يبان الله منه، وليس بين الله وبين علمه حدّ[٣].

جوامع التوحيد

قال الصدوق: حدثنا أبي عن علي بن محمد بن قتيبة عن الفضل بن شاذان عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك.

واعلم ان الله تعالى واحد أحد، صمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا شريكاً، وانه الحي الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد،

(١) نفسه ج١ ص١٠٧.
(٢) التوحيد ص١٣٤.
(٣) التوحيد ص١٣٨.

والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفقر، والعزيز الذي لا يذل. والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وانه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ما يكون من نجوى ثلاثة إلا وهو رابعهم ولا خمسة إلا وهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كانوا. وهو الأول الذي لا شيء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً[1].

العدل:

قال الصدوق: حدثنا محمد بن أحمد الشيباني.. عن الإمام علي بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الرضا علي بن موسى عليه السلام قال: خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام، فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: يا غلام ممن المعصية؟

قال: لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله عز وجلّ، وليست منه فلا ينبغي للكريم أن يعذّب عبده بما لا يكتسبه، وإما أن تكون من الله عزّ وجلّ ومن العبد، وليس كذلك فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإما ان تكون من العبد وهي منه، فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفا عنه فبكرمه وجوده[2].

هل الله تعالى شيء؟

قال الصدوق: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسرور، قال: حدّثنا محمد ابن جعفر بن بطة، قال: عن محمد بن عيسى بن عبيد، قال:

قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك: أخبرني عن الله عزّ وجلّ شيء أم لا؟ قال فقلت له: قد أثبت الله عزّ وجلّ نفسه شيئاً يقول: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ فأقول: إنه شيء لا كالأشياء، إذ في نفي

(١) التوحيد ص٧٦.
(٢) نفسه ص٩٦ وعيون أخبار الرضا ج١ ص١٣٨.

الشيئية عنه إبطاله ونفيه، قال لي: صدقت وأصبت، ثم قال لي الرضا عليه السلام للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه[١].

ليس كمثله شيء:

قال الصدوق: أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قالا: حدثنا محمد بن يحيى العطار؛ وأحمد بن إدريس عن بعض أصحابنا، عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت الى الطيب يعني أبا الحسن موسى عليه السلام: ما الذي لا تجزىء معرفة الخالق بدونه فكتب:

ليس كمثله شيء ولم يزل سميعاً وعليماً وبصيراً، وهو الفعال لما يريد[٢].

نفي الزمان والمكان:

قال الصدوق: حدثنا علي بن الحسين بن الصلت، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن الصلت عن عمه أبي طالب عبدالله بن الصلت، عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام لأي علة عرج الله بنبيه صلى الله عليه وآله إلى السماء، ومنها الى سدرة المنتهى، ومنها الى حجب النور، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان.

فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكنه عزّ وجلّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكان سماواته، ويكرّمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على ما يقول المشبّهون، سبحان الله وتعالى عما يشركون[٣] إن الله تبارك وتعالى كان ولم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يحل في مكان وليس بينه وبين خلقه حجاب.

(١) التوحيد ص١٠٧.
(٢) نفسه ص٢٨٤.
(٣) نفسه ص١٧٥.

الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية:

قال الامام الكاظم عليه السلام: إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم. ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أورأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة، وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى.

وأمر إبراهيم أن يذبح ابنه اسماعيل ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى[1].

وبيان مراده عليه السلام ان الارادة تنقسم الى الإرادة التكوينية الحقيقية، والى الارادة التشريعية الاعتبارية، فإرادة الإنسان التي تتعلق بفعل نفسه إرادة تكوينية تؤثر في أعضائه الى إيجاد الفعل ويستحيل معها تخلف الأعضاء عن المطاوعة إلا لمانع. وأما الإرادة التي تتعلق بفعل الغير كما إذا أمر بشيء أو نهى عنه فان هذه الإرادة ليست تكوينية بل هي تشريعية لأنها لا تؤثر إيجاد الفعل أو تركه من الغير بل تتوقف على الارادة التكوينية له.

وأما إرادة الله التكوينية فهي التي تتعلق بالشيء، ولا بد من إيجاده ويستحيل فيها التخلف، واما إرادته التشريعية فهي التي تتعلق بالفعل من حيث انه حسن وصالح، واما نهي الله لآدم عن الأكل من الشجرة وقد شاء ذلك وأمره تعالى لإبراهيم بالذبح لابنه اسماعيل وقد شاء ذلك فان النهي والأمر فيهما تشريعيان، كما ان المراد بالمشيئة هي المشيئة التكوينية، وقد صرحت الرواية بأن إبراهيم قد أمر بذبح ولده اسحق دون اسماعيل، وهو مخالف لما تضافرت به الأخبار الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام بأن الذي جعل قرباناً للبيت الحرام هو اسماعيل دون إسحق.

وهنا يتوضح دور الإمام موسى عليه السلام في الدفاع عن العقيدة الاسلامية وإبطال حجج الملحدين وأفكارهم المزيفة وتفنيده لشبههم.

ولا يخفى ما ظهر في عصر الإمام من موجات إلحادية فجّرها المعادون

(١) أصول الكافي ص١٥١.

للإسلام عندما وجدوا ان لا وسيلة لهم لمقاومته إلا بإشاعة ترهاتهم الباطلة ليضعفوا الجانب العقائدي بين المسلمين. ولكن لم تلبث هذه الأفكار، وقبرت تلك الأضاليل والبدع بواسطة المساعي الحميدة والهمم العالية التي بذلها أهل البيت عليهم السلام من أجل صيانة الإسلام وحمايته من شبهة الملحدين ومكايد المضللين.

إن تلك الموجات الإلحادية التي انتشرت في ذلك العصر تدل على أن المجتمع كان يعيش عيشة متحللة يسودها الشك في العقيدة الاسلامية والخلاف المذهبي. ومما لا شك فيه ان لاحتجاجات الأئمة عليهم السلام الأثر الفعال في إرجاع المسلمين الى طريق الحق والصواب ومقاومتهم للغزو العقائدي الذي مني به العصر العباسي. فقد كان في أغلب أدواره عصر لهو ومجون قد أقبل الناس فيه الى الاستمتاع بجميع أنواع المحرمات فاندفعوا على الطرب والغناء وشرب الخمر والميسر ومنادمة الجواري والغلمان وغيرها من المحرمات.

وقد شجعهم على ذلك الحكام الذين غرقوا في المحرمات والآثام، وسار الناس على مسراهم حيث لا حسيب ولا رقيب.

وإذا أردنا مثلاً دالاً على تسيّب الأخلاق في ذلك العصر فلنا شعراء العصر العباسي فقد كانوا يمثلون المجتمع في جميع اتجاهاته وميوله تمثيلاً صحيحاً. فقد كان شعرهم يصف القيان والخمر، واللذة والشهوات وأكثر ما أثر عنهم في هذا المجال وصمة عار في تاريخ الأدب العربي فأبو نواس كرّس كل مجهوده الفكري على وصف: الكؤوس والأكواب والسقاة والدنان، والخمارين والندمان. ولم يفته أن يذكر أصناف الخمور، وطريقة صنعها وطعمها ولونها ورائحتها مما جعله يلتفت الى كل ما يتصل بها ويحس بها بما لم يحس بها غيره. فقال:

لي نشوتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

وقد وصل به حُبّه للخمر الى درجة العبادة والتقديس.

وقد تحوّلت بغداد الرشيد والمنصور والهادي.. إلى دور للهو والعبث والمجون. فانساب الناس وراء الشهوات ونبذوا القيم الاسلامية السامية وأدى ذلك

الى انحطاط في الأخلاق وانغماس في الإثم والمنكر. ومما لا شك فيه ان سياسة الحكم العباسي هي المسؤولة عن هذه الموجة من التحلل واللهو وإشاعة المنكر والفساد.

لذلك كله عمد أهل البيت عليهم السلام الى الوقوف في وجه هذا التيّار الفاسد وبدأوا بإرشاداتهم ونصحهم وتوضيحهم أمور الدين الحنيف ورد الشبهات والإنحرافات. ومن هذه الأدوار الإصلاحية الهامة دور الامام الكاظم الذي أكمل مسيرة آبائه وأجداده الكرام فأجاب على كل الأسئلة والشبهات وكان لنا من مناظراته واحتجاجاته.

الإمام الكاظم عالم في الاقتصاد:

لقد أوصى الامام الكاظم أصحابه بالاقتصاد في حياتهم المعيشية ونهاهم عن التبذير والاسراف، لأن بهما زوال النعمة.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذّر وأسرف زالت عنه النعمة».

وقال عليه السلام: «ما عال امرؤ اقتصد».

وكما هو معلوم لدى الجميع ان جوهر الدين الإسلامي المحافظة على مصالح الناس كافة وهو دين العدالة والاعتدال، لذلك كان من معالم الإقتصاد الاسلامي منع التبذير لأنه إضاعة للأموال وفساد للأخلاق، وإثارة للحقد والميوعة والتحلل. قال الإمام علي عليه السلام: «ما جُمع مال إلا من شحّ أو حرام» فالمال في الاسلام هو مال الله والإنسان على هذه الأرض في حياته المؤقتة طالت أم قصرت هو ناقل هذا المال يتصرف فيه لفترة معينة ثم ينتقل منه الى غيره كما نقل إليه هو السلف. وهكذا هي الحياة مستمرة من السلف الى الخلف. فعلينا أن لا نبخل على أنفسنا فنكون قد جمعنا لغيرنا وأن لا نسرف ونبذر ما تعبنا في تحصيله أو ما ورثناه من أهلنا فخير الأمور أوسطها. وهذا يعود بلا ريب الى حسن التدبير ودقة التقدير. فلا نقبض بأيدينا ولا نبسطها كلّ البسط.

حتى الكرم، وهي صفة محببة عند الناس وعند الله إذا ما زاد عن حدّه يصبح تهوساً وتهوراً وتضيع الفائدة المرجوّة منه.

لكن هذا المال الحلال يحصله الإنسان بالعمل الجاد لذلك حذر الإمام عليه السلام من الكسل.

التحذير من الكسل:

نهى الإسلام عن الكسل لأنه يجمد الطاقات الإنسانية ويفسد الحياة الاجتماعية، ويشلّ الحركة الاقتصادية. وقد ورد في الأدعية المأثورة عن أئمة الهدى بالتعوذ من الكسل، فجاء عنهم:

«اللهم إني أعوذ بك من الكسل والضجر فإنهما مفتاح كل سوء.. إنه من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق»[1].

والإمام موسى الكاظم عليه السلام قد أوصى بعض ولده بالحذر من الكسل والعمل الجاد فقال عليه السلام:

«إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعاك من حظك في الدنيا والآخرة» لقد كان الإمام عليه السلام يكره الكسل والبطالة، ويمقت صاحبها لأنها تؤدي الى الفقر والفشل في الحياة، كما يؤدي أيضاً الى ذهاب المروءة عند الرجل، والكسول العاطل عن العمل يكون بحكم الأموات حيث لا تفكير ولا تدبير ولا إحساس بالمسؤولية. قال أبو الطيّب المتنبّي لمثل هؤلاء الكسالى:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميّت إيلام

وعن بشير الدهان قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: إن الله جلّ وعزّ يبغض العبد النوّام الفارغ»[2].

ولا يكفي ان نعمل إنما علينا أن نخلص فيما نعمل.

(١) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص١٤٠.
(٢) الكافي ج٥ ص٨٥.

الإخلاص في العمل:

الإخلاص في العمل هو تجريد النيّة من الشوائب والمفاسد. قال تعالى: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿لِيَبْلُوَكم أيكم أحسنُ عملاً﴾ قال ليس يعني الكمية وإنما يعني النوعية، الاصابة خشية الله والنية الصادقة.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام ان الاخلاص في العمل مراتب متفاوتة:

١ ـ مرتبة الشاكرين، وهم الذين يعبدون الله تعالى شكراً على نعمائه التي لا تحصى.

٢ ـ عبادة المقربين، وهم الذين يعبدون الله تقرباً إليه والقرب والبعد معنويان.

٣ ـ عبادة المستحيين، وهم قوم يبعثهم على الأعمال والطاعات والحياء من الله تعالى لأنهم علموا انه مطلع على ضمائرهم وعالم بما في خواطرهم.

٤ ـ عبادة المتلذذين، وهم الذين يتلذذون بعبادة ربهم بأعظم مما يلتذ به أهل الدنيا من نعيم الدنيا.

٥ ـ عبادة المحبين، وهم الذين وصلوا بطاعتهم وعبادتهم الى أعلى درجات الكمال من حب الله.

٦ ـ عبادة العارفين، وهم الذين بعثهم على العبادة كمال معبودهم وانه أهل للعبادة.

٧ ـ عبادة الله لنيل ثوابه أو الخلاص من عقابه.

الإمام الكاظم عالم في الاجتماع:

ـ الإصلاح بين الناس:

لا يكفي في الاسلام أن يكون المسلم مستقيماً في حياته الفردية متجنباً الاضرار بالناس، بل المطلوب منه والخير له أن ينتقل سعيه الذاتي الى الإصلاح

(١) سورة البيّنة، الآية: ٥.

بين الناس الذين يعيش معهم. ذلك ان الاصلاح بين الناس من أهداف المسلمين المؤمنين، لأن المؤمن مرآة أخيه، يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها. فعلى المؤمنين شرعاً أن يسعوا للإصلاح كيما يتفاقم الشر ويتطور النزاع، فمن عداوة بين شخصين إلى عداوة بين قبيلتين، وربما يتحوّل الى سفك دماء، وكثيراً ما يحصل أن تقسم الأمة الى جماعات لا همّ لهم سوى الثأر والنكاية والإضرار.

والاصلاح بين الناس لا يصدر إلا من قلوب نبيلة ونفوس تحب الناس كافة وتسعى من أجلهم وتعمل لخيرهم. من هنا يأتي الخير والنفع للمجتمع، ومن هنا تتوثق الروابط الاجتماعية بين الناس وحدة متعاونة على البر والتقوى. لذلك أمر الله المؤمنين بالسعي للإصلاح بين إخوانهم. قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾[(١)].

كما دعاهم عزّ وجلّ للقيام بالاصلاح بين المؤمنين في حال النزاع.

قال تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل...**﴾[(٢)].

والرسول الأكرم ﷺ قال: «الخلق كلهم عيال الله، وأقربهم إليه أنفعهم لعياله» فبقدر ما نفيد عيال الله، بقدر ما نحسن إليهم ونصلح بينهم ونقترب من مرضاته تعالى أكثر.

والامام الكاظم عليه السلام حثّ أصحابه على الإصلاح بين الناس كما شجّعهم على الإحسان لمن أساء إليهم؛ وبيّن لهم عاقبة المحسنين والمصلحين وما لهم من الأجر عند الله. فقال عليه السلام:

«ينادي مناد يوم القيامة ألا من كان له أجر على الله فليقم، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح».

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

ـ حسن الجوار

من أخلاق الاسلام العظيمة حفظ الجوار فهو من الفضائل التي دعا إليها الله في كتابه العزيز، وهو نعمة من نعمه لأن الجار إذا كان صادقاً في قوله وأميناً في معاملته، وحافظاً حقوق جاره يكون الجار الآخر في أمن وأمان واطمئنان منه، إذ انه يحفظه حاضراً وغائباً.

والجار الأمين صديق لجاره وأنيس له، يساعده في حاجاته، ويعوده في مرضه ويخفف عنه أثناء شدته يقول المثل السائر: اسأل عن الجار قبل الدار، وعن الرفيق قبل الطريق. وقال بعضهم: إذا بعت داري فلا أبيع جاري.

وروي عن لقمان أنه قال لابنه:

واعـــرف لجـــارك حقـــه　　　والحـــق يعـــرفـــه الكـــريـــم

فمن أين لنا في هذه الأيام الجار الكريم الذي يعرف واجبه تجاه جاره؟!! الحياة الانسانية حياة اجتماع وسعادة، والوحدة بين البشر أمر طبيعي دعت اليها الحاجة الحياتية. من هنا قال علماء الاجتماع: الإنسان مدني بالطبع. لأن الإنسان بطبيعته وطبعه اجتماعي ألوف ولا خير في امرىء لا يألف ولا يؤلف. قال عز وجل في التآزر والتكاتف: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا..﴾[1] وقال الرسول الأكرم ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق. فالجار الذي له ثلاثة حقوق، الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار، وحق الاسلام، وحق الرحم. وأما الذي له حقان: فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك[2].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق جارك، فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فان علمت عليه سوء سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٢) إحياء علوم الدين للغزلي.

شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوة إلا بالله».

والإمام الكاظم عليه السلام أوصى أصحابه بالإحسان إلى الجار والصبر على تحمّل الأذى والمكروه منه قال عليه السلام:

«ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى» اللهمَّ اعطنا القدرة على تحمّل أذى جيراننا، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إنك أنت السميع العليم.

ـ إغاثة المستجير:

في التعاليم الاسلامية الهامة التي دعت إليها الرسالة النبوية وأوجبت على المسلمين العمل على تطبيقها إغاثة المستجير، أو الملهوف، وهي دعامة متينة من دعائم البناء الاجتماعي في الاسلام. وقد أرسل الله تبارك وتعالى النبيين ليرشدوا الناس إلى النور، إلى الصراط المستقيم، ولو أهمل تطبيق الشريعة الاسلامية لاستشرى الانحلال الأخلاقي في المجتمع البشري، وبذلك يكون إغاثة الملهوف من أوجب الواجبات التي تترتب على الفرد في المجتمع الاسلامي المصون، وبصورة خاصة في أيامنا هذه حيث أصبحنا في عصر استولت على قلوب البشر المداهنة والمداراة، ونسوا أو تناسوا الخالق الذي أمرهم بالمحبة والأخوة، فاسترسلوا في اتباع أهوائهم وانانيتهم بلا حدود، فعمّت الفتن، وشاعت الجهالة وضاعت الفضائل الأخلاقية حتى أصبحت تصرخ وتستغيث: انقذوني! أنقذوني! من براثن الأنانية. لذلك: أوجد الله وجود جماعة من أولي الحل والعقد يمثلون الأمة ويراقبون سياستها وسير أعمالها. هذه الجماعة قصدها الله سبحانه بقوله:

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾[1].

وهذه المسؤولية لا تقع على عاتق هؤلاء الجماعة فقط، بل من واجب كل مؤمن ومؤمنة التصدي للظلم، والدعوة إلى الخير، ومساعدة إخوانه المحتاجين، فهم إن لم يكونوا إخوة لنا في الدين فهم أسوة في الخلق.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

والإمام الكاظم عليه السلام: حثّ أصحابه على إغاثة المستجير، وقضاء حاجة المحتاجين فقال: «من قصد رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره ويقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزّ وجلّ»[1].

وقد أمرهم بقضاء حاجة الناس فقال عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه على حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً ينهشه في قبره إلى يوم القيامة».

وقال عليه السلام في فضل من يقضي حاجة أخيه المؤمن:

«إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرح الله قلبه يوم القيامة»[2].

ـ التراحم والتعاطف

حث الإسلام على التزاور بين المسلمين، لأن ذلك يوطد أواصر المحبة فيما بينهم ويطلعهم على حاجات بعضهم البعض.

والمحبّة التي يبغيها الاسلام للمؤمنين هي المحبّة الخالصة لوجه الله، تلك التي تدفع صاحبها على الدوام إلى محبّة الجميل في أي إنسان تمثل، وإلى تفضيل الجليل من أي مكان صدر هذه المحبّة الناتجة عن التزاور والتعاطف تدوم وتستمر لأنها لوجه الله، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

والمرء لا ينال هذا اللون من المحبّة على وجهها السليم إلاّ بمثل هذا العون الربّاني. من هنا كان القول: إن من علامات رضى الله على الإنسان المؤمن محبة الناس له؛ ومن علامات غضب الله على الإنسان كره الناس له وتفرّقهم من حوله. قال تعالى لنبيه موسى عليه السلام: **﴿وألقيت عليك محبّة مني، ولتصنع على عيني﴾**[3].

(١) الوسائل باب الأمر بالمعروف.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة طه، الآية ٢٩.

وقال رسول الله ﷺ: «الخلق كلهم عباد الله وأقربهم إليه أنفعهم لعياله» ومن هذا الينبوع الغزير (المحبة) تفيض ألوان من التراحم والتعاطف وتتسلسل نسيمات وجدانية يجد المؤمنون جوارها برد السلامة والعافية.

والإمام الكاظم عليه السلام: أمر أصحابه بالتوادد والتآلف وزيارة بعضهم بعضاً لأنها توجب شيوع المودة بينهم، مضافاً لما لها من الأجر العظيم عند الله. قال عليه السلام: «من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره يطلب به ثواب الله، وكل الله به سبعين ألف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه ينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة، تبوأت من الجنة منزلاً..».

وفي حديث لرسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناساً ماهم بأنبياء ولا شهداء يتغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموالٍ يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وأنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[1].

وروى الكليني باسناده عن محمد بن سليمان، عن محمد بن محفوظ قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «ليس شيء أنكى لابليس وجنوده من زيارة الاخوان في الله بعضهم لبعض، قال: وإن المؤمنين يلتقيان فيذكران الله ثم يذكران فضلنا أهل البيت فلا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم إلا تخدّد حتى أن روحه لتستغيث من شدة ما يجد من الألم فتحس ملائكة السماء وخزان الجنان فيلعنونه حتى لا يبقى ملك مقرب إلا لعنه، فيقع خاسئاً حسيراً مدحورا»[2].

السخاء وحسن الخلق:

لقد حثّ القرآن الكريم على حسن الخلق ورغب فيه ودعا إليه بأسلوب هو غاية في الروعة والاداء، فيه التشوق إلى العطاء الذي ما بعده من عطاء. ألا وهو

(١) سورة يونس، الآية ٦٢.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٨٨.

قرض الله قرضاً حسناً وهل هناك أكرم وأعظم من هذا الذي نقرضه؟ إنه العلي القدير، الرحمان الرحيم رب العالمين فاطر السماوات والأرض صاحب العرش العظيم. قال تعالى: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾**[1].

فأي تلطف من رب العالمين تبارك وتعالى في هذا التعبير الذي يجعل الاحسان بمثابة الاقراض وإنما يقترض المحتاج والله غني عن العالمين حيث له ملك السماوات والأرض ومن فيهن. ولقد جاء التعبير بمثل هذه الصورة نيابة عن الفقراء والمحتاجين ودفاعاً عنهم. وما قيمة امرىء يبخل باقراض بعض المال لواهبه الذي سيرده بلا ريب أضعافاً مضاعفة!! والإمام الكاظم عليه السلام لهذا كله حث أصحابه على التحلي بالسخاء وحسن الخلق قال عليه السلام:

«السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يتخلى الله عنه، حتى يدخله الجنة، وما بعث الله نبياً إلا سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق. . .».

وقد عمل عليه السلام بوصية أبيه عليه السلام ثم بوصية جده صلى الله عليه وآله وسلم الرسول الأكرم الذي قال: «ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون. . .»[2].

مكارم الأخلاق:

سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى: **﴿خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾**[3] ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وهو ان تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الخلق الحسن ليميت الخطيئة كما تميت الشمس الجليد»[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

(٢) المجازات النبوية للشريف الرضي ج١، ص١٨٧. والكنف: الجانب. الموطئون: الذين يدوس الناس جانبهم فلا يؤذون ولا يزعجون.

(٣) الأعراف، الآية ١٩٩.

(٤) لمجازات النبوية للشريف الرضي.

وجاء في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما يتقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس خلقه».

والإمام الكاظم عليه السلام عني بهذه الظاهرة فكان دوماً يوصي أصحابه بالتحلي بالصفات الكريمة ليكونوا بسلوكهم وهديهم قدوة صالحة لهم وللمجتمع، حتى يستطيعوا على نشر مفاهيم الخير والصلاح بين الناس.

وفي معنى الخلق وكيفيته وتهذيبه: قال العلماء: ليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع آخر. وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء. ولا عبارة عن القدرة لأن نسبة القدرة إلى الضدين واحدة. ولا عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد بل هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك لا بد في الباطن من أربعة لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث:

١ ـ قوة العلم: فحسنها وصلاحها من أن تصبر بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا تحصلت هذه القوى حصل منها ثمرة الحكمة التي هي رأس الأخلاق الحسنة «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»[١].

٢ ـ قوة الغضب: وأما قوة الغضب والشهوة فحسنهما في أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة والدين.

(١) الأخلاق للعلامة السيد عبد الله شبر ص١٠.

٣ ـ قوة العدل: واما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع، فالعقل منزلته منزلة الناصح والمشير، وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارته، والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة.

ومثال الغضب مثال كلب الصيد، فإنه يحتاج إلى أن يؤدّب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس. ومثال الشهوة مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد، فإنّها تارة تكون مروضاً مؤدّباً، وتارة تكون جموحاً، فمن استولت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً، ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة إلى ذلك المعنى خاصة، كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض.

وحسن قوة الغضب واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفّة، فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال سمّي ذلك تهوراً، وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمّي ذلك جبناً، وان مالت قوّة الشهوة إلى طرف الزيادة سمّي شرها، وإن مالت إلى النقصان سمّي خموداً. والمحمود هو الوسط، وهو العدل والفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذاً فات فليس له طرفان بزيادة ونقصان، بل له ضد واحد وهو الجور.

وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خباً، ويسمي تفريطها بلهاً، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة والخلاصة ان أمهات الأخلاق الحسنة والجميلة وأصولها أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.

لم يبلغ كمال الاعتدال من البشر في هذه الأصول الأربعة إلا رسول الله ﷺ ولهذا أثنى الله عليه قائلاً: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[1].

والناس بعده يتفاوتون في القرب والبعد فينبغي أن يقتدى به. وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين:

﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم**

---

(١) سورة القلم، الآية ٤.

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾[1].

فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل، ومنتهى الحكمة.

والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة؛ والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال. وقد وصف الله عز وجل به قوماً فقال: **﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**[2].

وهذه إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً، وليس الكمال بالشدة في كل حال، ولا في الرحمة بكل حال.

وما نراه اليوم يتمثل عملياً على أرض لبنان في الجنوب الحبيب والبقاع الغربي الحبيب على يد أبطال المقاومة المسلمة الذين استعملوا الشدة في موضعها فجاهدوا بأنفسهم بكل شجاعة محكمين غضبهم على شرط العقل، ومقاومين عناقيد الغضب بدمائهم الزكية الطاهرة فايمانهم في غير ارتياب لقوة يقينهم وهم بالنتيجة الصادقون الصابرون.

فماذا إذن عن الصبر؟

الصبر وفضله:

من الصفات الحميدة التي يتحلى بها المؤمنون، الصبر، فهو المحك لقوة ايمان الانسان وصلابة ارادته تجاه النوائب والمصائب التي تحل به.

قال تعالى: **﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**[3].

وقال تعالى أيضاً: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾**[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بما معناه: «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر،

(١) سورة الحجرات، الآية ١٥.
(٢) سورة الفتح، الآية ٢٩.
(٣) سورة النحل، الآية ٩٦.
(٤) سورة السجدة، الآية ٢٤.

ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار».

وسئل ﷺ عن الايمان؟ فقال: الصبر والسماحة.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر. فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة بالملذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من أبتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد».

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «بني الإيمان على أربع دعائم: اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل».

والإمام الكاظم عليه السلام سار على نهج أبيه وجده فاوصى أصحابه بالتمسك بالصبر إن نزلت بهم كارثة أو حل بهم خطب، فإن الجزع يذهب بالأجر الذي أعده الله للصابرين فقال عليه السلام بما مضمونه:

«المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلاّ بالصبر والاسترجاع عند الصدمة».

وقال عليه السلام عقب البلاء الذي أصابه من الحكام العباسيين:

«إن الصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء».

ولكن أين الرخاء؟ في سجون هارون الرشيد والهادي. !!

وقال عليه السلام: «المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان».

أما الذين صبروا على البلاء مثل الإمام الكاظم وأبيه وأجداده فقال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا**﴾[1]

في حقيقة الصبر:

من المعلوم ان الحرب قائمة على قدم وساق بين باعث الدين وباعث الهوى ومكان المعركة بينهما قلب المؤمن. ولكن مدد باعث الدين من الملائكة الناصرين

(١) سورة القصص، الآية ٥٤.

لحزب الله، ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله، فالصبر عند ذلك عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة.

والصبر ضربان: بدني ونفسي.

- بدني كتحمل المشاق في السفر أو الأعمال الشاقة من العبادات، أو المرض الشديد أو الجراحات والتعذيب.

- ونفسي: وهو الصبر على مشتهيات الطبع، ومقتضيات الهوى، فإن كان على احتمال مكروه اثر مصيبة اقتصر على اسم الصبر.

وان كان عن شهوة البطن والفرج سمّي عفة، وإن كان في الحرب سمّي شجاعة، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان الصعبة سمّي سعة الصدر. وإن كان في إخفاء كلام سمّي كتماناً وان كان في فضول العيش سُمِّيَ زهداً، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمّي حلماً. والإمام الكاظم هو من أفضل الحالمين لكثرة صبره وكظم غيظه، ولهذا سمي بالكاظم.

والعبد في جميع الأحوال لا يستغني عن الصبر في حياته الخاصة والعامة، لأن ما يلقاه في الدنيا إما أن يوافق هواه، واما يكرهه، وحاله غير خارج عن هذين الضربين وهو لا محالة محتاج إلى الصبر في كل منهما.

وهناك صبر لا يقع تحت الاختيار كالمصائب مثل الموت لبعض الأحباب وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وسائر أنواع البلاء.

وهذا النوع من الصبر مستند إلى اليقين. قال رسول الله ﷺ بما مضمونه: «أسألك من اليقين ما يهون به علي مصائب الدنيا». وقال رسول الله ﷺ: الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية؛ فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها، كتب له ثلثمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، ومن صبر على الطاعة، كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش[1].

(١) أصول الكافي، ص٣٥٣.

والانسان قد يخرج عن مقام الصابرين بالجزع الزائد والمبالغة في الشكوى، وهذه بلا ريب داخلة تحت الإختبار، فينبغي أن يتجنب جميعها ويظهر الرضا بالقضاء.

ويروى أنه لما مات ابراهيم ولد النبي ﷺ فاضت عيناه بالدموع فقيل له: أما نهيتنا عن هذا؟ قال ﷺ بما مضمونه: «إن هذا رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»، وقال ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب».

وسئل الإمام الباقر عليه السلام عن الصبر الجميل؟ فقال: ذاك صبر ليس فيه شكوى واما الشكاية إلى الله تعالى فلا بأس بها كما قال يعقوب: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾.

ولكن لكل داء دواء فهل للصبر من دواء أو علاج؟؟

نعتقد ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء، ووعد بالشفاء، فالصبر وإن كان شاقاً يمكن تحصيله بتقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة والرياضة الروحية. فمن يكثر فكره فيما ورد في فضل الصبر يعلم ان ثوابه على المصيبة أكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر.

وهذا ما يحصل كل يوم مع أهالي المجاهدين الأبطال في المقاومة حيث نجد العديد من الآباء والأمهات الذين فقدوا أبناءهم في هذه الدنيا فصبروا صبراً جميلاً مقوين باعث الدين ومضعِّفين باعث الهوى بالمجاهدة والرياضة، عاملين بقول الرسول الأكرم الذي قال ﷺ: «أسألك من اليقين ما يهون به علي مصائب الدنيا».

محاسبة النفس: الإمام الكاظم عالم نفسي

قال الله تعالى: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا

(١) سورة الإسراء، الآية ١٤.

ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾[1].

فعلم أصحاب البصائر أن العليم بالسرائر والمطلع على الضمائر سيحاسبهم على كل صغير أو كبير أو جليل أو حقير، وعلى مثاقيل الذر من الخطرات واللحظات والغفلات، ولا ينجيهم من هذه الأخطار العظيمة والأهوال الجسيمة إلاّ محاسبة أنفسهم في الدنيا قبل أن يحاسبوا يوم القيامة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة، ثم تلا عليه السلام: **﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**[2].

ومعنى المحاسبة هو أن يحاسب الإنسان نفسه أولاً بالفرائض التي هي بمنزلة رأس ماله، فإن أدّاها على وجهها شكر الله على هذه النعمة، وإن فوّتها من أصلها طالبها بالقضاء. وكما أن التاجر يفتش في حساب الدنيا عن القيراط والحبة ليحفظ مداخل الزيادة والنقصان، فينبغي عليه أن يتقي غائلة النفس ومكرها لأنها خداعة، فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما يتكلم به طوال نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما يستولي غيره في صعيد القيامة.

وهكذا عن نظره وسمعه ولسانه، بل عن خواطره وأفكاره وجميع جوارحه حتى عن سكونه وسكوته وأكله وشربه. فإذا عرف مجموع واجبات نفسه وصح عنده قدر ما أدى من الحق، كان ذلك القدر محسوباً له، فيثبته عليها ويكتبه على صحيفة قلبه.

قال الإمام الباقر عليه السلام: لا يغرنك الناس من نفسك، فان الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك فأحسن فاني

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٢) سورة المعارج، الآية ٤.

لم أر شيئاً أحسن دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله أوصني. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فهل أنت مستوص إذا أنا أوصيتك؟ حتى قال له ذلك ثلاثاً وفي كلها يقول له الرجل: نعم يا رسول الله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك رشداً فامضه، وان يك غيّاً فانته عنه.

والإمام الكاظم عليه السلام حث أصحابه على محاسبة أنفسهم والنظر في أعمالهم فان كانت حسنة استزادوا منها، وإن كانت سيئة طلبوا من الله المغفرة والرضوان. قال عليه السلام:

«ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فان عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه»[1].

مراقبة النفس:

ينبغي على العبد أن يراقب نفسه في جميع أعماله، ويلاحظها بالعين الخالصة لأنها إن تركت بلا مراقبة فسدت وأفسدت. ثم عليه أن يراقب الله في كل حركة وسكون، وذلك بان يعلم بان الله مطلع عليه وعلى ضميره، خبير بسرائره، رقيب على أعماله، قائم على كل نفس بما كسبت، وان سر القلب عنده مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف، بل أشد من ذلك قال الله تعالى: ﴿**إن الله كان عليكم رقيبا**﴾[2].

وقال تعالى أيضاً: ﴿**ألم يعلم بأن الله يرى**﴾[3].

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «الاحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك».

---

(١) راجع الأخلاق لشبر ص٢٨٥ ـ ٢٨٦ وحياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي ج١، ص٢٤٨.
(٢) سورة النساء، الآية ١.
(٣) سورة العلق، الآية ١٤.

ويروى أن زليخا لما خلت بيوسف قامت فغطّت وجه صنمها، فقال يوسف: ما لك تستحين من مراقبة جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار؟!».

ولا ريب أن المراقبة تحصل من معرفة الله، والعلم بأنّه تعالى مطلع على الضمائر، عالم بما في السرائر، بمرأى منه وبمسمع، هؤلاء هم من الورعين أصحاب اليقين غلب اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم، ولم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال، بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال، متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال والمراقبة فيها، وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلاّ بعد التثبت، ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في يوم القيامة. فإنّهم يرون الله عليهم، فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة.

قال الفقهاء: إن العبد لا يخلو إما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح.

فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الأدب وحراستها من الآفات. ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والإشتغال بالتفكير. ومراقبته في المباح بمراعاة الأدب، بان يقعد مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلاً إلى غير ذلك. فكل ذلك داخل في المراقبة. وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها، وبالصبر على البلاء فإن لكل واحد منها حدوداً لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة.

قال تعالى: ﴿ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾[1].

وقال ﷺ: «رحم الله امرءً عرف حدّه فوقف عنده».

كيف تقاس الأعمال؟

الإسلام قد نظر إلى الدوافع الذاتية التي تدفع الإنسان إلى عمل الخير نظرة موضوعية أصيلة، وبنى الأعمال على أساس «النية» وقال: «الأعمال بالنيات».

لكل عمل يقوم به الإنسان جانبان، لكل منهما حساب مستقل على حدة فمن

(١) سورة الطلاق، الآية ١.

الممكن أن يكون عمله خيراً من جهة ولا قيمة له من جهة أخرى.

فهنا يجب أن ينظر إلى ما حمل فاعله عليه من الدوافع النفسية والروحية وحكمنا في مثل هذه الأعمال يستند إلى القيم الخاصة الاجتماعية والخارجية للعمل، ولا موضوعية لنية الفاعل من هذا المنظار. المهم النتيجة الايجابية فلا يفرق لدينا ان يكون هدف المحسن من إحسانه الرياء والمنافع المادية، أو يكون له في عمله دافع قيم، وان تكون هناك نية صافية نزيهة في هدف عمله. فالعمل الصالح في النظام الاجتماعي هو ما يكون نافعاً للمجتمع، ولا علاقة له بما فيه للفرد من تكامل معنوي، وأنه بادر إلى ذلك العمل بتأثر من أي دافع أو عامل؟.

في شريعة الله لا ينظر إلى كمية العمل، بل إلى كيفية العمل وأثره النفسي والذاتي في شخص الفاعل، فهذا الذي يتقبله الله تعالى.

في هذا المجال الحساب يتبع ما بين الفعل والفاعل من الرابطة، وبأي نية أو هدف أقدم على ذلك العمل، فلو كان قد بادر إلى ذلك العمل الصالح بدافع الرياء فان نفسه لم تتقرب بذلك إلى الله تعالى بل ابتعد وخاب ظنه، ولا يكفي لتلقي العمل الصالح لديه أن يكون مفيداً للمجتمع فحسب بل العمل الاجتماعي المفيد إنما يكون نافعاً بالنظر إلى التكامل المعنوي فيما إذا كانت الروح خارجة عن حصار الرياء والأهواء الشخصية إلى الصفاء في النيّة والخلوص إلى الله تعالى.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**﴾[1].

وعن الرسول الأكرم ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

فثبوت الايمان بالله هي النية المعنوية، وعندئذٍ يتصف العمل بالقيمة الخالصة وسيكون صاحب هذا العمل مورد لطف الله وعنايته وحمايته. فالانسان الذي لم تسطع أشعة الله على روحه هو خال من الايمان والاخلاص، إنما يدفعه إلى القيام بالأعمال الميول النفسانية والشهرة الدنيوية الفانية، إنه بدأ عمله خلواً من روح الحقيقة وأنهاه ليظهر فضائله الإنسانية على الملأ بغية احترامه وتقديره.

(١) سورة البينة، الآية ٥.

هذا الهدف غير القيم يكون السبب الأساسي في رد عمله، ويصبح عمله لا قيمة له عند الله تعالى، ولا تعود منه عائدة سوى ذلك الهدف المحدود الذي كان يهدف إليه ليفيده في حياته الحاضرة.

وهذا ما نلاحظه اليوم عند أكثر المرشحين للنيابة في الانتخابات حيث يبدأ نشاطهم في إعمار المساجد ولم يدخلوها إلا وقت التدشين، وينفقون الأموال الطائلة على الموائد الشهية، والمظاهر الفارغة، والتبرعات الخاصة لذوي الحاجات. كل ذلك لاظهار كرمهم الزائف وافتخارهم أمام الناس لكسب رضاهم.

هؤلاء عطاؤهم مردود عند الله، لأنهم لم يكونوا مخلصين في نواياهم، ولم يعملوا لكسب رضا الله، بل همهم رضا الناس من أجل مصالحهم الخاصة. لكنهم لو عقلوا أكثر لأخلصوا في نواياهم وكسبوا رضا العباد،ـ ورضى رب العباد. قال تعالى: ﴿**والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله...**﴾[1].

أما الذين يتمتعون بالثقة بأنفسهم ويعتمدون على أعمالهم فلا يشعرون بحاجة إلى الرياء لأنهم لا يعانون من أي مرض نفسي. وقد وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «لسان المرائي جميل، وفي قلبه داء دخيل»[2].

وفيه عنه عليه السلام قال: «الإفتخار من صغير الاقدار». يقول عالم نفسي كبير:

«من الوسائل التي نتوسل بها لجلب انتباه الآخرين عند الفشل وخيبة الأمل وعدم التوفيق، هو الاطراء في الثناء على أنفسنا، نتصور الأعمال التي نحب لو كنا نعملها لو كنا نحصل عليها، وكأنها كانت وحصلت فننسبها إلى أنفسنا، أو نقنع من أنفسنا أن نتحدث دائماً عن الأفعال التي عملناها وأن نعظمها مهما كانت صغيرة وحقيرة بدلاً من الأعمال التي لم نعملها والموفقيات التي لم نحصل عليها».

هذه الفئة من الناس ينخدع أفرادها بجزافاتهم ويرضون عن أنفسهم مخدوعين بحيث تفوتهم أية فرصة للسعي والتوفيق.

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٨.

(٢) رسالة الأخلاق عن غرر الحكم ص١٠٦.

ولو كان الثناء على النفس يريح صاحبه من خيبة عدم التوفيق في الأعمال وعدم اجتذاب الناس إلى نفسه، فيخدع بذلك المستمعين بصورة مؤقته، فان ذلك لن يعالج المرض الأصيل.

اما الذي يعمل أعمالاً صالحة ويحصل من جراء ذلك على موقع محترم في قلوب الآخرين فلا حاجة له إلى الثناء على نفسه، فهو بدل ذلك يسعى ويعمل، ويحصل كل يوم على أصدقاء مخلصين وتقدير خاص في مجتمعه.

ويقول عالم نفسي آخر: إن الثناء على النفس يولد الانزعاج لدى الآخرين، فهو من جانب قد يشتمل على شيء من الكذب والتزوير، ومن جانب آخر هو ينشأ من الجهل والحماقة. إن من يتحدث عن صفة خاصة في نفسه وبصورة مستمرة قد يكون فاقداً لها. (وفاقد الشيء لا يعطيه). واعلموا أن الذين يتحدثون عن نجاحاتهم ومظاهر نشاطاتهم، وحسن تدبيرهم يفقدون بلا ريب مثل هذه المزايا.

ولا ينبغي أن ننسى أن الكذب حبله قصير، ولا يدوم كثيراً حتى ترتفع الحجب والستائر عن وجه الحقيقة، وحينئذٍ يفقد المرء كل مكانته ووجاهته بين أفراد مجتمعه مهما حاول التستر. وفي ذلك قال أحد الشعراء:

ومهما يكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى عن الناس تعلم

هؤلاء أظهروا الحقيقة بوجه مخادع يخالف الحق وذلك بغية تحقيق أهداف خاصة ومصالح شخصية.

والنفاق هو أعلى درجات الكذب وأحقرها حيث يظهر المنافق غير ما يبطن فيلهج بلسان ذلق مخادع وقلبه يضمر العكس تماماً وهو ما سمي بذي الوجهين. من هنا سمي الرجل الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر منافقاً[1] فهو كذب عملي فعلي. ومن هذا النوع الذين يظهرون صداقتهم ويبطنون عداوتهم. وكل من يظهر بمظهر ينافي حقيقته هو منافق حقير مذموم، قلبه مريض. قال تعالى:

(١) وقد اشتقته العرب من النافقاء وهو إحدى حجرة اليربوع يخفيه ويظهر غيرها ليلجأ إليها عند الحاجة.

﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾[١].

القياس بالنفس:

كل انسان يقيس الآخرين على شاكلته، فإن كان سلوكه فاسداً فيقيس الآخرين على أساس مقاصده الفاسدة ونياته الملوثة وغير النزيهة. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عالم العلماء، وسيد البلغاء، وسيد الأدباء: «الرجل السوء لا يظن بأحد خيراً؛ لأنه لا يراه إلاّ بطبع نفسه»[٢].

وهذا ما نلاحظه في مجتمعنا اليوم وما يمكن أن يحصل في كل يوم لأن الحقائق العلمية موضوعية ومستمرة في كل العصور. يقول علماء النفس: «حينما تمتلىء الدنيا بعواطفنا وميولنا وأفكارنا، فمن المقطوع به أننا ننظر إلى كل شيء منها بنظرتنا الشخصية، وكأن أحاسيسنا تظل على رؤوس الكائنات. ونلاحظ ذلك في الطبيعة:

فالعواصف تصيب باليأس والقنوط، والنسيم الغض الطري يكسبنا الرضا والسكون. وهكذا نحن البشر نرى الطبيعة الجغرافية والبشرية من خلال نوافذ عواطفنا وأحاسيسنا.

فحسب أحاسيسنا من الممكن أن نرى الهر حيواناً محبوباً لطيفاً أو حيواناً مؤذياً معادياً. كما يمكن أن نرى الاسد حيواناً محبوباً مأنوساً أو نراه حيواناً مفترساً ضاراً مرهوباً. ذلك أن العواطف والأحاسيس تغير الدنيا التي نعيش فيها بصورة كلية. ومن هنا كان التفاؤل والتشاؤم من الموضوع نفسه عند بعض الناس.

وإذا ما سألنا بعض القضاة والحقوقيين يقولون: قلما يتفق أن يشهد الشهود لحادثة بسيطة ساذجة شاهدوها من قريب، بشهادة واحدة تماماً، فقد تختلف العبارات والصورة من شخص لآخر.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٩.

(٢) عن غرر الحكم ص١٠٤.

كما نلاحظ ذلك في الأمور التي لا تثير فينا العاطفة نشاهد جيداً كيف تختلف أفكارنا ونظراتنا، فكيف بالأحرى بالحوادث العاطفية.

ولا ريب أن ذلك يعود إلى العقل الذي منه الإتزان والصحة والرأي السليم. قال الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام: «يا هشام إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره. يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

هذا النمط من الناس ينقصهم ضعف في النفس وعدم الثقة بأنفسهم. والسبب في ذلك يعود إلى عدم الاتكال على الله، رب العالمين الذي تستمد منه وحده فهو صاحب القدرة الآلهية الأزلية.

إن المؤمن مع تمتعه بثقته بنفسه، ومع إفادته من كل الامكانيات التي تحت تصرفه بصورة دقيقة وتامة، لا يحضر روحه بين العلل والعوامل المادية، ولا تتوقف إنسانيته على المادة، بل يرى طريق التعالي والتسامي إلى القمة مفتوحاً عليه، كما يرى عمله أبعد من حدود المادة، فهو يربط بين نشاطاته وفعالياته وأهداف الحياة العالية إن من يطمئن قلبه بالايمان يكون اعتماده وثقته بالله تعالى الذي بيده سبحانه تدبير كل الأمور وحده لا شريك له. قال تعالى: **﴿ما يفتح الله للناسِ من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك، فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾**[1].

إن اللجوء إلى غير الله لا ينتج عنه سوى الذلة والحقارة، وأنى لمخلوق عاجز لا ملجأ له إلا الله بل هو فقير في كل شيء إليه ولا يملك من أمره شيئاً، فكيف له أن يمتلك أمر غيره؟

وهل بعد هذا أفضل وألطف من أن يعيش الإنسان في كنف لطف الله وحمايته؟ فهو مالك كل شيء وبيده تدبير جميع الأمور.

---

(١) سورة فاطر، الآية٢.

إن الخضوع أمام الله في السراء والضراء، والاعتقاد الحازم والراسخ بسيادة القدرة المطلقة الالّهية فوق جميع القدرات والعوامل المادية يترك في نفس المؤمن آثاراً عجيبة من الطمأنينة بحيث لا يفتقد قيمته أمام أي حادث، ولا يضطرب ولا يقلق لأي شيء كبيراً كان أم صغيراً. إن الاتكال على الله عز وجل لن يؤدي إلى الضعف والوهن، بل هو ثقة واعتماد يوثق قوة الإرادة، ويقطع جذور أي وسوسة أو تردد من القلوب. وهل يزكو عمل الإنسان وهو شاغل قلبه عن أمر ربه؟

قال الإمام الكاظم عليه السلام مخاطباً هشام:

«يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك، وقال لقمان عليه السلام: «ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، وشراعها التوكل...».

إن الكفاح الدائم والمستمر للمؤمنين الالّهيين ضد عوامل التخريب والانحراف في المجتمع، والأفكار المنحطة فيه، كانوا يستعينون بالمدد اللامرئي لتنفيذ برامجهم الاصلاحية وارشاد العباد إلى نهج الرشاد، وحيث كانت لأرواحهم ارتباط غير منقطع بقدرة الله الأزلية، فإنهم كانوا يتابعون أهدافهم حتى المرحلة النهائية بكل صراحة وموضوعية.

لكن الثقة بالنفس بدون الاتكال على الله لا يمكن أن تنفذ روح الإنسان في الأحوال الحرجة والمنهكة لقوى القلق والاضطراب، لأن الشدائد والعوامل المعاكسة في الحياة تهزم روح الخالي من الاعتماد على الله، والذي لا تتجاوز بصيرته عن حدود الماديات؛ وهو بهذه الحالة لا يتمكن من أن يخطو أية خطوة في مدارج الكمال حتى لو كانت سهلة واضحة وربما يعيقه ألم بسيط عن تحقيق هدف كبير، إن كيفية روحية المسلمين الأوائل في صدر الإسلام وبصورة خاصة الأئمة المعصومين عليهم السلام تثبت لنا صحة ما نرمي إليه، إذ كانوا أفضل وأكمل نموذج للاعتماد على الله والتوكل عليه.

فالذين تربّوا في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الاسلامية الأولى النشطة المعطاء،

لم تسيطر عليهم حالة عدم الثقة أبداً، وذلك بسبب ارادتهم القوية وايمانهم الأصيل، وهذه الارادة الثابتة المطمئنة هي التي فتحت لهم طريق النجاح والتقدم والانتصار على الباطل لقد سلكوا طريق الحق وقالوا كلمة الحق ونشروا رسالة الحق ولم تأخذهم في الله لومة لائم حتى أحدثوا ذلك المجتمع الاسلامي الوحيد الذي لم نر نظيراً له في التاريخ.

قال الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن أمر أصحابه بقول الحق وإظهاره، والتجنب عن الباطل: «إتق الله، وقل الحق وإن كان فيه هلاكك فإن فيه نجاتك، أي فلان اتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك فإن فيه هلاكك».

على كل أحد أن يقيِّم موقعه في الحياة، ويعرف ان ما اختاره من طريق هل هو إلى خير وسعادة أم إلى شقاء وتعاسة؟ وبالتعرف على الحاجات النفسية يستطيع أن يكافح ضد العوامل التي توجب اضطراب التوازن الروحي، وان لا يدع تلك العوامل تجتمع وتتكاتف على ضرر الإنسان، فيقول الخير من أي موقع كان. قال الإمام الكاظم عليه السلام للفضل بن يونس:

«أبلغ خيراً وقل خيراً، ولا تكن إمَّعة»[1].

المسؤولية الفردية:

ان المسؤولية الفردية في الاسلام تشكل أساس التعاليم الإنسانية والتوصل إلى السعادة المعنوية في النظام الاسلامي يتوقف على عمل الشخص نفسه، والتكاليف التي وضعها على عاتق الإنسان في جميع الشؤون الدينية والدنيوية يجب أن تؤدي بالعمل المباشر، وعلى هذا الأساس يترتب مبدأ الثواب والعقاب. والقرآن الكريم ينبه إلى:

﴿أن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ و﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[2].

وقال تعالى أيضاً: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنُحْيِيَنَّهُ

(١) الإمَّعة: قيل أصله إني معك ليس له رأي مستقل.
(٢) سورة المدثر، الآية ٣٧.

حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملون﴾[1].

وفي هذه الدنيا يستوفي الإنسان نتائج أعماله. جاء عن الرسول الأكرم ﷺ قال: «من عمل سوءاً يُجْزَ بِهِ في الدنيا»[2].

وقال ﷺ: «من يزرع خيراً يحصد رغبة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة»[3].

وكتب الفيلسوف الأمريكي (امرسون) يقول: «إن العالم بمثابة جدول ضرب أو معادلة رياضية كيفما يعادلونها تعتدل وتتوازن ويكون جوابها واحداً دائماً، إننا أي طريقة نختارها لحل مسألة رياضية فإن إعداد النتائج ستكون واحدة لا محالة والطبيعة بسكوتها تفشي كل سر بطريقة متقنة، وتجازي كل جريمة، وتثبت على كل فضيلة. وكل عمل يستكمل نفسه من طريقين:

الأول: التفاعل في الطبيعة الواقعية لنفس الفعل والعمل.

والثاني: الطريقة العلنية الظاهرة. والكيفية العلنية هي التي تسمى الجزاء والعقاب. العقاب الذاتي يرى بالعين المجردة في الشيء نفسه، والعقاب الكيفي يرى ببصيرة الفهم.

هذه العقوبة الخاصة من الممكن أن تبدو بعد أعوام عديدة من وقوع الحادثة، ولكنها تستتبعها وتلازمها حتماً. إن الجريمة والجزاء أغصان شجرة واحدة، والجزاء ثمرة تنضج وتظهر فجأة من باطن زهرة اللذة التي سترتها وغطتها»[4].

لذلك وجدنا الإمام الكاظم عليه السلام يوصي عموم أصحابه بتنظيم أوقاتهم، والعمل على تهذيب نفوسهم وتحمل مسؤولياتهم فقال عليه السلام:

اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات:

ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرِّفونكم عيوبكم، ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم

(١) سورة النحل، الآية ٩٧.
(٢) عن نهج الفصاحة ٥٩٢.
(٣) نفسه ص٦٢٢.
(٤) رسالة الأخلاق ص٣٤٧.

في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات، ولا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر، فانه من حدّث نفسه بالفقر بخل، ومن حدّثها بطول العمر حرص.

إجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروءة، وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين، فإنّه روي: «ليس منا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه»[١].

وقال عليه السلام في استغلال الوقت لصالح الفرد وحثه على تحمل المسؤولية في هذه الحياة الدنيا: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه أشرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة على نفسه فهو في النقصان، ومن كان إلى النقصان أكثر فالموت خير له من الحياة»[٢].

عيوب النفس:

إن لمختلف أنماط السلوك أثراً في الأشخاص لا يوصف ايجابياً أو سلبياً. ومن عيوب النفس الغرور: إن الغرور وحب التغلّب والارتفاع غالباً ما يمنع الإنسان من أن يدرك حدود نقائصه، ومن أن يقف على حدود قدراته وطاقاته.

قال أمير المؤمنين عليه السلام «رضا العبد عن نفسه برهان سخافة عقله»[٣].

وإن الأمر الذي يمنع من نمو استقلالية شخصيته، ويسبب في توقف نموه النفسي وجموده، هو عدم اطلاعه على ما في وجوده من نقائص مما يجعل الإنسان لا يهتم أبداً بسد تلك النقائص وترميمها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الراخي عن نفسه مستور عنه عيبه، ولو عرف فضل غيره كفاه ما به من النقص والخسران»[٤].

عن علي بن سويد، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن العجب الذي يفسد

---

(١) تحف العقول ص٤٠٩.
(٢) الاتحاف بحب الأشراف ص٥٥.
(٣) غرر الحكم، ص٤٢٤.
(٤) غرر الحكم ص٩٥.

العمل، فقال: العجب درجات: منها ان يُزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً. ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمُنَّ على الله عز وجل ولله المنّة عليه[1].

وفي ذلك قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام «العجب يفسد العقل»[2].

ونجد كثيراً من أولئك الذين يتلفون طاقاتهم الروحية من دون أن يفيدوا منها في تحسين وضعهم الشخصي والاجتماعي، ومن دون أن يكون لهم أدنى اطلاع عن القوى المخبوءة والطاقات العجيبة في نفوسهم، اللهم إلا أن تتفق أرضية مساعدة لهم على إبراز استعداداتهم المثمرة، وكم من قدرات مفيدة تذهب هدراً على أثر عدم اطلاع أصحابها عن كيفية ومستوى اقتدارها وحسن استثمارها.

جاء في غرر الحكم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «من طلب عيباً وجده».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «يا هشام إن العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به، وأكثر الصواب في خلاف الهوى، ومن طال أمله ساء عمله».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً: «من تعظم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض، ومن تكبّر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله ومن ادعى ما ليس له فهو أغنى لغير رشده».

أما الذين يصابون بالعقد والآلام النفسية، أو يعانون كابوس اليأس والقنوط، هم في الواقع أناس غير مطلعين على استعداداتهم وامكاناتهم وطاقاتهم الكامنة فيهم، كي يسدوا عوزهم بالافادة مما فيهم من قوى وطاقات، ويستبدلوا ما فيهم من نقص بالكمال، ولذا فمن الضروري لهؤلاء السعي الحثيث لاكتشاف أنفسهم. وقد أكّد العلماء على معرفة النفس ضمن الأمور التي ترتبط منها بالانسان كذلك في العهد الحاضر يعد تعلم أصول معرفة النفس من أهم المواضيع في علم النفس الطبي، هذا والعصر الحاضر عصر الدراسات العميقة بشأن الطبيعة الإنسانية وعصر علم النفس بالمعنى الفني والاختصاصي العام.

(١) الكافي ج٢، ص٣١٣.
(٢) غرر الحكم ص٢٦.

معرفة النفس:

إنّ مشكلة معرفة النفس والجهل بحاجاتها الروحية حقيقة لا يمكن إنكارها، في حين أن الجهال منا يظنون أنهم يعرفونها أفضل من الجميع، وأنهم مطلعون على علل دوافعها وافكارها وسلوكها. وبالتالي هم مطلعون على باطنهم تماماً

ومشكلة معرفة النفس هي العلة لكثير من الأخطاء وسوء الفهم وإصدار الأحكام الظالمة، مما يستدل رؤية الإنسان لاساس هذه المشاكل في الجهل وذلك بالامكانات وكميتها وكيفيتها، التي أودعتها يد الخلقة في وجود انسان. ولا ننسى الدور الذي تؤديه الوراثة والتربية والمحيط الاجتماعي والبيئة في نظام الحياة النفسية، إضافة إلى سيطرة الأهواء والنقائص على الإنسان ولنا في الحكام العباسيين دليل واضح على ذلك وفي العصور القديمة كان الفلاسفة يؤكدون على معرفة النفس ضمن الأمور التي ترتبط بالانسان، كما نلاحظ في وقتنا الحاضر أن تعلم أصول معرفة النفس يعد من أهم المواضيع في علم الطب النفسي. في هذا العصر ظهرت سلسلة من البحوث القيمة بشأن علم النفس بالمعنى الاختصاصي العام.

ولهذا فإن الرسول الأكرم ﷺ ينبه الناس إلى أن يجتنبوا اتباع الهوى فيقول: «إياكم والهوى، فإن الهوى يعمي ويصم»[1].

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «لا يغرنك الناس من نفسك فإن الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فإن معك من يحفظ عليك عملك، وأحسن فاني لم أر شيئاً أحسن دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم»[2].

وروى الكليني أيضاً عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام قال: «لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف وسارعوا إلى طاعة الله

(١) عن نهج الفصاحة ص٢٠١.
(٢) الكافي ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

وأصدقوا الحديث وأدوا الأمانة فانما ذلك لكم ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم، فإنما ذلك عليكم»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»[2].

الحب الخالص والود الخالد:

وهل أروع وأعظم من هذا الرباط الوثيق الذي يجعل المسلمين كالبنيان المرصوص! قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾[3]وقد عرض سبحانه لدفع البشر إلى هذه المحبة الصافية النزيهة بواعث وأشواقاً، ولذلك أوجد في ضمير الإنسان حباً للذات متوازناً ومتناغماً، ويبلغ في تعاليمه إلى قاعدة ينطلق في ظلها من قيود الغرور وعبادة الذات بحيث لا يظهر فيه اتجاه مفرط في حبه لذاته. وهذا على عكس ما وجدنا عند هارون والمنصور والهادي... إن الكبرياء يختص بذات الله وحده لا شريك له، الله الذي لا يتطرق إليه الفقر والحاجة، بل تحتاج إليه جميع الموجودات من جميع الجهات:

قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**﴾[4].

والاصابة بالغرور وحب الظهور والتعالي على الناس هو انحراف أكيد عن البرامج الآلهية. والقرآن الكريم يلفت نظر المغرور إلى عجزه واحتقاره وبذلك يهبط بروح القوة عنده من قمة الخيالات الواهبة إلى حضيض الهاوية فيقول تعالى:

﴿**ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**﴾[5] إن من لا ينصرف عن النظر إلى المبدأ الأعلى للوجود لا تسيطر عليه في

(١) الكافي ص٤٥٣ ـ ٤٥٤.
(٢) الكافي ص٤٥٣ ـ ٤٥٤.
(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠.
(٤) سورة فاطر، الآية ١٥.
(٥) سورة الاسراء، الآية ٣٧.

مواقع الرفاهية والعنعمة حالة الغرور بل يبقى على ما هو عليه، إذ أن الاسلام يدعو إلى التواضع والاعتدال، ولا يجب الكبر والاستعلاء لذلك دعا الله جل وعلا رسوله الكريم ليتواضع ويلين جانبه مع الناس قال تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾**[1].

وقال ﷺ: «إن العفو لا يزيد العبد إلا عزا، فاعفو يعزكم الله وإن المتواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا إنماءً، فتصدقوا يزدكم الله».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إياك والكبر فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، الكبر رداء الله فمن نازعه رداءه أكبه الله في النار على وجهه»

وسبب وجود الغرور والقيم الكاذبة المسيطرة على الروح والمدركات هو عدم وجود القيم الآلهية في القلوب المؤمنة. ذلك أن المؤمن يتجنب كل خضوع مذل تنزل به شخصيته في مجتمعه، لأنه أمام ذات الكبرياء المقدسة التي تعطيه الدفع الكبير والقوة الهائلة في سائر حالاته. والله تعالى يوصي أهل الايمان بهذه المزية الايمانية الخاصة في جميع المواقع وكل المراحل. قال تعالى: **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾**[2].

والإمام الكاظم عليه السلام قال: «إن قلوب المؤمنين مطوية».

روى الكليني عن علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «إن الله خلق قلوب المؤمنين مطوية مبهمة على الايمان فإذا أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة، وزرعها بالعلم، وزارعها والقيم عليها رب العالمين»[3].

وهكذا قال قلب الإمام الكاظم عليه السلام مزروعاً بالحكمة والعلم والقيم من رب العالمين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.
(٣) الكافي ج٢، ص٤٢١.

في سبيل الشريعة الاسلامية

مناظرات الإمام الكاظم عليه السلام

للإمام الكاظم عليه السلام مناظرات واحتجاجات هامة وبليغة مع خصومه المناوئين له، كما جرت له مناظرات أخرى مع علماء النصارى واليهود. وقد برع فيها جميعها وأفلج الجميع بما أقامه من الأدلة الدامغة على صحة ما يقول، وبطلان ما ذهبوا إليه. وقد اعترفوا كلهم بالعجز والفشل معجبين بغزارة علم الإمام وتفوقه عليهم.

١ ـ مع هارون الرشيد:

دخل إليه وقد عمد على القبض عليه، لأشياء كذبت عليه عنده، فأعطاه طوماراً طويلاً فيه مذاهب وشنعة نسبها إلى شيعته فقرأه عليه السلام ثم قال له: يا أمير المؤمنين نحن أهل بيت منينا بالتقول علينا، وربنا غفور ستور، أبى أن يكشف أسرار عباده إلا في وقت محاسبته: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾[1].

ثم قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن علي، عن النبي صلوات الله عليهم:

الرحم إذا مست اضطربت ثم سكنت، فان رأى أمير المؤمنين أن تمس رحمي رحمه ويصافحني فعل. فتحول عند ذلك عن سريره ومد يمينه إلى موسى عليه السلام فأخذ بيمينه ثم ضمه إلى صدره، فاعتنقه وأقعده عن يمينه وقال: أشهد أنك صادق وجدك صادق ورسول الله صلى الله عليه وآله صادق ولقد دخلت وأنا أشد الناس حنقاً[2] وغيظاً لما رقي إليّ فيك فلما تكلمت بما تكلمت وصافحتني سرّى عني وتحول غضبي عليك رضى.

وسكت ساعة ثم قال له: أريد أن أسألك عن العباس وعلي بما صار عليّ أولى بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من العباس، والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصنو أبيه؟

(١) سورة الشعراء، الآية ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) حنقاً: الحنق شدة الاغتياظ والغضب.

فقال له الإمام عليه السلام: أعفني. قال: والله لا أعفيتك، فأجبني.

قال: فان لم تعفني فآمني. قال: آمنتك، قال موسى بن جعفر عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله لم يورث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، إن أباك العباس آمن ولم يهاجر، وإن علياً آمن وهاجر، وقال الله: **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾**[1] فتغيّر لون هارون.

ثم تابع الرشيد فقال: ما لكم لا تنسبون إلى عليّ وهو أبوكم وتنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدكم؟ فقال الكاظم عليه السلام:

إن الله نسب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى خليله إبراهيم عليه السلام بأمه مريم البكر البتول التي لم يمسها بشر في قوله تعالى: **﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجزي المحسنين﴾**[2] **﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾**[3] فنسبه لأمه وحدها إلى خليله إبراهيم عليه السلام. كما نسب داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون عليهم السلام بآبائهم وأمهاتهم، فضيلة لعيسى عليه السلام ومنزلة رفيعة بأمه وحدها. وذلك قوله في قصة مريم عليها السلام: **﴿إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾**[4].

بالمسيح من غير بشر. وكذلك اصطفى ربنا فاطمة عليها السلام وطهرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة فقال له هارون ـ وقد اضطرب وساءه ما سمع ـ:

من أين قلتم الانسان يدخل الفساد من قبل النساء ومن قبل الآباء لحال الخمس الذي لم يدفع إلى أهله، فقال الإمام الكاظم عليه السلام: هذه مسألة ما سئل عنها أحد من السلاطين غيرك، ولا تيم ولا عدي ولا بنو أمية ولا سئل عنها أحد من آبائي فلا تكشفني عنها. قال الرشيد: فان بلغني عنك كشف هذا رجعت عما

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٤ و٨٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٤ و٨٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٤٢.

آمنتك. فقال موسى عليه السلام: لك ذلك. قال عليه السلام: فإن الزندقة قد كثرت في الاسلام وهؤلاء الزنادقة الذين يرفعون إلينا في الأخبار، هم المنسوبون إليكم.

فقال هارون: فما الزنديق عندكم أهل البيت؟ فقال عليه السلام: الزنديق هو الراد على الله وعلى رسوله وهم الذين يحادّون الله ورسوله. قال تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾**(١).

وهم الملحدون، عدلوا عن التوحيد إلى الالحاد.

فقال هارون: أخبرني عن أول من ألحد وتزندق؟ فقال عليه السلام: أول من ألحد وتزندق في السماء إبليس اللعين، فاستكبر وافتخر على صفي الله ونجيه آدم عليه السلام فقال اللعين: **﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾**(٢) فعتا عن أمر ربه وألحد فتوارث الالحاد ذريته إلى أن تقوم الساعة فقال هارون: ولابليس ذرية؟ فقال عليه السلام:

نعم ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: **﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا. ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عَضُدا﴾**(٣) فهل عرف الرشيد من أي فريق هو؟!

ثم قال له الرشيد: بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناه فقال عليه السلام: نعم. وأوتي بدواة وقرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة:

ـ أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها، الأخبار المجمع عليها وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وهو إجماع الأمة.

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية١٢ وسورة ص، الآية٧٧.

(٣) سورة الكهف، الآيتين ٥٠ ـ ٥١.

ـ وأمر يحتمل الشك والإنكار، فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها، وسنّة مجمع عليها لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ولا يسع خاصة الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار له. وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه وأرش الخدش فما فوقه. فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليك صوابه نفيته. فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بيّنها الله في قوله لنبيه ﷺ :

﴿قل فلِلّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[1].

يبلغ الحجّة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، لأن الله عدل لا يجور، يحتج على خلقه بما يعملون، ويدعوهم الى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون.

فأجازه الرشيد وأحسن لقاءه. وانصرف الإمام عليه السلام وقد دلّ خصمه ـ المسمى بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين ـ على أمور الدين كما أوضح له منزلة أهل البيت عليهم السلام وصحة أقوالهم ودعم ما ذهب إليه بأوثق الأدلة والبراهين ولا غرو فهذا الغصن الطيّب هو من تلك الشجرة الطيّبة التي غرسها الرسول ﷺ وتعهّد سقايتها ورعايتها.

٢ ـ مع الفضل بن الربيع :

زار هارون الرشيد قبر النبي ﷺ فاجتمع به الامام عليه السلام وبعد انتهاء المقابلة، خرج عليه السلام فاجتاز على الأمين ابن الرشيد، فالتفت الأمين الى الفضل بن الربيع قائلاً له: عاتب هذا، فقام الفضل الى الإمام فقال له: كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي إن طُلبت عليها لم تسبق وإن طَلبت عليها تلحق؟

ـ قال الامام عليه السلام : لست أحتاج أن أَطلب، ولا أن أُطلب، ولكنها دابة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلة البعير، وخير الأمور أوسطها»[2] فتركه

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٢) زهر الآداب ج١ ص١٣٢.

الإمام عليه السلام وانصرف وبدا على الفضل الارتباك والعجز.

٣ ـ مع أبي يوسف:

أمر هارون الرشيد أبا يوسف[1] أن يسأل الإمام عليه السلام بحضرته لعله أين يبدي عليه العجز فيتخذ من ذلك وسيلة للحطّ من كرامته، ولما اجتمع عليه السلام بهم وجه إليه أبو يوسف السؤال التالي:

ـ ما تقول في التظليل للمحرم؟ قتل الإمام: لا يصلح.

ـ فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟ قال الإمام: نعم.

ـ فما الفرق بين الموضعين؟

ـ ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟ قال أبو يوسف: لا.

ـ أتقضي الصوم؟ نعم. ولمَ؟ هكذا جاء هذا.

ـ فسكت أبو يوسف ولم يطق جواباً وبدا عليه الخجل والعجز فقال هارون:

ـ ما أراك صنعت شيئاً؟

ـ رماني بحجر دامغ[2].

وتركهما الامام عليه السلام وانصرف بعد أن خيّم عليهما الحزن والشقاء. ولا عجب فالإمام عليه السلام هو ابن الإمام جعفر الصادق الذي أسس الجامعة الإسلامية ووضع مناهجها العلمية الأصيلة، وهو سرّ أبيه عليه السلام.

٤ ـ مع أبي حنيفة:

دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام فقال له:

رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه، فلم ينههم عن ذلك؟!

(١) أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ولد سنة ١١٣هـ، وتوفي في بغداد سنة ١٨٢هـ وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي وأخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة وولي القضاء لهارون الرشيد حتى لقب بقاضي القضاة. وكان يقضي ببغداد سنة ١٦٦ في أيام خروج الهادي. تحف العقول ص٣٠٠ وطبقات الفقهاء ص١١٣ والإرشاد ص٣١٨.

(٢) المناقب ج٣ ص٤٢٩.

فأمر أبو عبدالله عليه السلام بإحضار ولده فلما مثل بين يديه قال له:

«يا بني، إن أبا حنيفة يذكر انك كنت تصلي والناس يمرون بين يديك؟»

فقال عليه السلام: «نعم، يا أبتِ وإن الذي كنت أصلي له أقرب إليَّ منهم، يقول الله عزّ وجلّ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[1]».

عندها فرح الامام الصادق عليه السلام وسرّ سروراً بالغاً لما أدلى به ولده من المنطق الرائع، فقام إليه وضمه الى صدره وقال مبتهجاً:

«بأبي أنت وأمي يا مودع الأسرار!!»[2].

٥ ـ مع علماء اليهود:

قصد وفد من علماء اليهود الامام الصادق عليه السلام ليحاججوه في الاسلام فلمّا مثلوا بين يديه انبروا إليه يطلبون منه الحجة والدليل على نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله قائلين:

ـ أي معجز يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله؟ أجابهم عليه السلام:

كتابه المهيمن، الباهر لعقول الناظرين، مع ما أعطي من الحلال والحرام وغيرهما مما لو ذكرناه لطال شرحه.

ـ كيف لنا أن نعلم هذا كما وصفت؟

فانطلق الإمام الكاظم عليه السلام وكان آنذاك صبياً قائلاً لهم:

ـ وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات الله لموسى على ما تصفون؟

ـ علمنا ذلك بنقل الصادقين.

ـ فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقنه الله تعالى من غير تعليم ولا معرفة عن الناقلين.

فبهروا وآمنوا بقول الإمام الكاظم الصبي عليه السلام، الذي هو المعجز بحق، وهتفوا معلنين إسلامهم قائلين: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) البحار ج١٢ ص٢٨٣.

وانكم الأئمة الهادون والحجج من عند الله على خلقه. ولما أدلى الإمام عليه السلام بهذه الحجة وأسلم القوم على يده، وثب إليه والده أبو عبدالله فقبّل ما بين عينيه. وقال له: أنت القائم من بعدي ثم أمره بكسوة لهم وأوصلهم فانصرفوا وهم شاكرون[1].

٦ ـ مع علماء النصارى:

جاء قطب من أقطاب النصارى ومن علمائها النابهين يدعى (بريهة) كان يطلب الحق ويبغي الهداية. اتصل بجميع الفرق الإسلامية وأخذ يحاججهم فلم يقتنع ولم يصل إلى الهدف الذي يريده، حتى وصفت له الشيعة ووصف له هشام بن الحكم، فقصده ومعه نخبة كبيرة من علماء النصارى، فلما استقر به المجلس سأل بريهة هشام بن الحكم عن أهم المسائل الكلامية والعقائدية فأجابه عنها هشام ثم ارتحلوا جميعاً الى التشرف بمقابلة الإمام الصادق عليه السلام وقبل الالتقاء به اجتمعوا بالإمام الكاظم فقصّ عليه هشام مناظراته وحديثه مع العالم النصراني (بريهة). فالتفت عليه السلام إلى بريهة قائلاً له:

ـ يا بريهة كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم.

ـ كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي به!!

فأخذ عليه السلام يقرأ عليه الإنجيل ويرتّل عليه فصوله فلما سمع ذلك بريهة آمن بأن دين الإسلام حق وأن الامام من شجرة النبوة فانبرى إليه قائلاً: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، أو مثلك!!

ثم إنه أسلم وأسلمت معه زوجته وقصدوا جميعاً والده الامام الصادق عليه السلام فحكى له هشام الحديث وإسلام بريهة على يد ولده الكاظم فسرّ عليه السلام بذلك والتفت قائلاً له: ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[2].

وانبرى بريهة الى الإمام الصادق عليه السلام قائلاً:

ـ جعلت فداك، أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟!!

(١) البحار ج٤ ص١٤٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

ـ قال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرأوها، ونقولها كما قالوها: ان الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول: لا أدري.

وبعدها لزم بريهة الامام الصادق عليه السلام وصار من أخلص أصحابه، ولما انتقل الامام إلى دار الخلود اتصل بالامام الكاظم عليه السلام حتى توفي في عهده[1] ولا عجب فالامام المعصوم هو الحجة.

قال أبو الحسن عليه السلام: «إن الأرض لا تخلو من حجة وأنا والله ذلك الحجة»[2]

٧ ـ مع راهب نصراني:

كان في الشام راهب معروف تقدسه النصارى وتعظمه، وتسمع منه، وكان يخرج لهم في كل عام يوماً يعظهم. التقى به الإمام في ذلك اليوم الذي يعظ به وقد طافت به الرهبان وعلية القوم، فلما استقر المجلس بالامام التفت إليه الراهب قائلاً:

ـ يا هذا، أنت غريب؟ قال عليه السلام: نعم.

ـ منّا أو علينا؟ قال عليه السلام: لست منكم.

ـ أنت من الأمة المرحومة؟ قال عليه السلام: نعم.

ـ أمن علمائها أمن جهالها؟ قال عليه السلام: لست من جهالها.

فاضطرب الراهب، وتقدم إلى الإمام يسأله عن أعقد المسائل عنده قائلاً: كيف طوبى أصلها في دار عيسى عندنا، وعندكم في دار محمد صلى الله عليه وآله وأغصانها في كل دار؟

قال عليه السلام: إنها كالشمس يصل ضوؤها إلى كل مكان وموضع وهي في السماء.

ـ قال الراهب: إن الجنة كيف لا ينفذ طعامها وإن أكلوا منه، وكيف لا ينقص شيء منه؟.

(١) البحار ج٤ ص١٤٧.
(٢) الكافي ج١ ص١٧٩.

ـ قال الامام عليه السلام انه كالسراج في الدنيا ولا ينقص منه شيء.

ـ قال الراهب: إن في الجنة ظلاً ممدوداً، ما هو؟

ـ قال الامام عليه السلام: الوقت الذي قبل طلوع الشمس، هو الظل الممدود، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾[1].

ـ قال الراهب: إن أهل الجنة يأكلون ويشربون كيف لا يكون لهم غائط ولا بول؟

ـ قال الامام عليه السلام: إنهم كالجنين في بطن أمه.

ـ قال الراهب: إن لأهل الجنة خدماً يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟

ـ قال الامام عليه السلام: ان الانسان إذا احتاج إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك فتعرفه الخدم فيحققون مراده من غير أمر.

ـ قال الراهب: مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة؟

ـ قال الامام عليه السلام: مفاتيح الجنة قول العبد: لا إلّه إلا الله.

ـ قال الراهب: صدقت. ثم أسلم هو وقومه[2].

٨ ـ مع نفيع (وهو رجل من الأنصار):

قدم مع الرشيد رجل من الأنصار يقال له (نفيع) وكان عارفاً، فحضر يوماً باب الرشيد وتبعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له، فتلقاه الحاجب بالاكرام، وأعظمه من كان هناك، وعجل له الإذن.

فقال نفيع لعبد العزيز: من هذا الشيخ؟

فقال له: أوما تعرفه؟ هذا شيخ آل أبي طالب، هذا موسى بن جعفر عليه السلام.

فقال نفيع: ما رأيت أعجب من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل لو يقدر على

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٦.

(٢) المناقب ج٣ ص٤٢٧.

زوالهم عن السرير لفعل، أما إن خرج لاسوأنّه.

فقال له عبد العزيز: لا تفعل، فان هؤلاء أهل بيت قلما تعرض لهم أحد بخطاب إلا وسموه في الجواب وسمة يبقى عارها أبد الدهر.

وخرج الامام الكاظم عليه السلام فقال إليه نفيع وأخذ بلجام حماره ثم قال له: من أنت؟! قال عليه السلام: يا هذا إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن إسماعيل ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

وإن كنت تريد البلد، فهو الذي فرض الله عز وجل عليك وعلى المسلمين إن كنت منهم، الحج إليه، وإن كنت تريد المفاخرة، فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاء لهم حتى قالوا: يا محمد اخرج لنا أكفاءنا من قريش. خل عن الحمار.

فخلى عنه ويده ترجف وانصرف بخزي. فقال له عبد العزيز: ألم أقل لك[1]؟

٩ ـ مع المهدي في الحج:

حج المهدي، ولما صار في (فتق العبادي) ضجّ الناس من العطش، فأمر أن يحفر بئراً، ولما بلغوا قريباً من القرار، هبّت عليهم ريح من البئر فوقعت الدلاء ومنعت العمل، فخرجت الفعلة خوفاً على أنفسهم. فأعطى علي بن يقطين لرجلين عطاءاً كثيراً ليحفرا، فنزلا فأبطئا، ثم خرجا مرعوبين قد ذهبت ألوانهما فسألهما عن الخبر. فقالا: إنا رأينا آثاراً وأثاثاً، ورأينا رجالاً ونساءاً، فكلما أومأنا الى شيء منهم صار هباء، فصارالمهدي يسأل عن ذلك ولا يعلمون.

فقال الامام الكاظم عليه السلام: هؤلاء أصحاب الأحقاف، غضب الله عليهم فساخت بهم ديارهم[2].

١٠ ـ المهدي العبّاسي:

قال علي بن يقطين: سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر، هل هي

(١) بحار الأنوار ج١٧ ص٢٠٦.
(٢) المناقب ج٢ ص٣٧٣.

محرمة في كتاب الله عز وجل، فان الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم؟ فقال له أبو الحسن:

بل هي محرمة في كتاب الله عز وجل يا أمير المؤمنين. قال المهدي:

في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عز وجل يا أبا الحسن؟

فقال عليه السلام: قول الله عز وجل: **﴿إنما حرّم ربِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطاناً وان تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**[١].

فأما قوله **﴿ما ظهر منها﴾** يعني الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواحش في الجاهلية.

وأما قوله عزّ وجلّ: **﴿وما بطن﴾** يعني ما نكح الآباء، لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه الأكبر من بعده إذا لم تكن أمه، فحرّم الله عزّ وجلّ ذلك.

وأما «الإثم» فانها الخمرة بعينها، وقد قال الله تعالى في موضع آخر:

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾[٢].

فأما الإثم في كتاب الله فهو الخمر والميسر، فإثمهما كبير كما قال عزّ وجلّ.

فقال المهدي: يا علي بن يقطين هذه والله فتوى هاشمية.

قال: فقلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت.

قال: فوالله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي[٣]

١١ ـ مع أبي أحمد الخراساني:

سأله أبو أحمد الخراساني: الكفر أقدم أم الشرك؟

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٣) بحار الأنوا ج١١ ص٢٧٧.

فقال عليه السلام ما لك ولهذا، ما عهدي بك تكلّم الناس؟

قال: أمرني هشام بن الحكم أن أسألك.

فقال عليه السلام: قل له الكفر أقدم، أول من كفر إبليس **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾**[1] ولا يخفى ان الكفر شيء واحد، والشرك يثبت واحداً ويشرك معه غيره[2].

١٢ـ مع عبد الغفار:

جاءه رجل يقال له عبد الغفار فسأله عن قوله تعالى:

﴿ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[3].

قال أرى هنا خروجاً من حجب وتدلياً الى الأرض، وأرى محمداً رأى ربه بقلبه ونسب إلى بصره فكيف هذا؟

فقال أبو الحسن موسى بن جعفر: دنا فتدلى فانه لم يزل عن موضع ولم يتدلّ ببدن. فقال عبد الغفار: أصفه بما وصف به نفسه حيث قال: دنا فتدلى، فلم يتدل عن مجلسه إلا وقد زال عنه ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه.

فقال الامام عليه السلام: إن هذه لغة في قريش إذا أراد رجل منهم أن يقول قد سمعت، يقول: قد تدليت وانما التدلي هو الفهم.

ـ وسئل عليه السلام عن رجل قال:

والله لأتصدقن بمال كثير فما يتصدق؟

فقال عليه السلام: إن كان الذي حلف من أرباب شياه، فليتصدق بأربع وثمانين شاة، وإن كان من أصحاب النعم، فليتصدق بأربع وثمانين بعيراً، وإن كان من أرباب الدراهم، فليتصدق بأربع وثمانين درهماً والدليل عليه قوله تعالى: **﴿ولقد**

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٢) بحار الأنوار ج١١ ص٢٥٣.
(٣) سورة النجم، الآيتان ٨ ـ ٩.

نصركم الله في مواطن كثيرة﴾[١] فعدد مواطن رسول الله ﷺ قبل نزول تلك الآية فكانت أربعة وثمانين موطناً[٢].

ـ سئل عليه السلام عن رجل نبش قبر ميت، وقطع رأس الميت، وأخذ الكفن.

فقال عليه السلام: يقطع يد السارق لأخذ الكفن من وراء الحرز.

ويلزم مائة دينار لقطع رأس الميت، لأنا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أمه قبل أن ينفخ فيه الروح[٣].

١٣ ـ مع المهدي العباسي أيضاً:

أمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام مع الجامع النبوي، فسأل فقهاء العصر عن جواز إجبارهم على ذلك، فأشار عليه علي بن يقطين أن يرفع استفتاءً في المسألة إلى الإمام الكاظم عليه السلام فاستصوب رأيه فردّ الإمام على سؤاله وكتب له: بعد البسملة: إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس، فالناس أولى ببنائها وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها.

ولما انتهى الجواب الى المهدي أمر بهدم الدور وأضافها الى ساحة المسجدين ففزع أصحابها إلى الإمام عليه السلام والتمسوا منه أن يكتب لهم رسالة الى المهدي ليعوضهم عن ثمن دورهم، فأجابهم وكتب الى المهدي رسالة في ذلك فلما وصلت إليه أوصلهم وأرضاهم[٤].

ولم يكن ذلك من الاستملاك الذي يعبر عنه في الوقت الحاضر بالاستملاك للمصلحة العامة كما فهمه بعض المعاصرين بل ان هذا حكم شرعي يتبع أدلته الخاصة التي نصت على أن للجامع فناءً وان من نزل به لا حرمة لما يقيمه فيه من بناء.

وعن داود بن قبيصة: قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: سئل أبي عليه السلام:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص٣٥٣.

(٣) بحار الأنوار ج١١ ص٢٥٣.

(٤) البحار ج٤ ص٢٤٨.

هل منع الله ما أمر به، وهل نهى عما أراد، وهل أعان على ما لم يرد؟

فقال عليه السلام: أما ما سألت: هل منع الله عما أمر به؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منع إبليس لعذره ولم يلعنه.

وأمّا ما سألت هل نهى عما أراد؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها لما نادى صبيان الكتاتيب: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[1] والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره.

وأما ما سألت عنه من قولك: هل أعان على ما لم يرد؟

ولا يجوز ذلك، وجل الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم وقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام والفضلاء من ولده، وكيف يعين على ما لم يرد؟ وقد أعد جهنم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته، ولو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادعائه أنه رب العالمين، أَفترى أراد الله من فرعون أن يدّعي الربوبية؟ يستتاب هذا القول، فإن تاب من كذبه على الله وإلا ضربت عنقه[2].

درر من حكمه الخالدة

كان هدف أهل البيت من تعاليمهم النافعة، وحكمهم العالية، وأحاديثهم التوجيهية دعوة الأمة نحو الخير والصلاح، معتمدين السبل القويمة لنشر الاسلام، وإعلاء كلمة الله عز وجل. ولم تقتصر تعاليمهم على إلقاء الخطب والوصايا، بل كانوا يفيضون على من حولهم من توجيهاتهم القيمة جوامع الكلم ذات معان كبيرة في شتى نواحي الأخلاق والآداب والمواعظ الاجتماعية الثمينة. ولو قمنا بعملية إحصاء لكل إمام منهم عليه السلام لحصلنا على كتاب ضخم، وأثر نفيس في دنيا الأخلاق والمواعظ.

وقد فضلنا نموذجاً مختصراً عن بعض ما أثر عن الامام موسى الكاظم عليه السلام من الدرر الحكيمة الخالدة مدرجة حسب الأبجدية علّنا نفي بالهدف المطلوب.

(١) طه الآية ١٢١.

(٢) الاحتجاج ج٢ ص١٥٨.

- أ -

قال عليه السلام عند قبر حضره: إن هذا شيئاً آخره لحقيق ان يزهد في أوله، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره.

- اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات.

- إياك أن تمنع في طاعة الله، فتنفق مثليه في معصية الله.

- اشتدت مؤونة الدنيا والدين، فأما مؤونة الدنيا فإنّك لا تمد يدك إلى شيء منها إلاّ وجدت فاجراً قد سبقك إليه، وأما مؤونة الآخرة فإنّك لا تجد أعواناً يعينوك عليه.

- أولى العلم بك ما لا يصلح لك العلم إلاّ به، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، والزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك، وأظهر لك فساده، وأحدّ العلم عاقبة ما زاد في علمك العاجل، فلا تشغلن بعلم ما لا يضرك جهله، ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه.

- أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق.

وسأله رجل يدعى عبيدالله بن إسحاق المدائني: إن الرجل يراني فيحلف بالله انه يحبني، أفأحلف بالله انه لصادق؟ فقال عليه السلام: امتحن قلبك فان تحبه فاحلف وإلاّ فلا.

- أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج.

- إن صلاحكم من صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم.

- إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه.

ـ أخذ أبي بيدي، قال يا بني: إن أبي محمد بن علي أخذ بيدي، وقال: إن أبي علي بن الحسين أخذ بيدي، وقال: يا بني: إفعل الخيل إلى كل من طلبه منك فان كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن له بأهل كنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل عن يسارك واعتذر إليك فاقبل منه.

ـ سأله رجل عن الجواد: فقال عليه السلام: إن لكلامك وجهين. فإن كنت تسأل عن المخلوقين، فان الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه. والبخيل من بخل بما افترض الله عليه، وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك وإن منعك منعك ما ليس لك.

ـ إنّ قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً هم الآمنون يوم القيامة.

ـ إنّ أهل الأرض لمرحومون ما تحابوا، وأدوا الأمانة، وعملوا بالحق.

ـ إنّ الأنبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصّوا بثلاث خصال: السقم في الأبدان، وخوف السلطان، والفقر.

ـ إن الله عزّ وجلّ يقول: إني لم أغن الغني لكرامة له عليّ، ولم أفقر الفقير لهوان به عليّ، وهو مما ابتليت الأغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنّة.

ـ إذا لم تستح فاعمل ما شئت.

ـ أحسن من الصدق قائله، وخير من الخير فاعله.

ـ قال علي بن جعفر: سألت أخي موسى بن جعفر فقلت له: أصلحك الله، أيكون المؤمن بخيلاً؟

قال: نعم.

فقلت: أيكون خائناً؟

قال: لا ولا يكون كاذباً ثم قال: إنّ أبي حدّثني عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: كل خلة يطوي المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة.

ـ قال عليه السلام: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله ما حق ابني علي؟

فقال صلى الله عليه وآله: أن تحسن اسمه وأدبه.

ـ ت ـ

وقال عليه السلام: التحدث بنعم الله شكر، وترك ذلك كفر، فارتبطوا نعم ربكم بالشكر، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا البلاء بالدعاء، فان الدعاء منجية، ترد البلاء وقد أبرم إبراماً.

وقال عليه السلام: التودد الى الناس نصف العقل.

وقال عليه السلام: تعجّب الجاهل من العاقل أكثر من تعجّب العاقل من الجاهل.

ـ ر ـ

وقال عليه السلام: رأس السخاء أداء الأمانة.

ـ س ـ

وقال عليه السلام: السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة، وما بعث الله نبياً إلاّ سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى.

ـ ص ـ

وقال عليه السلام: الصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي دين أو حسب، والله ينزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة.

ـ ض ـ

قال علي بن سويد: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن الضعفاء ـ أي ضعفاء العقيدة ـ فكتب عليه السلام لي: الضعيف من لم ترفع له حجّة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف.

- ع -

وقال عليه السلام: العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربّه فيمتنّ على الله عز وجل، ولله المنّة عليه فيه.

وقال عليه السلام: العجلة هي الخرق.

وقال عليه السلام: عونك للضعيف من أفضل الصدقة.

وقال عليه السلام: عليكم بالدعاء، فإنّ الدعاء لله والطلب الى الله يرد البلاء وقد قدر وقضى ولم يبق إلا امضاؤه، فإذا دعي الله عزّ وجلّ وسئل صرف البلاء.

- ف -

وقال عليه السلام: فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف عابد.

وقال عليه السلام: فضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب.

- ق -

وقال عليه السلام: قلة الشكر تزهد في اصطناع المعروف.

وقال عليه السلام: قلة الوفاء عيب بالمروءة.

وقال عليه السلام: قلة العيال أحد اليسارين.

- ك -

وقال عليه السلام لعلي بن يقطين: كفّارة عمل السلطان الإحسان الى الإخوان.

وقال عليه السلام: كثرة الهم تورث الهرم.

وقال عليه السلام: كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدّون.

وقال عليه السلام رداً على سؤال موسى بن بكر عن الكفر:

«الكفر أقدم من الشرك وهو الجحود قال عز وجل: ﴿**إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾.

- ل -

قال عليه السلام: لا تكن إمعة فتقول: أنا مع الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنما هما نجدان: نجد خير ونجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير.

وقال عليه السلام: لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك وابق منها، فان ذهابها ذهاب الحياء.

وقال عليه السلام: لو ظهرت الآجال، افتضحت الآمال.

وقال عليه السلام: لا تصلح المسألة إلا في ثلاث: في دم منقطع، أو غرم مثقل، أو حاجة مدقعة.

وقال عليه السلام: لا خير في العيش إلا لمستمع واع، أو عالم ناطق.

وقال عليه السلام: لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضرره عليك أعظم من منفعته لهم.

- ل -

وقال عليه السلام: لا تضيع حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس بأخ من ضيعت حقه، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته.

وقال عليه السلام لبعض ولده: لا تخرجن نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يعبد حق عبادته.

- م -

وقال عليه السلام: المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.

وقال عليه السلام: ما تسابَّ إثنان إلاّ انحطّ الأعلى الى مرتبة الأسفل.

وقال عليه السلام: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

وقال عليه السلام: المؤمن أعز من الجبل، الجبل يستغل بالمعاول، والمؤمن لا يستغل دينه بشيء.

وقال عليه السلام: المؤمن مثل كفتيّ الميزان، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه.

وقال عليه السلام: ما أهانت الدنيا قوم قط إلا هنّأهم الله إيّاها، وبارك لهم فيها، وما أعزّها قوم قطّ إلاّ بغّضهم الله إياها.

وقال عليه السلام: من أتى الى أخيه مكروهاً فبنفسه بدأها.

وقال عليه السلام: من ولده الفقر أبطره الغنى.

وقال عليه السلام: المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه وإن لم يلده أبوه، ملعون من اتهم أخاه، ملعون من لم ينصح لأخيه، ملعون من استأسر لأخيه، ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون من اغتاب أخاه.

وقال عليه السلام: المعروف تلو المعروف غلّ لا يفكه إلاّ مكافأة أو شكر.

وقال عليه السلام: من لم يكن له من نفسه واعظ تمكن منه عدوه - يعني الشيطان.

وقال عليه السلام: المغبون من غبن من عمره ساعة.

وقال عليه السلام: من ترك التماس المعالي لانقطاع رجائه فيها لم ينل جسيماً.

وقال عليه السلام: من تكلم في الله هلك، ومن طلب الرياسة هلك، ومن دخله العجب هلك.

وقال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح وهو لا يهتم بظلم أحد غفر الله ما اجترم[1].

وقال عليه السلام: من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض.

- ن -

قال عليه السلام: نعم المال النخل الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل.

(١) اجترم: اكتسب.

- و -

وقال عليه السلام: وجدت علم الناس في أربع: أولها: أن تعرف ربك، والثانية: أن تعرف ما صنع بك، والثالثة أن تعرف ما أراد منك، والرابعة أن تعرف ما يخرجك من دينك.

- ي -

قال عليه السلام: يعرف شدة الجور من حكم به عليه.

وقال عليه السلام: ينادي مناد يوم القيامة ألا من كان له على الله أجر فليقم. فلا يقوم إلا من عفا وأصلح فأجره على الله.

وقال عليه السلام: ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه، ولا يتهمه في قضائه.

كوكبة من رواته وأصحابه:

قامت مدرسة الامام الصادق عليه السلام بمجهود كبير وعظيم بمواصلة أعمالها من أجل تثقيف الجيل وتطوير المجتمع الإنساني وتقدم المسلمين في ميادين النهضة الفكرية والعلمية والحضارية. وقد ربّت خلال فترة زمنية محدودة جيلاً صالحاً أدى رسالته الإصلاحية الشاملة وقام بمساع جليلة الى الأجيال الصاعدة. وببركة هذه المدرسة ومجهود المسؤول عنها عليه السلام نضجت العقلية الاسلامية بواسطة معارف الاسلام وتعاليمه الخيّرة من المحيط النظري الى التطبيق العملي في مشارق الأرض ومغاربها.

ولما فجع العالم الاسلامي برحيل العالم الكبير والإمام العظيم الصادق عليه السلام نهض الامام موسى الكاظم عليه السلام بعد أبيه يتسلم شؤون تلك المدرسة التي أغنت العالم الاسلامي، وأعزت العلم ورفعت مناره. وأصبح بعد وفاة أبيه عميداً للشيعة في كل أمورهم، ومرشداً للنهضة الفكرية في عصره؛ وقد أقبل عليه العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب ينهلون من نمير علمه، وأحتفى به رجال الفكر لا يفترقون عنه، حتى بلغ الأمر بهم من شدة احتفائهم به

وتقديرهم له، انه إذا نطق بكلمة أو أفتى بموضوع بادروا الى تدوين ذلك للحال[1].

وقد روى عنه هؤلاء العلماء جميع أنواع المعارف على اختلافها وتباعد أطرافها، من حكمة، وتفسير للذكر الحكيم، وفقه إسلامي بجميع أبوابه، وتوضيح أمور عالقة، وردود على أسئلة مختلفة من قريب أو بعيد، كما رووا عنه في الآداب الاجتماعية والمواعظ والنصائح القيّمة، وأيضاً فقد حثهم على العلم المفيد لهم ولمجتمعهم.

تلك الكوكبة من العلماء والرواة التي يزيد عددها على أربعة آلاف لم يكن أفرادها على مستوى واحد من حيث الثقة والعدالة، وهذا قد يحدث في كل عصر، فكان بينهم عدد من المنافقين والمتكسبين باعوا ضمائرهم بثمن رخيص؛ فلم يتحرجوا من الوضع والكذب في الحديث على لسان النبي ﷺ وعترته الميامين ليأخذوا عوض ذلك بعض الدريهمات من السلطة الحاكمة التي أفسدت عقيدة المسلمين وخدّرت عقولهم ومزقتهم شيعاً وأحزاباً ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾. كما كان بينهم جمهرة أخرى من الضعفاء والمجهولين غير موثوق بهم تماماً.

ولا ريب ان الفئة الغالبة كانوا من العدول والثقات الذين عرفوا بالصدق والأمانة وإليهم يرجع الفضل في ضبط الأحكام الإسلامية ونشر فقه أهل البيت عليهم السلام. ونظراً لوجود هذه الطوائف المختلفة من رواة الأثر فقد انقسم الحديث الى أصناف فكان: الحديث الصحيح، والحسن، والموثق، والضعيف. «فبعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نشأت الأحزاب والفرق التي اتخذت شكلاً دينياً كان له أبلغ الأثر في قيام المذاهب الدينية في الاسلام»[2].

«وقد حاول كل حزب دعم ما يدعي بالقرآن والسنة، ومن البديهي ألاّ يجد كل حزب ما يؤيد دعواه في نصوص القرآن الكريم، فعمدوا الى تحريف السنة

(١) الأنوار البهية ص٩١.
(٢) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص٨٩.

الشريفة بالتحريف والزيادة، حتى وضعوا على رسول الله ﷺ ما لم يقل»[١].

لكنهم فشلوا ولم يحققوا مبتغاهم: «لأن للحديث النبوي ضوءاً كضوء النهار يعرف به[٢] وللحديث المكذوب ظلمة كظلمة الليل تنكره العقول المستقيمة إن معرفة سيرة الرسول الكريم ﷺ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه وفيما يحبه ويكرهه، ثم التعرف على جميع أحواله فيما يجوز وفيما لا يجوز، وكل ما نطق به من أقوال وقام به من أعمال. كل هذا يمنحنا النور الكاشف لأنظارنا والاطمئنان المريح لأنفسنا.

وعلى أي حال فإن الكثيرين من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام قد قاموا بدور مهم في التأليف والتصنيف ونشر الحضارة الاسلامية حتى ملأوا المكتبة العربية والاسلامية في عصرهم بنتاجهم القيّم، الأمر الذي دلَّ بحق على أن لهم اليد الطولى في رفع منار العلم، وتهذيب الأفكار، وتقويم الأخلاق.

أما عدد أصحابه فقد ذكر أحمد بن خالد البرقي أنهم كانوا مائة وستين شخصاً[٣]. وهو اشتباه ظاهر إن كان مراده الحصر، ولعله أراد بهذا العدد الأعلام النابهين منهم دون أن يليهم في مراتب العلم والفقه والحديث. والحقيقة ان أغلب المنتمين لمدرسة الامام الصادق عليه السلام قد بقوا بعد وفاته ينهلون من علم الامام الكاظم عليه السلام ويتلقون العلوم والفقه منه. وسوف نعرض طائفة من أصحابه ورواة حديثه مرتبته على حروف الهجاء:

ـ أ ـ

١ ـ إبراهيم بن أبي البلاد

هو يحيى بن سليم وكنيَ بأبي البلاد، كان إبراهيم ثقة جليلاً رفيع المنزلة عظيم الشأن، روى عن أبي عبدالله والكاظم والرضا، وأرسل له الامام الرضا عليه السلام رسالة أعرب فيها عن ثنائه وإكباره له[٤].

---

(١) نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية للمؤلف ج١ ص٣٩٧.

(٢) المصدر نفسه عن قواعد التحديث ص١٦٥.

(٣) رجال البرقي بخط الاستاذ الشيخ علي الخاقاني رحمه الله في مكتبته

(٤) جامع الرواة ج١ ص١٦ ولسان الميزان ج١ ص٤٧.

٢ ـ أحمد بن الحسن

هو ابن اسماعيل النمار، مولى بني أسد، كان من أصحاب الامام الكاظم وروى عن الإمام الرضا عليه السلام وقال النجاشي: هو على كل حال ثقة صحيح الحديث معتمد عليه له كتاب نوادر[١].

٣ ـ أحمد بن عمرو

هو ابن أبي شعبة الحلبي روى عن الامام الكاظم والرضا وروى أبوه عن أبي عبدالله وهو من بيت عرف بالتقوى والصدق والولاء لأهل البيت عليهم السلام [٢].

٤ ـ إسماعيل بن عبد الخالق

مولى لبني أسد، وجه من وجوه الشيعة، وفقيه من فقهائها، وقد عرف أهله بالعدالة والولاء لأهل البيت عليه السلام ؛ روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن وله كتاب[٣].

٥ ـ إسحاق بن جرير

ثقة من أهل العلم روى عن الامام أبي عبدالله عليه السلام وله كتاب، وعدّه الشيخ من أصحاب أبي الحسن موسى[٤].

٦ ـ أبو أيوب الحر

الملقب بالجعفي ثقة جليل روى عن أبي عبدالله، وأبي الحسن روى عنه يحيى بن عمران الحلبي وأبو عبدالله البرقي وقال الشيخ إنه ثقة وله كتاب[٥].

٧ ـ إبراهيم بن محمد الأشعري

القمي، روى عن الامام الكاظم، وأبي الحسن الرضا، وثقه جماعة من الأعلام[٦].

---

(١) نفسه ج١ ص٤٤ والنجاشي ص٥٥.

(٢) تنقيح المقال وجامع الرواة.

(٣) منهج المقال ص٥٧.

(٤) تنقيح المقال ج١ ص١١٢.

(٥) الفهرست لابن النديم ولسان الميزان ج١ ص٤٧٨.

(٦) كشف المحجة، والوجيزة.

ـ ب ـ

٨ ـ بكر بن الأشعث

هو أبو اسماعيل الكوفي، روى عن الإمام، ووثقه جماعة من الأعلام[١].

٩ ـ بكر بن محمد

هو ابن نعيم الأزدي الغامدي، ثقة جليل من بيت رفيع بالكوفة؛ عدّه الشيخ من أصحاب الامام الكاظم، عمّر عمراً طويلاً، وله كتاب، وروى عنه عبدالله بن مسكان وأحمد بن حنبل[٢].

ـ ث ـ

١٠ ـ ثعلبة بن ميمون

الأسدي الكوفي، قال النجاشي: كان وجهاً من أصحابنا قارئاً فقيهاً نحوياً لغوياً راوية، وكان حسن العمل كثير العبادة والزهد روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن له كتاب تختلف الرواية عنه، قد رواه جماعة من الناس[٣]. وحكي أنه لما حجّ هارون مرّ بالكوفة فلما صار الى الموضع الذي يعرف بمسجد (سماك) كان ثعلبة ينزل في غرفة على الطريق فسمعه هارون يدعو بلسان فصيح فوقف يسمع دعاءه وأقبل على الفضل بن الربيع فقال له: تسمع ما أسمع؟ فقال له: نعم، فقال هارون: إن أخيارنا بالكوفة[٤].

وكان يلقب بأبي إسحاق الفقيه ويعد في الطليعة من علماء هذه الطائفة بالإضافة الى ورعه وتقواه، وقد روى عنه محمد ابن عبدالله المزخزف وعلي بن اسباط والحسن بن علي الخزاز وطريف بن ناصح[٥]

(١) الوجيزة.
(٢) لسان الميزان ج٢ ص٤٨ والتنقيح ج١ ص١٧٩.
(٣) النجاشي.
(٤) التعليقات ص١٦.
(٥) لسان الميزان ج٢ ص٨٣.

-ج-

١١ ـ جعفر بن خلف

الكوفي عدّه الشيخ من أصحاب أبي الحسن موسى، وقال إنه سمع الامام يقول: سعد امرإ لم يمت حتى يرى منه خلفاً، وقد أراني الله ابني هذا خلفاً ـ وأشار لولده الرضا[1].

١٢ ـ جميل بن دراج

ابن عبدالله النخعي الكوفي من أصحاب الامام الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام، وكان ثقة جليلاً من كبار العلماء، وهو أحد الستة الذين أجمعوا على تصحيح ما يصح عنهم، وكان كثير الحديث؛ روى عنه خلق كثير: كالحسن بن محبوب، وصالح بن عقبة، وأبو مالك الحضرمي وغيرهم، له مؤلفات منها كتاب اشترك في تأليفه هو ومرازم بن حكيم، وله أصل انفرد بتأليفه، وتوفي في أيام الرضا[2].

١٣ ـ جميل بن صالح

الأسدي الكوفي، ثقة جليل من أصحاب الامام الصادق، والكاظم عليه السلام، له أصل، روى عنه جماعة منهم عمار بن موسى الساباطي وغيره[3].

١٤ ـ جهم بن أبي جهيم

ثقة جليل الشأن، رفيع المنزلة، روى عن الإمام الكاظم عليه السلام له أصل[4].

-ح-

١٥ ـ حبيب بن المعلل

الخثعمي المدايني، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن قال النجاشي: ثقة

---

(١) تنقيح المقال ج١ ص٢١٥.
(٢) الفهرست، جامع الرواة، منهج المقال.
(٣) منهج المقال ص٩٢.
(٤) النجاشي ـ الكشي.

صحيح الحديث، وقال الكشي مثل ذلك وأضاف أن له كتاباً[1].

١٦ ـ حذيفة بن منصور

الخزاعي، قال النجاشي: إنه ثقة روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله وأبي الحسن، له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا، وثقة الشيخ المفيد[2].

١٧ ـ الحسن بن الجهم

هو ابن بكير بن أعين أبو محمد الشيباني، عدّه الشيخ من أصحاب الامام موسى عليه السلام ووثقه، وهو ثقة روى عن أبي الحسن وولده الرضا، وله كتاب[3].

١٨ ـ الحسن بن علي

ابن فضال بن عمرو بن أنيس التيمي الكوفي، روى عن الامام موسى عليه السلام والامام علي بن موسى عليه السلام وابراهيم بن محمد الأشعري ومحمد بن عبدالله بن زرارة وعلي بن عقبة وغيرهم؛ وروى عنه الفضل بن شاذان، وبالغ في الثناء عليه بالزهد والعبادة، وكان من المؤلفين. له كتاب: الزيارات، وكتاب البشارات، وكتاب النوادر، وكتاب الرد على الغالية، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب التفسير وكتاب الابتداء والمبتدأ، توفي سنة ٢٢٤هـ[4].

١٩ ـ الحسن بن محبوب

السراد، كوفي ثقة، عدّه الشيخ من أصحاب الامام موسى، روى عن الامام الرضا عليه السلام وروي عن ستين رجلاً من أصحاب أبي عبدالله، وكان جليل القدر يعد من أعلام عصره، ألّف كتباً كثيرة منها: كتاب الحدود، وكتاب الديّات، وكتاب الفرائض، وكتاب النوادر، يقع في ألف ورقة، وكتاب التفسير[5].

٢٠ ـ الحسين بن محمد

ابن الفضل الهاشمي ثقة جليل من شيوخ بني هاشم، روى عن أبي عبدالله

(١) منهج المقال ص٩٢.
(٢) التنقيح ج١ ص٢٥٨.
(٣) نفسه ج١ ص٢٢٩.
(٤) لسان الميزان ج٢ ص٢٢٥.
(٥) الفهرست للشيخ الطوسي، الفهرست لابن النديم، وتنقيح المقال.

وأبي الحسن، وألّف كتاباً أسماه: (مجالس الرضا مع أهل الأديان) وقال الشيخ المفيد: كان الحسين بن محمد من خاصة الكاظم وثقاته ومن أهل الورع والعلم والفضل من شيعته[1].

٢١ ـ الحسين بن زيد

ابن علي بن الحسين، يلقب بذي الدمعة، كان الامام الصادق قد ربّاه، وزوجته بنت الأرقط، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن وقال رواة الأثر إنه نشأ في حجر الامام الصادق منذ قتل أبوه، وأخذ منه علماً كثيراً، وكان لا يجالس أحداً ولا يدخل إليه إلا من يثق به، وإنما لقّب بذي الدمعة لكثرة بكائه. قالت له زوجته: ما أكثر بكاؤك؟! فأجاب: وهل ترك لي السهمان والنار سروراً يمنعني من البكاء، توفي سنة ١٤٠هـ وعمره ست وسبعون سنة[2].

-خ-

٢٢ ـ خالد بن نجيح

كوفي، يكنى أبا عبد الله، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن قال الكشي: كان خالد خادماً عند أبي الحسن موسى وهو الذي روى عنه في شأن ولده الرضا عليه السلام انه قال فيه: «عهدي إلى ابني علي أكبر ولدي وخيرهم وأفضلهم»[3].

٢٣ ـ خالد بن سعيد

القمّاط، عدّه الشيخ في رجاله في باب الكنى من أصحاب الإمام الكاظم، ووثّقه النجاشي وقال: إنه روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وله كتاب[4].

٢٤ ـ خلف بن حماد

الكوفي إمامي حسن الحال، من أصحاب الإمام الكاظم وروى عنه[5].

(١) الإرشاد.

(٢) تنقيح المقال ج١ ص٣٢٨ والسهمان اللذان قتل بهما أبوه زيد وأخوه يحيى. والنار: هي التي أحرق بها أبوه زيد.

(٣) التنقيح ج١، ص٣٨٨.

(٤) نفسه ج١، ص٣٩١.

(٥) نفسه ج١، ص٤٠١.

ـ د ـ

٢٥ ـ داود بن أبي يزيد

الكوفي العطار ثقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن وله كتاب[١].

٢٦ ـ داود بن سليمان

عدّه الشيخ المفيد من خاصة أبي الحسن موسى عليه السلام وثقاته ومن أهل الورع والعلم والفقه، وممن روى النص عن الإمام موسى على إمامة ولده الرضا، فقد قال فيه: إني سألت أباك ـ من الذي يكون بعده؟

فأخبرني أنك أنت، فلما توفي أبو عبد الله ذهب الناس يميناً وشمالاً وقلت لك أنا وأصحابي، فاخبرني من الذي يكون بعدك؟ فقال عليه السلام: ابني فلان ـ يعني الرضا ـ وترجمه الشيخ في الفهرست وقال إن له أصلاً[٢].

٢٧ ـ داود بن فرقد

الأسدي، كوفي ثقة روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى وله كتاب[٣].

ـ ذ ـ

٢٨ ـ ذريح بن محمد

ابن يزيد أبو الوليد المحاربي عربي من بني محارب من بني خصفة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن، ذكره ابن عقدة وابن نوح وله كتاب، ووثّقه الشيخ والعلامة وغيرهما[٤].

ـ ر ـ

٢٩ ـ ربعي بن عبد الله

ابن الجارود بن أبي سبرة الهذلي، أبو نعيم، بصري، ثقة، روى عن أبي

(١) النجاشي ص١٢١.
(٢) تنقيح المقال ج١، ص٤١٠ وجامع الرواة.
(٣) منهج المقال ص١٣٥.
(٤) النجاشي ص ١٢٤ والفهرست.

عبد الله وأبي الحسن عليه السلام وصحب الفضيل بن يسار وأكثر الأخذ عنه وكان خصيصاً به وقال الشيخ: له «أصل»(١).

٣٠ ـ رفاعة بن موسى

الأسدي النحاس، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام، كان ثقة في حديثه، مسكوناً في روايته، لم يُتعرض له بشيء من الغمز، حسن الطَّريقة، له كتاب مبوب في الفرائض، ذكره العلامة في القسم الأول من «الخلاصة» وورد توثيقه في الوجيزة، ومشتركات الكاظمي، والحاوي وغيرها(٢).

ـ ز ـ

٣١ ـ زكريا بن إدريس

القمي روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن، والرضا عليه السلام وكان وجيهاً عند الإمام الرضا وله كتاب(٣).

ـ س ـ

٣٢ ـ سعد بن أبي خلف

كوفي ثقة روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن، له كتاب يرويه جماعة منهم: ابن أبي عمير(٤) عدّه ابن داود في القسم الأول من رجاله، وورد توثيقه في «الوجيزة» و«البالغة» و«الحاوي».

٣٣ ـ سعيد بن جناح

كوفي الأصل نشأ في بغداد ومات فيها، روى عن أبي الحسن والرضا، له كتاب في «صفة الجنة والنار» وكتاب «قبض روح المؤمن والكافر» عدّه ابن داود في القسم الأول، ووثقه في الوجيزة والبالغة(٥).

---

(١) الفهرست، قال النجاشي له كتاب.

(٢) تنقيح المقال ج١، ص٤٣٣.

(٣) جامع الرواة ج١، ص٣٣٢.

(٤) النجاشي، ص١٣٥.

(٥) تنقيح المقال ج٢، ص٢٦ وجامع الرواة ج١، ص٣٥٩.

٣٤ ـ سليم الفراء

كوفي روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام ثقة له كتاب يرويه جماعة منهم محمد بن أبي عمير[١].

٣٥ ـ سيف بن عميرة

النخعي عربي ثقة روى عن أبي عبد الله عليه السلام وأبى الحسن عليه السلام له كتاب ترويه جماعات من أصحابنا، وهو ثقة وعدّه ابن النديم من فقهاء الشيعة[٢].

- ش -

٣٦ ـ شعيب بن يعقوب

ابن أخت أبي بصير يحيى بن القاسم، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن ثقة، له كتاب يرويه حماد بن عيسى وغيره. وورد توثيقه في الوجيزة والبلغة والحاوي[٣].

- ص -

٣٧ ـ صالح بن خالد

المحاملي، أبو شعيب الكناسي، روى عن الإمام الكاظم عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة منهم عباس بن معروف؛ وثّقه الشيخ في رجاله في باب الكنى كما ورد توثيقه في الوجيزة والبلغة[٤].

٣٨ ـ صباح بن موسى

الساباطي ثقة روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام[٥]

٣٩ ـ صفوان بن يحيى

أبو محمد البجلي، كوفي ثقة، قال الشيخ الطوسي: إنه أوثق أهل زمانه عند

---

(١) النجاشي، ص١٤٦.
(٢) النجاشي، ص١٤٣ والفهرست.
(٣) النجاشي ص١٤٧ والكشي ص٢٧٧.
(٤) النجاشي، ص١٥١.
(٥) تنقيح المقال ج٢، ص٩٢.

أصحاب الحديث وغيرهم، وكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر، ويخرج زكاة ماله في كل سنة ثلاثة مرات، والسبب في ذلك أنه تعاقد هو وعبد الله بن جندب وعلي بن النعمان في بيت الله الحرام انه إن مات واحد منهم أن يقوم من بقي منهم بالصلاة والزكاة والحج عنهم فمات صاحباه وبقي صفوان فوفى لهما بذلك، فكان جميع ما يفعله من البر والخير يجعله ثلاثة أقسام، قسم له وقسمان لصاحبيه، وكان من الزهاد المتعبدين والمحتاطين، فقد كلفه شخص وهو مسافر أن يجعل معه دينارين إلى أهله في الكوفة، فقال له: إن جمالي مكرية فلا بد أن أستأذن الأجراء.

ويكفي للتدليل على وثاقته انه كانت له منزلة عند الإمام الرضا عليه السلام وكان وكيلاً له. ألّف ثلاثين كتاباً منها: كتاب الصلاة، وكتاب الصوم، وكتاب الحج، وكتاب الزكاة، وكتاب الطلاق، وكتاب الفرائض، وكتاب الشراء والبيع، وكتاب العتق والتدبير، وكتاب البشارات، وكتاب مسائل عن أبي الحسن موسى وغير ذلك. توفي سنة ٢١٠هـ بالمدينة، وبعث إليه أبو جعفر بحنوطه وكفنه، وأقر اسماعيل بن موسى بالصلاة عليه[١].

- ض -

٤٠ ـ الضحاك الحضرمي

أبو مالك، كوفي عربي، أدرك أبا عبد الله عليه السلام وقال قوم: إنه روى عنه وقال آخرون: إنه روى عنه وعن أبي الحسن موسى عليه السلام وكان متكلماً ثقة في الحديث، له كتاب في الحديث رواه علي بن الحسن الطاطري[٢].

- ع -

٤١ ـ عبد الحميد بن سعيد

عده الشيخ من صحاب الإمام موسى عليه السلام وروى عنه صفوان بن يحي[٣].

---

(١) النجاشي، الكشي، منهج المقال، الفهرست.
(٢) النجاشي، ص٤٥ والخلاصة.
(٣) تنقيح المقال ج٢، ص١٣٦.

٤٢ ـ عبد الله بن الحارث

المخزومي، أمه من ولد جعفر بن أبي طالب، وقد وثّقه الشيخ المفيد في «الإرشاد» وعدّه من خاصة الإمام الكاظم عليه السلام وثقاته ومن أهل الورع والعلم والفقه[١].

٤٣ ـ عبد الله بن جندب

البجلي، عربي، كوفي، من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام قال الشيخ الطوسي: كان وكيلاً للإمام موسى وولده الرضا، وكان عابداً رفيع المنزلة وروى الكشي في حقه انه قال للإمام أبي الحسن: ألست عني راضياً؟ قال عليه السلام: أي والله، ورسول الله والله عنك راض، وعن علي بن إبراهيم عن أبيه، قال: رأيت عبد الله بن جندب بالموقف ـ أي موقف عرفة ـ فلم أر موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال ماداً يده إلى السماء، ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض فلما انصرف الناس قلت له: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك!!

قال لي: والله ما دعوت فيه إلا لاخواني، وذلك لأن أبا الحسن موسى عليه السلام أخبرني أنه من دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب نودي من العرش ولك بكل واحدة مائة ألف وكرهت أن أدعو مائة ألف لواحدة لا أدري تستجاب أم لا؟

وقد وثق الرجل في الوجيزة والحاوي ومشتركات الطريحي وقد أجمع المترجمون له أنه لم يغمز بوجه، وانه ثقة بلا خلاف[٢].

٤٤ ـ عبد الله بن المغيرة

هو أبو محمد البجلي كوفي، ثقة لا يعدل به أحد لجلالته ودينه وورعه، روى عن أبي الحسن موسى، قيل انه صنف ثلاثين كتاباً، منها كتاب «الوضوء» وكتاب الصلاة. وقد روى هذه الكتب كثير من أصحابنا. قال: أتيت المدينة ووقفت على باب الرضا عليه السلام وقلت للغلام، قل لمولاك رجل من أهل العراق بالباب فسمعت نداء الإمام وهو يقول: ادخل يا عبد الله بن المغيرة، فدخلت فلما

---

(١) تنقيح المقال ج٢، ص١٧٦.

(٢) جامع الرواة ج١، ص٤٧٩ والروضة ج١، ص١٦٢ وتنقيح المقال ج٢، ص١٧٥.

نظر إلي قال: قد أجاب الله دعوتك وهداك لدينه، فقلت: أشهد أنك حجة الله وأمينه على خلقه[١].

٤٥ ـ علي بن جعفر

أخو الإمام موسى عليه السلام ثقة جليل من عيون الهاشميين ومن خيارهم، وفي طليعة الرواة الثقات، روى عن أبيه وبعد وفاته اختص بأخيه موسى، وروى عنه الشيء الكثير، وقد أفرد المجلسي في بحاره فصلاً لرواياته عنه، وقد ألف رسالة في الأحاديث التي رواها عن أخيه موسى، وكان قوي الايمان، صلب العقيدة، دخل عليه بعض الواقفية فقال له: ما فعل أخوك أبو الحسن؟

ـ قد مات؟ ـ وما يدريك؟

ـ قسمت أمواله، ونطق الناطق من بعده.

ـ ومن الناطق؟ ـ ابنه علي.

ألف كتاباً في الحلال والحرام، وروى عنه جماعة منهم ابنه أحمد ومحمد وحفيده عبد الله بن الحسن، توفي سنة ٢١٠هـ[٢].

٤٦ ـ علي بن حمزة

ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو والد سيدنا حمزة المدفون بقرب الحلة الذي يزار ويتبرك بقبره، وهو ثقة روى وأكثر الرواية، له نسخة يرويها عن الإمام موسى عليه السلام[٣]

٤٧ ـ علي بن عبيد الله

ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيه النجاشي: إنه أزهد آل أبي طالب وأعبدهم في زمانه؛ اختص بالإمام موسى عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام، وقال: إن له كتاباً في الحج يرويه كله عن الإمام موسى عليه السلام[٤]

(١) النجاشي ص١٥٩ وتنقيح المقال ج٢، ص٢١٨.
(٢) الكشي ص٢٦٩ والنجاشي ص١٩٠ وتهذيب التهذيب ج٧، ص٢٩٣.
(٣) تنقيح المقال ج٢، ص٢٨٨.
(٤) النجاشي ص١٩٤.

٤٨ ـ عمر بن محمد

ابن يزيد أبو الأسود كوفي، ثقة جليل الشأن، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن وأثنى عليه الإمام أبو عبد الله عليه السلام فقال له: أنت والله منا أهل البيت. جعلت فداك، من آل محمد؟ من أنفسهم أما تقرأ كتاب الله عز وجل: «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه والله ولي المؤمنين» له كتاب: مناسك الحج وفرائضه[1].

٤٩ ـ علي بن يقطين

ولد بالكوفة سنة ١٢٤هـ في أواخر دولة الأمويين، ونشأ وترعرع على أرضها؛ كان أبوه يقطين يحمل الأموال والألطاف إلى الإمام الصادق عليه السلام، طلبه مروان الحمار فهرب منه وهربت زوجته بولديها علي وعبيد الله إلى المدينة، ولما زالت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية عادت بولديها إلى وطنها وفي ذلك الوقت انتشر صيت يقطين، فقد اتصل بالسفاح وبالمنصور والمهدي ثم وشي عليه بأنه يذهب إلى (الإمامة) ولكن الله تعالى صرف عنه كيد الغادرين ولما توفي قام ولده علي مقامه فاتصل اتصالاً وثيقاً بالعباسيين وتولى بعض المناصب المهمة في الدولة، وكان في الوقت نفسه عوناً وغوثاً للشيعة، يدفع عنهم الخطوب، وكان من عيون المؤمنين الصالحين، فكان يستنيب جماعة في كل سنة ليحجوا عنه، فقد حدث سليمان بن الحسين كاتبه فقال: أحصيت لعلي بن يقطين من يحج عنه، في عام واحد مائة وخمسين رجلاً، أقل من أعطاه منهم سبعمائة درهم، وأكثر من أعطاه عشرة آلاف درهم. وقد انفق أموالاً ضخمة في وجوه البر والاحسان منها أنه أوصل الإمام موسى عليه السلام بصلات كبيرة تتراوح ما بين المائة ألف درهم إلى ثلاث ماية ألف درهم، وقد زوج ثلاثة من أولاد الإمام منهم أبو الحسن الرضا عليه السلام، كما دفع ثلاثة آلاف دينار للوليمة، وكان يعول بعض عوائل الشيعة. فقد قام بنفقة الكاهلي وعياله حتى توفي، إلى غير ذلك من وجوه البر والإحسان كل ذلك يدل على ايمانه وحسن عقيدته.

---

(١) الكشي ص٢١٢ والنجاشي ص٢١٧ راجع سورة آل عمران، الآية ٦٨.

تقلد علي منصب أزمة الأزمة في أيام المهدي، ومن بعده عينه هارون وزيراً له، وقد تقدم بطلب إلى الإمام موسى عليه السلام يطلب منه الاذن في ترك منصبه والاستقاله منه فنهاه عن ذلك وقال له:

«يا علي ان لله تعالى أولياءً مع أولياء الظلمة يدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي». وقد سمح له الإمام في بقائه في وظيفته ليقوم بالإفراج عن الشيعة الذين اضطهدتهم السلطات العباسيّة حتى حرمتهم من جميع الحقوق المشروعة.

كان الإمام عليه السلام يكن لعلي أخلص الود والولاء، فقد زاره يوماً فقال عليه السلام لأصحابه: من سره أن يرى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلينظر إلى علي بن يقطين.

فانبرى اليه بعض الحاضرين قائلاً: أهو من أهل الجنة؟

فقال الإمام عليه السلام: أما أنا فاشهد أنه من أهل الجنة.

كان الإمام عليه السلام حريصاً على ابن يقطين، وكان يخاف عليه من سطوة هارون وبطشه، لأن أمر تشيّعه لم يكن خافياً على العملاء الذين يتقربون إلى السلطة بكل وسيلة، وقد علم عليه السلام أنهم لا يتركونه حتى يقضون عليه، فتصدّى إلى تسديده ورفع الخطر عنه. فقد ردّ له «الدراعة المذهبة» التي أهداها له هارون حتى لا يكشف أمره.

مؤلفاته: كان علي بن يقطين من عيون أهل العلم ومن الفضلاء المعروفين في عصره وهذه بعض مؤلفاته:

١ ـ «الملاحم» أخذها من الإمام الصادق عليه السلام.

٢ ـ «مناظرة الشاك».

٣ ـ «المسائل» أخذها من الإمام موسى عليه السلام.

وقد ورد في الفهرست للشيخ الطوسي أن الذين أخبر بهذه الكتب محمد بن محمد بن النعمان، والحسين بن عبيد الله ومحمد بن الحسن[1].

(١) الفهرست لابن النديم ص٣٢٨، والفهرست للشيخ الطوسي.

وفاته : انتقل علي بن يقطين إلى دار الحق بمدينة السلام سنة ١٨٢ هـ.

وله من العمر سبع وخمسون سنة، وكان الإمام موسى عليه السلام آنذاك في ظلمات السجون(١).

٥٠ ـ العيص بن القاسم

ابن ثابت بن عبيد بن مهران، البجلي، كوفي عربي، يكنى أبا القاسم ثقة عين، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليه السلام وله كتاب(٢).

ـ غ ـ

٥١ ـ غياث بن ابراهيم

التميمي الاسدي بصري، سكن الكوفة، ثقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام، له كتاب مبوب في الحلال والحرام يرويه جماعة(٣).

ـ ف ـ

٥٢ ـ فضالة بن أيوب

عربي سكن الأهواز، ثقة في حديثه، روى عن الإمام موسى عليه السلام وعدّه الكشي ممن أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنهم من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وتصديقهم والاقرار لهم بالفقه والعلم، وله كتاب «الصلاة»(٤).

٥٣ ـ الفيض بن المختار

الجعفي، الكوفي، روى عن أبي جعفر، وأبي عبد الله، وأبي الحسن عليهم السلام، ثقة عين، له كتاب يرويه ابنه جعفر، وهو أول شخص سمع النص من أبي عبد الله على إمامة ولده موسى عليه السلام وقد تقدم ذكره في الحديث عن (النص على الإمامة)(٥).

---

(١) الكشي ص٢٧٠.

(٢) النجاشي، ص٢٣٢.

(٣) النجاشي، ص٢٤٠.

(٤) تنقيح المقال ج٢، ص٦.

(٥) النجاشي ص٢٤٢.

- ق -

قيس بن موسى

الساباطي، أخو عمار الساباطي، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن وهو ثقة مقبول الحديث[1].

- م -

٥٥ ـ محمد بن جعفر

ابن سعد الاسلمي، كتب وصية الإمام موسى عليه السلام الأولى، وشهد في وصيته الثانية[2].

٥٦ ـ محمد بن حكيم

الخثعمي، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن، يكنى أبا جعفر، له كتاب يرويه جعفر بن محمد بن حكيم، وأثنى عليه في «الوجيزة»[3].

٥٧ ـ محمد بن زرقان

ابن الحباب صاحب الإمام موسى وله نسخة يرويها عنه، ومصاحبته للإمام عليه السلام دليل وثاقته ونباهة شأنه[4].

٥٨ ـ محمد بن أبي عمير

الأزدي، بغدادي الأصل والمقام، من أشهر علماء هذه الطائفة ومن عيون رواتها، وقد أجمع الأصحاب على تصحيح ما يصح عنه وعلى عد مراسيله مسانيد؛ عاصر الإمام الكاظم، والرضا، والجواد عليهم السلام وسوف نلخص بعض أحواله.

علمه: كان من عيون العلماء، ومن كبار الفقهاء، وقد أجمعت الأكثرية على

(١) رجال ابن داود.
(٢) الكافي للشيخ الكليني.
(٣) النجاشي، ص٢٧٦.
(٤) نفسه، ص٢٨٦.

الإقرار له بالفقه والعلم، وقد لازم ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام وأُشبع من نمير علومهم وقد زود الفقه الاسلامي بالشيء الكثير من أحاديثه التي سمعها من الأئمة الميامين، ومراسيله بمنزلة الصحاح عند الفقهاء، وفي هذا دليل على سمو مكانته العلمية.

مؤلفاته: ألف من الكتب أربعاً وتسعين كتاباً منها:

كتاب المغازي، وكتاب الكفر والايمان، وكتاب البداء، وكتاب الاحتجاج في الإمامة، وكتاب الحج، وكتاب فضائل الحج، وكتاب المتعة، وكتاب الاستطاعة، وكتاب الملاحم، وكتاب يوم وليلة، وكتاب مناسك الحج، وكتاب الصيام، وكتاب اختلاف الحديث ، وكتاب المعارف، وكتاب الطلاق، وكتاب الرضاع.

ولكن من المؤسف أن هذه المؤلفات قد تلفت، والسبب في ذلك كما رووا انه تركها في غرفة فسال عليها المطر فأتلفها، وقيل ان أخته دفنت كتبه أثناء حبسه فضاعت، وضاع بذلك علم هذا العالم الكبير.

عبادته: كان محمد من عيون المتقين الصالحين، فقد تربّى في بيت الإمامة، وسار على خطّ أهل البيت عليهم السلام من رفض الدنيا المادية، وعدم الاهتمام بملذاتها وشهواتها، ويكفي للتدليل على مدى عبادته ما رواه الفضل بن شاذان قال: دخلت العراق فرأيت شخصاً يعاتب صاحبه ويقول له:

أنت رجل ذو عيال، وتحتاج أن تكسب لهم، وما آمن عليك أن تذهب عيناك لطول سجودك، وأكثر عليه التوبيخ والتقريع، فالتفت إليه وقال له: «لو ذهبت عين أحد من السجود، لذهبت عين ابن أبي عمير ما ظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما رفع رأسه إلا عند زوال الشمس.

وقد عظمه وبجله جمع من المشايخ، ولا ريب أن تعظيم أولئك الاتقياء الصالحين له وإكبارهم لمنزلته مما يدل على سمو مكانته وعلو شأنه.

مع هارون والسجون: كان محمد بن أبي عمير من الشخصيات البارزة في العالم الشيعي نظراً لاتصاله الوثيق بأئمة أهل البيت عليهم السلام وفي الوقت نفسه كان

عنده السجل العام الذي يتضمن أسماء الشيعة، ولقد ضاق على هارون ذلك، فأمر أن يلقى في ظلمات السجون، فبقي فيها سبعة عشر عاماً. ثم جيء به إلى الطّاغية هارون وهو مكبل بالقيود، فطلب إليه ان يعرفه بأسماء الشيعة الذين يحتفظ باسمائهم، فامتنع وأبى، فأمر الظالم أن يضرب هذا المؤمن التّقيُّ مائة سوط، فضرب، وبلغ به الألم الشديد مبلغاً غظيماً. يقول: كدت أن أسمي إلا أني سمعت نداء يونس بن عبد الرحمن يقول لي:

يا محمد بن أبي عمير، اذكر موقفك بين يدي الله، فتقويت بقوله وصبرت على الألم ولم أخبر، والحمد لله رب العالمين[1].

من هذه الحادثة وأمثالها نقف على مدى الظلم والجور والضغط الهائل الذي واجهته الشيعة في تلك الأدوار المظلمة من الحكام العباسيين الذين كان جل همهم السلطة والمال والدنيا والملذات.

وفاته: انتقل إلى دار الخلود سنة ٢١٧هـ[2] فهنيئاً له على صلابة عوده وقوة عقيدته، وتمسكه بحبل أهل البيت الذي ما تمسك به أحد إلا نجا من الضلال، وكسب رضى الله جلّ وعلا.

٥٩ ـ محمد بن الصباح

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وقال فيه النجاشي: إنه كوفي ثقة، له كتاب أخبرنا عنه أحمد بن عبد الواحد وذكره ابن داود في القسم الأول من رجاله[3].

٦٠ ـ محمد بن يونس

عده الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام موسى، وقال إنه ثقة، وذكره العلامة في الخلاصة وورد توثيقه في كل من الوجيزة والبلغة[4].

(١) الكشي ص٣٦٤ والنجاشي ص٢٥٠ ـ ٢٥١.
(٢) النجاشي ص٢٥١.
(٣) تنقيح المقال ج٣، ص١٣٢.
(٤) تنقيح المقال ج٣، ص٢٠٣.

٦١ ـ مسعدة بن صدقة

العبدي يكنى أبا محمد وقيل أبو بشر، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن موسى عليه السلام وله كتب، منها كتاب «خطب أمير المؤمنين»[١].

٦٢ ـ المفضل بن عمر

الجعفي الكوفي، من كبار العلماء، ومن عيون المتقين والصالحين، ومن أفذاذ عصره، له منزلة مرموقة ومكانة عليا عند أهل البيت عليهم السلام.

ولادته: ولد بالكوفة في نهاية القرن الأول، في أيام الإمام الباقر عليه السلام.

نشأته: ونشأ بالكوفة في وقت كان الجو السياسي مضطرباً، وكانت الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية منتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وخصوصاً بالكوفة، فقد كانت مصدر الانطلاق لجميع الأحزاب، ونشأ المفضل في وسط هذا الخضم الهائل، وقد تغذى بحب أهل البيت عليهم السلام، فاتصل بهم اتصالاً وثيقاً.

وثاقته: كان من عيون الثقات الصالحين، ومن ذوي البصيرة في دينهم والدليل القاطع على ورعه وكالته عن الإمامين الصادق والكاظم عليه السلام في قبض أموالهما، وقبض الحقوق الشرعية الراجعة لهما وصرفها بحسب نظره من إصلاح ذات البين وإعطائها للفقراء والبائسين، وبلا شك ان هذا التفويض ينم على سمو منزلته وثقته عندهم عليهم السلام قال في حقه الإمام الصادق عليه السلام: «نعم العبد والله الذي لا إله إلا هو المفضل بن عمر الجعفي». وقال في حقه أيضاً الإمام الرضا في تأبينه: إن المفضل كان أنسي ومستراحي» وأخبار كثيرة تدل على ايمانه الصادق وورعه واجتهاده في طاعة الله تعالى.

علمه: كان من كبار العلماء ومن قادة الفكر في عصره، اقتبس العلوم من الإمام الصادق عليه السلام اختص به سنين طويلة، وكان من عيون أصحابه الذين أخذوا العلم عنه، ويكفي للتدليل على غزارة علمه كتابه القيم «توحيد المفضل» الذي أملاه عليه الإمام الصادق عليه السلام. يعد الكتاب من مفاخر التراث الاسلامي الذي

(١) النجاشي، ص٣٢٥.

يعتز به، وقد حقق الكتاب صدر الدين العاملي وأثنى على المفضل بقوله: «ومن نظر في حديث المفضل المشهور عن الإمام الصادق عليه السلام علم أن ذلك الخطاب البليغ، والمعاني العجيبة، والألفاظ الغريبة، لا يخاطب الإمام بها إلا رجلاً عظيماً كثير العلم، ذكي الحس، أهلاً بتحمل الأسرار الرفيعة، والدقائق البديعة»[1].

أقرّ الإمام الصادق عليه السلام بمواهبه العلمية، فقد حدث الفيض بن المختار: فما أكاد أشك لاختلافهم في حديثهم حتى أرجع إلى المفضل فيقضي من ذلك ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي، فقال له الإمام: أجل هو كذلك وعده الشيخ المفيد من ثقات الفقهاء الصالحين[2].

مؤلفاته:

ألف المفضل عدة كتب مختلفة المواضيع تدل على طول باعه في هذه العلوم وهذه بعضها:

١ ـ كتاب «يوم وليلة».

٢ ـ كتاب «فكر».

٣ ـ كتاب «بدىء الخلق والحث على الاعتبار»

٤ ـ كتاب «علل الشرائع».

٥ ـ كتاب «وصيّة المفضل».

وصيّته للشيعة: أوصى المفضل جماعة من إخوانه الشيعة بهذه الوصية القيمة الحافلة بأخلاق أهل البيت عليهم السلام وآدابهم وسيرتهم والحقيقة انها يمكن أن تكون درساً حافلاً بالقيم والنصائح ومنهاجاً قويماً في الاجتماع والدين والأخلاق لكل مسلم ومسلمة[3].

٦٣ ـ منصور بن حازم

أبو أيوب البجلي الكوفي ثقة عين صدوق من أجلاء الشيعة، ومن عيون

---

(١) شرح توحيد المفضل ص١٧.

(٢) الارشاد للشيخ المفيد.

(٣) تنقيح المقال ج٣ ص٢٣٧، وشرح توحيد المفضل ص١٧، والارشاد، والنجاشي ص٢٢٦.

الفقهاء، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليه السلام ألف عدة كتب منها: كتاب «أصول الشرائع» وكتاب «الحج» وقد أجمع المترجمون على توثيقه وسعة علمه في الفقه[1].

٦٤ ـ موسى بن ابراهيم

المروزي، اختص بالامام موسى عليه السلام لما كان في سجن الطاغية السندي ابن شاهك لأنه كان معلماً لولده، وقد فسح له المجال للاتصال بالامام، وقد ألّف كتاباً مما سمعه من الامام[2]، وقد أسماه «مسند الامام موسى بن جعفر» توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن المجموع رقم «٣٤ ـ ٧٠» وقد استنسخها وصوّر بعض فصولها العلامة الجليل السيد محمد الحسين الحسيني الجلالي، وهي حسب تحقيقه يرجع عهدها الى القرن السادس الهجري وعليها عدة تواريخ أقدمها سنة ٥٣١.

وقد عني السيد الجلالي عناية بالغة بتحقيق المسند فترجم لمؤلفه ترجمة وافية فذكر شيوخه ومن روى عنه، كما ذكر سند الكتاب حسب ما نص عليه الشيخ الطوسي والنجاشي، ويحتوي على «٥٩» حديثاً شريفاً.

ـ ن ـ

٦٥ ـ نصر بن قابوس

اللخمي القابوسي، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى والامام الرضا عليه السلام، وكانت له منزلة عندهم وله كتاب، وعدّه الشيخ من خاصة الامام الكاظم عليه السلام ومن ثقاته، ومن أهل الورع والعلم من شيعته.

وقال الشيخ الطوسي: إنه كان وكيلاً عند الامام الصادق عليه السلام عشرين سنة وهو أحد رواة النص على إمامة الامام الرضا عليه السلام، وهذا يظهر عدالته ووثاقته[3].

(١) النجاشي ص٣٢٣، والبلغة، والخلاصة، ورجال ابن داود.
(٢) النجاشي ص٣١٩.
(٣) النجاشي ص٣٣٣، والارشاد، والغيبة، والكشي.

٦٦ ـ نشيط بن صالح

ثقة، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام وله كتاب وروى العلامة انه كان خادماً عند الامام موسى وهو أحد رواة النص على إمامة الرضا[١].

ـ هـ ـ

٦٧ ـ هشام بن سالم

الجواليقي الجعفي، وهو من عظماء هذه الطائفة ومن عيونها، روى عن أبي الحسن، وقد عيّنه الإمام الصادق عليه السلام للمناظرة في التوحيد مع رجل من أهل الشام، وفي هذا دلالة على وفور علمه وتقدّمه في الفضل، وقد اعترف له بالفضل والوثاقة كثير من مترجميه[٢].

٦٨ ـ هند بن الحجاج

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الامام الكاظم عليه السلام وذكر المترجمون له حديثاً مع الإمام الكاظم عليه السلام يدل على وثاقة الرجل واختصاصه بالامام[٣].

٦٩ ـ الهيثم بن عبدالله

الرماني الكوفي، روى عن الإمام الكاظم عليه السلام، والامام الرضا عليه السلام وله كتاب[٤].

٧٠ ـ هشام بن الحكم

من كبار علماء الأمّة الاسلامية وفي طليعة المدافعين عن مبدأ أهل البيت عليهم السلام، ناضل كثيراً وجاهد جهاداً مباركاً في نصرة الحق والدفاع عن الشريعة الاسلامية في عصر انعدمت فيه الحريّات العامة، وكان الذاكر لفضائل أهل البيت عليهم السلام عرضة للتنكيل والانتقام من قبل الحكام العباسيين الذين بذلوا كل إمكاناتهم من أجل إضعاف كيان آل الرسول عليهم السلام. لكن هشاماً الجريء الشجاع

---

(١) النجاشي ص٣٣٥، والخلاصة، والكشي.
(٢) الكشي، والوجيزة، والبلغة.
(٣) تنقيح المقال ج٣ ص٣٠٤.
(٤) النجاشي ص٣٤١.

لم يهتم بكل ذلك، بل ناظر خصومه وتفوّق عليهم، وقد تحدثت الأندية العلمية عن قوة استدلاله، وبراعة برهانه، الأمر الذي ينم عن مدى حبه لأهل البيت عليهم السلام، وهذه باختصار بعض شؤونه وأحواله.

ولادته: ولد بالكوفة، وليس لدينا نص يعين السنة التي ولد فيها.

نشأته: المرجح عند المترجمين انه نشأ في مدينة واسط[1] وكان يتعاطى التجارة وانتقل أخيراً الى بغداد فنزل في جانب الكرخ في قصر وضاح[2]، كان من أصحاب الجهم بن صفوان[3] لكنه لما التقى بالامام الصادق عليه السلام وحاوره الامام فلم يعد يقدر على مفارقته أبداً، ومنذ ذلك الحين أخذ يتلقى العلم والمعارف منه حتى أصبح في طليعة العلماء ومن أفذاذهم[4].

تخرجه: انقطع هشام الى الامام الصادق عليه السلام حتى أصبح من أبرز رجال مدرسته، ولما انتقل الامام الصادق الى دار الخلود اختص بولده الامام الكاظم عليه السلام وأخذ يتلقى منه العلم والفضل وبذلك يكون قد أخذ العلم من منبعه الصحيح ونال شرف التلمذة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام.

رواته: روى عنه جماعة من كبار الرواة الأحاديث التي سمعها من أهل البيت عليهم السلام وهم كثر توجد رواياتهم عنه في كتب الفقه والحديث من هؤلاء نذكر: محمد بن أبي عمير، صفوان بن يحيى البجلي الكوفي، النضر بن سويد الصيرفي الكوفي، نشيط بن صالح، يونس بن عبد الرحمن، حماد بن عثمان، علي بن معبد البغدادي ويونس بن يعقوب[5]

اختصاصه: اختص هشام في علم الكلام فكان من كبار المتكلمين في عصره، ومناظراته التي أجراها مع كبار المفكرين تنمّ عن تفوّقه في هذا الفن، قال ابن النديم في ترجمته: كان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة، وممن فتق الكلام

(١) تنقيح المقال وتأسيس الشيعة ص٣٦٠.
(٢) تأسيس الشيعة ص٣٦٠.
(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ج٥ ص٥٦، وفرق الشيعة ص٦ و٩ وتاريخ ابن كثير.
(٤) هشام بن الحكم ص٥٥.
(٥) تنقيح المقال.

في الامامة، وهذّب المذهب والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام[1].

وقد ناظر هشام الفلاسفة في مختلف الميادين العلمية حتى تفوّق عليهم وكانت نوادي بغداد تعجّ بمناظراته القيّمة التي دلّت على تفوّقه في هذا الفن. ومن مناظراته هذه مناظرته مع عمرو بن عبيد.

طلب الامام الصادق عليه السلام من هشام ان يقصّ عليه مناظرته مع عمرو الزعيم الروحي للمعتزلة، فامتثل هشام لأمر الامام وأخذ يحدثه بقصته قائلاً له: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك عليّ، لأنه كان ينكر الإمامة، ويقول:

مات رسول الله صلى الله عليه وآله بلا وصي، فخرجت إليه ودخلت البصرة فأتيت مسجدها، وإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء مؤتزر بها، وشملة أخرى مرتدٍ بها والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم ثم قلت له: أيها العالم أنا رجل غريب، أتأذن لي أن أسألك عن مسألة؟

قال: نعم. فقلت له:

ألك عين؟ فما ترى بها؟ ـ أرى بها الألوان والأشخاص. ثم تابع يسأله... ألك أنف؟ ألك فم؟ ألك أذن؟ ألك يدان؟ ألك رجلان؟ ألك قلب؟ . قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح، فسأله هشام: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا.

قال هشام: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟

فقال عمرو: يا بني، إن الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو ذاقته، فتؤديه الى القلب، فيتيقن اليقين، ويبطل الشك.

فإنما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال عمرو: نعم. فقال هشام: فلا بدّ من القلب، وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال عمرو: نعم.

(١) الفهرست ص٢٦٣.

وبعدما أخذ هشام من عمرو هذه المقدمات كرّ عليه في إبطال ما ذهب اليه من أن رسول الله ﷺ مات بلا وصي فقال له هشام:

«يا أبا مروان إن الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح، وينقي ما شكّت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد حيرتك وشكك!!

فسكت عمرو ولم يطق جواباً لأن هشام قد سدّ عليه كل نافذة يخرج منها.

وكان له جولات عديدة أخرى ومناظرات مع كبار المفكرين منهم:

- يحيى بن خالد البركي: الذي طلب إليه أن يخبره هل يكون الحق في وجهتين مختلفتين؟ فأجابه بلباقة وحنكة[(١)].

- وله مناظرة مع النظام الذي يسأل: هل ان أهل الجنة غير مخلدين فيها، وانه لا بد أن يدركهم الموت؟ فأجابه هشام وانصرف النظام مخذولاً لا يجد برهاناً على ما يذهب إليه[(٢)].

- ومع ضرار الضبي: الذي كان جاحداً للإمامة.

أجابه هشام قائلاً: «الإمام لا بد له من علم يقيمه الرسول له، فلا يسهى، ولا يغلط، ولا يحيف، معصوم من الذنوب مبرأ من الخطايا يحتاج إليه ولا يحتاج الى أحد»[(٣)].

فسكت ضرار أمام هذا المنطق المدعم بالدليل العقلي.

هذه بعض مناظرات لهذا العالم الكبير الذي فتق بها مباحث الفلسفة الكلامية، وبقيت من بعده مدداً مفيداً لكل من أراد الخوض في مثل هذه البحوث. وقد بقي جماعة يناظرون على مبادئه حتى في عصور متأخرة. نذكر منهم: أبا عيسى محمد بن هارون الوراق، وأحمد بن الحسين الراوندي وغيرهما... وقد

(١) الفصول المختارة ج١ ص٢٤ وعيون الأخبار ج٢ ص١٥.
(٢) الكشي ص١٦٥ ـ ١٨٤.
(٣) بحار الأنوار ج١١ ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

وضع هذا الأخير كتابه: «فضيحة المعتزلة» هاجم فيه الآراء الاعتزالية ورجالها مهاجمة شديدة، معتمداً في كثير منها على آراء هشام. كما يظهر تأثيره من كتابه الذي وضعه في حدوث العلم، ونجد أثر ذلك في دفاع المعتزلة أنفسهم الذين عنوا بردها ونقضها ومنهم بشر بن المعتمر من أفضل علماء المعتزلة، فقد وضع كتاباً في الرد على هشام بن الحكم[1].

وفاته: مؤامرة من يحيى بن خالد البرمكي حيث جمع المتكلمين واختفى هارون وراء الستر ولا يعلم بذلك هشام. ثم جرت بينه وبين الفلاسفة مناظرة: حول الامامة، وأخيراً وبعد حوار طويل بينه وبينهم صرح هشام بأن الامام إذا أمره بحمل السيف أذعن بقوله ولبى طلبه. ولما سمع الرشيد بذلك تغيرت حاله واستولى عليه الغضب، فأمر بإلقاء القبض على هشام وعلى أصحابه، وعلم بما ضمر له من الشر، فهام على وجهه فزعاً مرعوباً حتى انتهى الى الكوفة، فاعتلّ فيها ومات في دار ابن شراف[2]

مؤلفاته: كان هشام خصب الانتاج ألف في مختلف الفنون والعلوم وبرز الجميع بها، لكن ان اغلب تراثه العلمي لم يعثر عليه سوى اليسير، وهذه بعض عناوينها:

١ ـ كتاب الامامة.
٢ ـ كتاب الدلالات على حدوث الأشياء.
٣ ـ كتاب الرد على الزنادقة.
٤ ـ كتاب على أصحاب الاثنين.
٥ ـ كتاب التوحيد.
٦ ـ كتاب الرد على هشام الجواليقي.
٧ ـ كتاب الرد على أصحاب الطبائع.
٨ ـ كتاب الشيخ والغلام.
٩ ـ كتاب التدبير.

(١) هشام بن الحكم ص٢٢١.
(٢) الفهرست ص٢٦٤.

١٠ ـ كتاب الميزان.
١١ ـ كتاب الميدان.
١٢ ـ كتاب الرد على من قال بإمامة المفضول.
١٣ ـ كتاب اختلاف الناس في الامامة.
١٤ ـ كتاب الوصية والرد على من أنكرها.
١٥ ـ كتاب الجبر والقدر.
١٦ ـ كتاب الحكمين.
١٧ ـ كتاب الرد على المعتزلة في طلحة والزبير.
١٨ ـ كتاب القدر.
١٩ ـ كتاب الألفاظ.
٢٠ ـ كتاب المعرفة.
٢١ ـ كتاب الاستطاعة.
٢٢ ـ كتاب الثمانية أبواب.
٢٣ ـ كتاب الرد على بعض الأصحاب.
٢٤ ـ كتاب الأخبار كيف تفتح.
٢٥ ـ كتاب الرد على أرسطاليس في التوحيد.
٢٦ ـ كتاب الرد على المعتزلة[١].
٢٧ ـ كتاب المجالس في الامامة.
٢٨ ـ كتاب علل التحريم.
٢٩ ـ كتاب الرد على القدرية. وقد اطلع عليه الامام موسى عليه السلام فقال: «ما ترك شيئاً».
٣٠ ـ كتاب الفرائض[٢].

وهذه المجموعة الضخمة من المؤلفات في شتى المواضيع تدل على ثروة هشام بن الحكم العلمية وعلى سعة اطلاعه وعمق ثقافته. ويكفي مناظراته القيّمة التي خاضها مع علماء الأديان والمذاهب وكبار الفلاسفة.

(١) الفهرست ص٢٦٤.
(٢) النجاشي ص٣٣٨.

- ي -

٧١ ـ يحيى بن عبد الرحمن

الأزرق، كوفي، ثقة، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا ووثّقه جماعة من الأعلام[١].

٧٢ ـ يحيى بن عمران

ابن علي بن أبي شعبة الحلبي، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليه السلام ثقة، صحيح الحديث، له كتاب يرويه جماعة ووثّقه أكثر المترجمين له[٢].

٧٣ ـ يزيد بن سليط

عدّه الشيخ في رجاله والكشي وغيرهما من أصحاب الامام الكاظم وذكر بعضهم أنه من خاصة الامام ومن ثقاته، ومن أهل الورع والعلم والفقه وأحد الراوين النص على إمامة الإمام الرضا عليه السلام وله حديث طويل مع الامام الكاظم عليه السلام[٣].

٧٤ ـ يونس بن عبد الرحمن

مولى علي بن يقطين من كبار علماء الأمة الاسلامية، كان وحيد عصره في تقواه وورعه، تربّى في مدرسة الامام الكاظم، وأخذ منه العلوم والمعارف، ومن بعده اختص بولده الامام الرضا عليه السلام.

ولادته: كانت ولادته في أيام هشام بن عبد الملك[٤].

نشأته: نشأ يونس على التقوى والصلاح وتغذى من علوم أهل البيت عليهم السلام وكان في جميع أدوار حياته مثالاً للتكامل الانساني، قضى حياته في تحصيل العلوم من منبعها، من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وقد وردت في حقه والثناء عليه أخبار كثيرة من الأئمة عليهم السلام.

---

(١) النجاشي ص٣٤٦ والخلاصة، والحاوي، والبلغة.

(٢) النجاشي ص٣٤٦ والحاوي، والفهرست، والوجيزة.

(٣) منهج المقال ص٣٧٤ وتنقيح المقال ج٣ ص٣٢٦.

(٤) النجاشي ص٣٤٨.

روى عبد العزيز المهتدي قال: سألت الامام الرضا عليه السلام فقلت له: إني لا ألقاك فمن آخذ معالم ديني؟ فقال عليه السلام: خذ عن يونس بن عبد الرحمن[١]. وقال عنه أيضاً: يونس في زمانه كسلمان في زمانه.

وعن الامام الجواد عليه السلام: أنه تصفّح كتاب يونس «يوم وليلة» فردّد قائلاً: رحم الله يونس[٢].

علمه: كان علاّمة زمانه، كما قال ابن النديم[٣]، اعترف له جميع المترجمين بغزارة علمه، وسعة اطلاعه ويقال انه انتهى علم الأئمة عليهم السلام إلى أربعة نفر وهم: سلمان الفارسي، وجابر، والسيد، ويونس بن عبد الرحمن.

مؤلفاته: ألّف يونس كتباً كثيرة دلّت على تضلعه في كثير من العلوم، وهذه بعض مؤلفاته:

١ ـ كتاب يوم وليلة عرض الكتاب على أبي محمد العسكري عليه السلام فقال: أعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة[٤].

٢ ـ كتاب علل الأحداث.

٣ ـ كتاب الصلاة.

٤ ـ كتاب الصيام.

٥ ـ كتاب الزكاة.

٦ ـ كتاب الوصايا والفرائض.

٧ ـ كتاب جامع الآثار.

٨ ـ كتاب البداء[٥].

---

(١) الكشي ص٣٠١.

(٢) نفسه.

(٣) الفهرست ص٣٢٣.

(٤) الخلاصة.

(٥) دذكر هذه الكتب ابن النديم في الفهرست ص٣٢٣ وذكرها النجاشي.

٩ ـ كتاب السهو.
١٠ ـ كتاب الأدب والدلالة على الخير.
١١ ـ كتاب الفرائض.
١٢ ـ كتاب الجامع الكبير في الفقه.
١٣ ـ كتاب التجارات.
١٤ ـ كتاب تفسير القرآن.
١٥ ـ كتاب الحدود.
١٦ ـ كتاب الأدب.
١٧ ـ كتاب المثالب.
١٨ ـ كتاب علل النكاح وتحليل المتعة.
١٩ ـ كتاب نوادر البيع.
٢٠ ـ كتاب الرد على الغلاة.
٢١ ـ كتاب ثواب الحج.
٢٢ ـ كتاب النكاح.
٢٣ ـ كتاب الطلاق.
٢٤ ـ كتاب المكاسب.
٢٥ ـ كتاب الوضوء.
٢٦ ـ كتاب البيوع والمزروعات.
٢٧ ـ كتاب اللؤلؤ في الزهد.
٢٨ ـ كتاب الإمامة.
٢٩ ـ كتاب فضل القرآن[١].
٣٠ ـ كتاب اختلاف الحديث.
٣١ ـ كتاب مسائله عن أبي الحسن موسى[٢].

نظرة سريعة على عناوين هذه الكتب تدل دلالة واضحة على سعة معارفه، وإحاطته بمختلف العلوم والفنون.

(١) النجاشي ص٣٤٩.
(٢) الفهرست للشيخ الطوسي.

حسّاده: كل عبقري صاحب شأن لا بدّ له من حسّاد حاقدين ينغّصون عليه عيشه، ويونس بن عبد الرحمن كان من أولئك الأفذاذ الموهوبين الذين خصّهم الله بمزيد من العلم والفضل. وقد شكا أمره الى الامام الكاظم عليه السلام فيما يتهمونه به فهدّأ الامام روعه وقال له:

«ما يضرّك أن يكون في يدك لؤلؤة، فيقول الناس: هي حصاة، وما ينفعك أن يكون في يدك حصاة فيقول الناس لؤلؤة»[١].

وفاته: اختاره الله الى لقائه بعد أن أبلى بلاءاً حسناً في الدفاع عن الاسلام والتبشير بمبدأ أهل البيت عليهم السلام وقد توفي في يثرب سنة ٢٠٨هـ[٢].

ولما وصل نعيه الى الامام الرضا عليه السلام قال: انظروا الى ما ختم الله ليونس قبضه بالمدينة مجاوراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

رحم الله يونس بن عبد الرحمن وجزاه عن الاسلام خير الجزاء، وحشره ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾[٤].

٧٥ ـ يونس بن يعقوب

ابن قيس، أبو علي البجلي الدهني الكوفي، اختص بأبي عبدالله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام وكان يتوكّل لأبي الحسن[٥] وعدّه الشيخ المفيد من فقهاء أصحاب الصادقين عليهما السلام ومن الأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا يُطعن فيهم ولا طريق الى ذم واحد منهم، وهم أصحاب الأصول المدوّنة، والمصنفات المشهورة[٦] ومما يدل على وثاقته انه وكّله أبو

(١) الكشي ص٣٠٤.
(٢) تنقيح المقال ج٣ ص٣٣٩.
(٣) الكشي ص٣٠٢.
(٤) سورة النساء الآية ٦٩.
(٥) النجاشي ص٣٤٨.
(٦) الإرشاد.

عبدالله وأبو الحسن عليه السلام ليشتري لهما بعض الأشياء فلما اشترى ذلك وأوصله اليهما قال له أحدهما:

ما أنت عندنا بمتهم، إنما أنت رجل منّا أهل البيت فجعلك الله مع رسوله وأهل بيته» والله فاعل ذلك ان شاء الله.

توفي في يثرب وتولى تجهيزه الامام الرضا عليه السلام.

وهنا نذكر بعض أصحاب الامام عليه السلام الذين عرفوا بكنيتهم منهم:

٧٦ ـ أبو زكريا

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الامام الكاظم عليه السلام وهو ثقة، وقد روى عن علي بن رباط[١].

٧٧ ـ أبو شعيب

المحاملي، كوفي، ثقة من رجال أبي الحسن موسى عليه السلام وله كتاب[٢].

٧٨ ـ أبو يحيى

المكفوف، عدّه الشيخ في باب الكنى من أصحاب الامام الكاظم عليه السلام وقال في «الفهرست» له كتاب، وكذا قال النجاشي واستفاد الحائري من مصاحبته للإمام أنه محل اعتماد[٣].

هؤلاء أصحاب الامام وحملة حديثه، وقد اخترنا منهم عظماء العلماء، وكبار المؤلفين الذين زوّدوا العالم الاسلامي في عصرهم بنتاجهم الجليل مما يدل بوضوح ان النهضة الفكرية كانت تستند الى أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم الذين فجّروا طاقاتها في دنيا العرب.

وهذه الكوكبة من الرواة الأجلاء قد كشفت لنا جانباً مهماً من حياة الإمام عليه السلام ودلّت على أهمية الدور الذي قام به في رفع منار العلم ونشر الوعي الثقافي في ربوع العالم الاسلامي.

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص١٧.
(٢) النجاشي ص٣٥٤.
(٣) تنقيح المقال ج٣ ص٣٩.

إن الانتماء الى مدرسة الامام الكاظم عليه السلام كان من موجبات الاعتزاز والفخر لأنها بلورت الحياة الفكرية في العالم الاسلامي وعملت على تقدّم المسلمين في جميع الميادين.

دروس مثالية من إمام مثالي:

أهل البيت وما أدراك ما أهل البيت!! هم الصفوة المختارة التي اختارها الله جلَّ وعلا أعلاماً منيرة على دروب الحياة لعباده، واجتباهم هداة لخلقه وحكاماً عليهم، وورثة لنبيه صلى الله عليه وآله وسدنة الرسالة الاسلامية الدائمة. فقهوا الأحكام فعنهم أخذت، وعرفوا الحلال من الحرام فكانوا الأدلاء الى الله، والمبشّرين لدينه، والموضحين لمنهجه، عنهم أُخذَ علم الكتاب المجيد وما جاءت به السور.

والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أمر الأمة باتباعهم وطاعتهم والامتثال لأمرهم، لكن حب الجاه والسلطان حدا بالمسلمين الى التزاحم على الخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والنبي صلى الله عليه وآله لم يدفن بعد، فزعموا هذا الأمر خوف الفتنة التي سقطوا فيها وعانوا من ويلاتها.

علم المسلمون أنّ الخلافة لأهل البيت عليهم السلام لكنها تقلبت في أيدي غيرهم حتى وصلت الى معاوية بن أبي سفيان الذي شقّ عصا الاسلام، وأحدث الفتن بين المسلمين، ولم يكتفِ القدر بهذا حتى أورثها الى ابنه يزيد الفجور والخمور والرذيلة. واستمرت فيهم ما يقارب السبعين عاماً. قام بعد الأمويين العباسيون، فاستبدل الناس ظلماً بظلم، وجوراً بجور، هذا والأئمة الأعلام الأطهار ليس لهم أمر ولا نهي ولم يكتف الحكام الأمويون والعباسيون بتقمّصهم الخلافة بالقوّة، مستأثرين بها على أهل البيت عليهم السلام حتى أخذوا يتبعونهم قتلاً وسجناً وتشريداً؛ لكن الأئمة تحمّلوا مسؤولياتهم وتكاليفهم ولم يعبأوا بهذه الشدة والظلم، بل استمروا على تبليغ رسالتهم في صدّ التيارات الفكرية الفاسدة، ونشر التعاليم الاسلامية الصحيحة، وإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى. فملأوا الدنيا وشغلوا الناس بعلومهم الغزيرة ومعارفهم الرشيدة من أجل رفع راية الاسلام خفّاقة في العالم بأسره.

ولا غرو إن كانوا كذلك، فهم أحق من غيرهم في تسلّم الخلافة، لا بل هم المكلّفون بعد الرسول الأعظم ﷺ بنشر الاسلام والمحافظة على السنن الإلهية، والشرائع الاسلامية.

والإمام موسى الكاظم عليه السلام هو سابع الأئمة المعصومين الذي عانى الأمرّين، وقاوم الظلم، وحافظ على رسالة جده ﷺ ولم يدار ولم يداهن بل تحمّل المسؤولية الشرعية بكل جرأة وصبر، وقام بالتكاليف الملقاة على عاتقه من الإصلاح في أمة جده ﷺ على حد قول جده سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام «لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت طلباً للإصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ».

الإمام الكاظم في حصار التكاليف:

من الحاجات الفطرية للإنسان حياته الاجتماعية الشريفة مع سائر أبناء أمته، وهذه من الميول الطبيعية فيه التي تقوده الى تحقيق ذاته.

وكل فرد في المجتمع يلتزم بمسؤولية خاصة وتكاليف خاصة عليه أن يقوم بأدائها على أكمل وجه. فإذا آمن كل واحد من أفراده بمسؤولياته التي قبلها في دائرة أعماله، ولم تتجاوز نشاطاته حدود ما رسم لنفسه منها يدار المجتمع عند ذلك بصورة صحيحة وسليمة.

والإنسان العاقل الناطق قد أحاطت به قيود وقواعد وأصول قد شملت كل شؤون حياته، وهذه الحدود والقيود هي التي تميزه عن الحيوان الأعجم على صعيد الحياة.

في حركة وسكون يجد كل منّا تكليفاً عليه، والتكاليف تبدأ من أبسط مراحل الحياة وتمتد حتى آخر حياته، وهذا هو النظام الذي تدار عليه حياة الانسان. ولا يمكننا في أي حال أن نفصل بني الانسان وبين تكاليفه، مهما كانت قدراته، فهناك تكليف عليه. اللهم إلاّ الموت، الذي يأخذ بتلابيب الإنسان ويطوي صحيفة أعماله.

والإنسان يلتزم بفطرته بمسؤوليات وقرارات، مع قطع النظر عن أحكام الأديان وأوامرها، والتكليف هذا ينشأ من علاقته بأوصافه وخصائصه وعواطفه المغروسة في نظام كيانه ووجوده، وإن كانت دوافعه الى أداء تكاليفه مختلفة أو صعبة. وبإمكاننا القول:

إن القواعد العقلية العامة هي محور التكاليف، أما إطاعة الأحكام الدينية فإنها ترجع الى اتباع القواعد والقرارات العقلية أيضاً، لأن أحكام الأديان وأوامرها في مراحل الحياة والمسائل الاجتماعية هي تفصيلات لإجمال المدركات العقلية ومعرفتها من الأمور الضرورية.

وليست المشكلة في معرفة التكاليف، بل المشكلة الكبرى هي العمل بالتكاليف الشاقة. وهنا يتميز كل إنسان من الاقتراب الى مرحلة الكمال في إيمانه الراسخ والثابت والقوي، ومراقبة نفسه مراقبة دقيقة أمام الله عزّ وجلّ وتوطينها وتعويدها على التضحية والعطاء.

والمجتمع البشري وإن كان مرتعاً صالحاً لنمو الفضائل الانسانية وظهورها وتكاملها، لكنه صالح أيضاً لظهور كثير من الرذائل والآفات.

والتكامل الاجتماعي يصاب بالركود والتوقف فيما إذا تجاوز كل فرد من الأفراد عن حدود وظائفه وتكاليفه، أو تناسى أو تنكر لمسؤولياته الكبرى الملقاة على عاتقه. فالنبتة المزروعة حديثاً بحاجة الى عناية خاصة ومجهود خاص حتى تتطور فتصل في مراحل نموها الى كمالها اللائق بها. والمجتمع قد يثمر ويتكامل ليس بموقعه الجغرافي وأوضاعه المادية، بل بأوضاعه التربوية الخاصة وإمكاناته المعنوية التي يقوم على أساسها المجتمع الفاضل الراقي. وفي هذا المجتمع الذي تسود فيه روح المعرفة بالتكاليف، ستكون الطهارة والصدق في ضمائر القلوب، وفي إدراكات العقول، وفي جميع شؤون الحياة الظاهرة للعيان.

إنّ مجتمعاً كهذا وضعه لا تنمو فيه الخيانة، ولا يظهر فيه العدوان على حقوق الآخرين، بل لا يسمح لها المجال للنمو والظهور، فيقف كل فرد فيه عتد حدوده وأمام مفاسد أعماله فيحاسب نفسه ويمنعها من التجاوز عملاً بقول الرسول الأعظم: «رحم الله امرءاً عرف حدّه فوقف عنده» ولا نضلّ الطريق إلا إذا تقاعسنا

عن القيام بتكاليفنا وخفقنا تجاه واجبنا ومسؤولياتنا. فهناك كثير من الناس، مع ما لهم من إمكانات من مختلف الجهات يحاولون الاقتصاد في الافادة من وجودهم ومن طاقاتهم، ولهذا نراهم يتهربون من المسؤوليات والأعمال التي تسلبهم بعض راحتهم وملذاتهم كما يزعمون، فهم يعيشون لأنفسهم ولا يخصصون قسماً من أوقاتهم يعود نفعها للآخرين.

هؤلاء هم أصحاب الفكر الضيّق والنشاط المحدود، تدور أمورهم على محاور شخصيّة محدودة، فيعتادون على هذه الخصائص الروحية، ولهذا فلا يتمكنون من القيام بالأعمال الكبيرة، والقضايا الاجتماعية العظيمة فنراهم قد اختفوا في مجتمعهم ولم يبرزوا طاقاتهم الشخصية.

لكن هناك فئة أخرى من الناس لا تتسامح أبداً بالنسبة الى مسؤولياتهم بأي حال من الأحوال، ولا يصابون بأي إضطراب أو قلق نفسي على أثر التطورات والتغييرات؛ بل نراهم مستعدين دائماً للمبادرة بتكاليفهم الواجبة، ومسؤولياتهم النافعة، فيستقبلونها بكل رحابة صدر ويقومون بكل جهودهم فيها. انهم يتصوّرون ان خير إفادة من وجودهم القيام بمهام مثمرة ومفيدة لأمتهم مهما كانت شاقة، وعلى هذا فكلما كان الانسان أكثر رشداً، وأكمل عقلاً، وأبعد رؤية، كان اشتياقه الى القيام بمسؤولياته أكثر، وإلى أداء تكاليفه أشدّ وأكبر.

تحقيق الأهداف السامية:

قالوا: لولا الأمل لبطل العمل. إن الذي يملأ حياة الانسان أملاً هو السعي لتحقيق الآمال العالية والمثمرة، وعلى كل إنسان أن يصمم على أن يبلغ مقاماً سامياً يليق بإنسانيته، فيعمل بكل ما أعطي من قوى وإمكانات ليقوم بتكاليفه ومهامه وخدمة أبناء مجتمعه.

وما نراه ونسمعه في مجتمعنا من بعض أفواه الناس يقولون:

نريد أن نقوم بعمل خير في حياتنا، لكن مسؤولياتنا وأعمالنا قد منعتنا من التوفيق في هذا الطريق، فقد غرقنا الى حد بعيد في مهام الحياة ومشاغلها ولم تسمح لنا الفرص المناسبة لنتمكن فيها من تحقيق ما نصبو إليه في حياتنا.

ولا ريب ان هذه من الأخطاء الشائعة والخطيرة في مجتمعنا، ذلك ان كلاً منا لديه الفرص الكثيرة التي تحيط به والتي يستطيع بكل سهولة من القيام بمهامه لو صمم وأراد؛ فيحصل على رضى ضميره ورضى مجتمعه ورضى ربه جلّ وعلا. من هنا كان قول الرسول الأعظم ﷺ:

«الخلق كلهم عيال الله وأقربهم اليه أنفعهم لعياله» الى جانب ذلك عليه ان لا يغفل عن تكاليفه العادية، وأن يقوم بأعمال جليلة فيها كل الخير له ولمجتمعه.

فالتكليف الواجب علينا جميعاً أن نفيد من الفرص الكثيرة التي تسمح لنا لنقوم بهذا التكليف؛ وسوف تتاح لنا فرص كثيرة في هذا السبيل. ونحصل على نجاح باهر وتوفيق هام، لأن جميع القوى الكامنة فينا تكفي للقيام بتكاليفها. والذي يحتاج إليه العالم اليوم ويفتقده هو أن يكون له جماعة يفكّرون في تلبية نداء الآخرين وقضاء حاجاتهم، وعند القيام بمهام جليلة من أجل الآخرين ستنزل رحمة الله الواسعة على المعين والمستعين كليهما. أما ما نراه من ضغوط المجتمع الحاضر الذي سمّوه (المجتمع الحديث) كما هو عليه اليوم ستفقدنا شخصيتنا شيئاً فشيئاً، وبالتالي سوف نفتقد آمالنا في الابداع والظهور.

ولهذا فإن وصول هذا المجتمع الى الحضارة الحقّة سوف يتأخّر ما دام الوضع كما هو عليه. وما هو السبب في ذلك؟

الحقيقة أن الخطأ الكبير لكل واحد منا هو أننا نعيش بأعين ليست بصيرة، فلا نلتفت الى الفرص الجيدة التي تواجهنا، نعم علينا أن نفتح أعيننا جيداً ونتفحّص ما حولنا بدقة ومهارة لنقدم الى كل الناس الخير العميم. فأسمى ما لدينا وأفضل أمنياتنا أن نرهن وجودنا، ونمد أيدينا لعون الآخرين إلى حد التضحية والفداء. ومثلنا الأعلى في هذا المضمار الشريف الأئمة عليهم السلام، كل واحد منهم قام بتكاليفه كاملة، وضحّى بأغلى ما يملك في الوجود، فبذل النفس في سبيل الآخرين. والجود بالنفس أسمى غاية الجود!

إنّ أصغر شيء ينفقه رجل فقير الحال هو أفضل بكثير من الذي ينفقه كبار الأغنياء، وكثيراً ما نسمع من البعض من يقول: لو كنت ثرياً لكنت أقدّم للناس الكثير الكثير من الأعمال والخدمات ولكن؟!

نقول لهؤلاء الذين يتمنون ولا يفعلون: اننا بإمكاننا أن نكون جميعاً أثرياء من حيث الحب والعطف والحنان لهم، فلو اكتشفنا الحاجة الحقيقية للمحتاجين، وحاولنا تلبيتها، نكون بذلنا في ذلك أفضل وأعز شيء لدينا ألا وهو الحب لهم، والعطف عليهم، مما لا يقابله كل أموال الدنيا بأجمعها!

ولا يفوتنا أن نعلم أن بإمكاننا إذا حملنا أنفسنا على البحث والتنقيب بما يمكننا القيام به لاستطعنا تقديم الكثير الكثير من أعمال الخير والعذق والمساعدة للآخرين. وهذا العمل الروحي بحاجة الى جرأة وتضحية ورحابة صدر وقوة إرادة، وتصميم أكيد على إسداء الفائدة المرجوّة والمحبة الخالصة لجميع الناس، وهذا بنظري أكبر اختيار وامتحان لكل إنسان في هذه الدنيا على الأرض.

ولكن علينا أن نعلم أيضاً أننا في هذا التكليف الشاق، وتحمّل المسؤولية بإمكاننا أن نجد السعادة الحقيقية. وهذا واقعاً ما قدّمه الأئمة، وقدّموا في سبيل الله، وعطفوا على عباد الله، فكسبوا بذلك رضى الناس ورضى الله سبحانه وتعالى.

بإرادة الإنسان تعمر الأوطان:

خلق الإنسان حرّاً في أن يطيع أوامر ضميره الحيّ أو يعصيها، فكل واحد منّا يملك نفسه وإرادته فبإمكانه أن يختار الفضائل مثل:

الصدق، والشجاعة، والإيثار، والإحسان، والقول الحسن، والإخلاص، والوفاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواضع، ومقاومة الهوى، والمحبّة، والصفاء، وكظم الغيظ.

أو أن يختار طريق الشهوات والرغبات والرذائل مثل: الكبرياء، والنميمة، والانقياد لهوى النفس، والغضب، والظلم، والحسد... فكل هذه الصفات من فضائل ورذائل هي تحت إرادته واختياره، وبإمكانه أن يحلّي نفسه بها بالسعي الدائم المشكور، والمحاولات المتواصلة، أو أن يختار عكس ذٰلك فينغمس في محيط متخلّف من الشهوات الرذيلة والميول الهوجاء، كما فعل الحكام الأمويون والعباسيون الذين غرقوا في مستنقع شهواتهم، وفجّروا في ظلمهم وجورهم من أجل حب التملّك وشهوة السلطان.

إنّ قوة الإرادة موهبة إلّهية خيّرة لا ينبغي أن نتركها دون الإفادة منها، أو أن نصرفها في الأعمال البربرية والمنحطّة، بدلاً من أن نوظفها في تكاليفنا الشرعية. ان افتقاد الإرادة هو ضعف في اتخاذ التصميم والقرار، وهو سدّ مانع للقيام بتكاليفنا.

لكن الإفادة من الارادة لهداية الضمير والوجدان من أجل الكفاح ضد الشهوات، وأهواء النفس، والانتصار على عبادة النفس صعب في بداية الأمر وهو بحاجة أكيدة الى روح التضحية، ولا بد من مواصلة السعي الدائم لتتقوّى روحية الإنسان تدريجياً، وتنمو أخلاقياته الفاضلة، وعندئذٍ يصبح العمل بالتكليف له أمراً عادياً جداً يتحمله المكلف بيسر وسهولة.

فلو كان الشعور بالمسؤولية قوياً في كيان الإنسان لم تعد الموانع التي تعترضه سبباً في ضعفه وانهزامه أمامها، أما إذا فشلت مساعيه ولم تثمر في مواجهة العوامل السلبية فلا أقل بأضعف الإيمان من أن يحصل على رضا ضميره وراحة نفسه، وسيكون مرفوع الرأس أمام نفسه وأمام مجتمعه وذلك انه قدر على تحمّل خيبة الأمل والهزيمة من أجل أداء وظيفته، والقيام بدوره الإنساني ورسالته في الحياة.

وهنا أتذكر وصية هامة نصح بها أب ابنه فقال له:

يا بني: كن أنت فقيراً لا مال في يديك، ودع الآخين يثرون أمام عينيك بالخداع والتزوير والخيانة. عش أنت بلا جاه ولا مقام، ودع الآخرين يتسلّمون المناصب العالية بالخضوع السمج والإلحاح الملحّ. عانِ أنت الآلام والخيبة، ودع الآخرين يبلغون أمانيهم بالخضوع والتملّق. أعرض أنت عن طلب الجاه والسعي وراء الزعامة، ودع الآخرين يبلغون أمانيهم بالخضوع والتملق. أعرض أنت عن معاشرة كبار الرجال ممن يتفانى الآخرون للاقتراب منهم. من الأفضل لك أن تتقمّص لباس الفضيلة والتقوى. فإذا ابيضّ شعر رأسك ولم تلوث قطرة من سواد الفساد حسن صيتك وعلى شرفك فأدّ حقّ شكر الله، واستسلمْ بقلب مبتهج مسرور.

يتبين لنا من خلال هذه الوصية القيمة باختصار وكأن الأب يوصي ابنه بالبعد

عن حكام بني مروان وبني العباس والاقتراب من أهل البيت عليهم السلام وبعدئذٍ يستسلم للموت بقلب مبتهج مسرور.

وما نراه أن الثواب والعقاب أمر ضروري في أداء التكاليف. فكما يفيد التنبيه والتوبيخ واللوم في التقليل من المفاسد، كذلك لا مجال للجدال في أثر التقدير والترغيب في زيادة الرغبة في العمل والنشاط في أداء التكاليف وتحمل المسؤولية. وقال أحد المفكرين الاجتماعيين:

ويل لأمة يشوّق فيها الخونة ويهان فيها الخدمة ذوو الشعور بالمسؤولية ويبعدون عن المناصب الحساسة في المجتمع. أمة يبلغ فيها مقاصده من يجعل همه الخداع والمراوغة، ويصل الى مراده من لا يتمتع بأية قيمة من قيم الإنسانية. أمة يكون على من يريد أن يؤدي رسالة الإنسانية فيها أن يبقى محروماً مكظوماً من كل شيء. إن مثل هذا المجتمع لا يبقى فيه مجال لنمو الأخلاق وظهور الفضيلة.

والعصر العباسي شاهد على ذلك فالامام الكاظم عليه السلام العالم الفقيه، والتقي الورع، الذي أراد أن يؤدّي رسالة الاسلام الانسانية الحقّة سائراً على خطى جده سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال: «ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنما خرجت طلباً للإصلاح في أمة جدي» وهكذا فعل الامام الكاظم فعندما أراد أداء التكاليف والقيام بالرسالة الإنسانية أبعد عن منصب الخلافة وسجن وقيّد بالحديد، ودسّ إليه السمّ حتى خسر بموته الاسلام عالماً مجاهداً كبيراً، ومصلحاً إجتماعياً عظيماً.

وبديهي ان في مثل هذه البيئة التي تشبه البيئة العباسية ستتفشّى الأمراض الى أعماق النفوس، كالغش والفساد والتزوير والرياء؛ فالأخلاق السيئة تتصدر المجتمع بدلاً من النزاهة والأخلاق الفاضلة، فقليل جداً من الاشخاص الطاهرين الاتقياء يستطيعون العيش في مثل هذه البيئات الملوّثة، وأقل منهم الذين يستطيعون الاستمرار بطهارتهم وتقواهم، ويعيشون حياتهم الروحية بروح عالية وكريمة بين أناس طغاة أذلاء أنانيين سفهاء في هذه البيئة الملوّثة بالضغائن والأحقاد استمر الإمام الكاظم عليه السلام مجاهداً لم يداهن ولم يساير ولم يلين، بل قاوم الطغاة وألف الجماهير، وقام بتكاليفه مع ما لاقى من الاضطهاد والآلام والعذاب.

وهنا يتجلى معنى الصبر الجميل على النوائب والدواهي وهنا تبرز البطولات الخالدة على صفحات التاريخ. فأين مزار هارون الرشيد والمنصور والهادي؟؟ لقد اندثرت معالمهم، ومات ذكرهم معهم وبقي ذكر الإمام الكاظم كأبيه وأجداده حيّاً نضراً فوّاحاً، كلما ذكر محمد وآل محمد عليهم السلام. إن الشفاه التي ترتل اسمه عليه السلام كما ترتل آيات التنزيل، والقلوب التي تلهج بحبه، والعقول تتحرك بالاعجاب به، ليست وقفاً على المسلمين، ولا على الفئة الأولى من تاريخ الإسلام. فهذا أمر ينطبق على الذي يتفوّق بحال من الأحوال، أما أهل البيت فهم لكل حال ولكل الأجيال، والإمام الكاظم والأئمة جميعاً باقين في الوجود منذ أن أبدع الله الخير والمجد والكمال.

لقد ذهب الأمويون والعباسيون، وانطفأت قناديل حياتهم لأنهم كانوا محكومين بغرائز الأمرة والاستبداد وحب المال والضِياع، أما الأئمة المعصومون فقد تمسّكوا بشريعة الاسلام وأحكامه، ومبادىء الرسول الأعظم وأخلاقه، فكان لهم مواقف ثابتة حافظوا عليها، وحقوق معلنة ماتوا دونها. قالوا كلمة الحق فلهج بها التاريخ، ووقفوا المواقف الحقّة فنسخت عن صحفهم البطولات، وبقيت مشاعل صدقهم وشهادتهم كواكب مشرقة قبالة الشمس، لأنها تستوحي من نهج رسول الله، وتتوهج من نور الله.

الحقيقة ان الكل هباء، فوات، تراب، فناء، ما لم يتطلع إلى سمو الحقيقة العليا، إلى الله جل جلاله. فهو وحده الذي يبقى، اما الذي لا يحب البقاء في رحاب رضوان الله فهو ميّت جسداً وذكراً، وله جهنم وبئس المصير. فالموقف الموقف، والصدق الصدق، والعدل العدل، والحق الحق، والصبر وكظم الغيظ، وهذه كلها من شمائل أئمتنا التي بها فُضِّلوا على الناس، ومن أجلها استشهد الشرفاء الأتقياء. والإمام الكاظم ذلك العظيم، هزىء بالموت فإذا به ذو عرش على قلوب الملايين، يحتل قلوبهم، ويتملّك مشاعرهم ومحبّتهم وحسبه انه قال للموت هازئاً به: قد تجيىء أيها الموت في كل لحظة، وترمي بالأحياء في غيابات المجهول، ولكني لا أخافك ولا أهابك، أريد أن تموت أنت وأن أحيا أنا إلى الأبد أبقى قطرة في محيط التاريخ، واتجاوز السنين والعصور وأبقى مع الخالدين.

سجلت اسمي في قلب كل مؤمن، وعلقت ذكري على صدور أصحاب المواقف الحقة، وبقيت حياً في خواطر الأبطال الذين أحبوا الحياة الحرة الكريمة.

وبعد أربعة عشر قرناً ونيف نجد أنصار أهل البيت يسطع من نفوسهم ضوء يهدي ، وعطر يفوح، وصوت يهب سامعه إلى نجدة الحق، الحق المسلوب في فلسطين وفي جنوب لبنان والبقاع الغربي من الدولة المعتدية الغاشمة دولة الصهاينة. لكن المقاومة كانت لهم بالمرصاد حيث تلقنهم الدرس تلو الدرس كل يوم فهنيئاً لكل الشهداء الشرفاء الذين ضحّوا بدمائهم الطاهرة من أجل تحرير الأرض. لقد ساروا على الخط الحسيني وقاموا بتكاليفهم الشرعية بارادة صامدة قويّة، وقلب عامر بالايمان، ونفس مطمئنة.

كل ذلك في سبيل الإنسانية والحضارة الهادفة إلى الطمأنينة العامة والسعادة لجميع الناس، وكلتاهما جناحان نحو الصراط المستقيم.

إنّ الإنسان العادي في أي مجتمع يحتاج إلى تربية فردية صالحة في مجتمع اسلامي صالح يستند إليه، وهو بحاجة بلا ريب إلى نماذج بشرية صالحة تعرفه بأمثولة السلوك الصالح في حياته وتكون له قدرة تنير له الطريق إلى المثل العليا.

وهنا لا بد لنا من التحدث عن دور الايمان في الشعور بالمسؤولية.

دور الايمان في التعهد بالتكاليف:

إن التعهد بالتكاليف والشعور بالمسؤولية التي تحيط بالشؤون الاجتماعية من كل جهة، من أهم الأسس لسعادة الفرد والمجتمع على حد سواء، والتربية الاسلامية العريقة تبنى على أساس الشعور بالمسؤولية، فعلى كل مسلم أن يستند إلى ايمانه أولاً ثم إلى العمل الصالح ثانياً ليضمن سعادته في حياته، ولا يجعل شيئاً آخر سواهما مستنداً لسعادته الواقعية.

والإمام زين العابدين عليه السلام يصف تكاليف الإنسان في مختلف الشؤون فيقول «إعلم يرحمك الله: إن لله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركتها أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرفت بها بعضها أكبر من بعض».

والإسلام يرى أن كل أحد مسؤول عن أعماله، ولا يتحمل أي فرد مسؤولية الآخرين، قال تعالى: **﴿من اهتدى فانما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[١].

إن في أعماق الإنسان قوة تدعوه إلى أداء تكاليفه ومسؤولياته، وحينما يتقبل الإنسان دعوة ضميره ويبادر إلى أداء تكاليفه فإن تلك القوة الباطنية ستؤيده، وبعد فراغه من تكليفه تملأ نفسه سروراً وارتياحاً هذه القوة هي الضمير أو الوجدان الناشىء من أعماق فطرة الإنسان وهو الذي يحملنا على ترك الرذائل، والتمسّك بالأعمال الصالحات ولكن هل الضمير وحده يضمن تنفيذ الخير على يد الإنسان فيبعثنا على اتباع التعاليم الدينية ويكون مستنداً لاداء مختلف التكاليف؟؟ الحقيقة ان الضمير الأخلاقي بما له من أهمية في ضمان سعادة الإنسان فهو لا يتمكن في جميع الأوضاع والظروف أن يمنع سقوط الإنسان وانحرافه وعلينا بعد هذا ان نلتفت إلى دائرة عمل الضمير، حيث أن أحكامه تختلف باختلاف الظروف الزمانية، والعادات القومية، اختلافاً بيناً؛ فنشاط الضمير إنما هو في الدعوة إلى أمور قد أقر بحسنها وفضلها من قبل ذلك العرف والعادة والسنن الاجتماعية. فالمرفوض في أمة من الأمم قد يكون مفضّلاً ومحبّباً عند أمة أخرى على أساس سننها وأعرافها. ويدلنا التاريخ أن الشيطان قد زين في بعض أدوار الحياة البشرية أعمالاً هي من أقبح ما يكون في الواقع، ولكن تحت ستار الأعمال الصالحة، وتلقّاها الناس حينئذٍ بصفتها أعمالاً مقبولة لديهم.

قال تعالى: **﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾**[٢].

أضف إلى ذلك كله ان الضمير من دون أن يستند إلى مستند خاص لا يقدر على المقاومة في مواجهة كثير من أهواء النفس وحب المال والسلطان وطغيان الشهوات، وهو في ساحة كفاحه مع الغرائز يفتقد شيئاً من قوة مقاومته، وربما

(١) سورة الاسراء، الآية ١٥.

(٢) سورة الكهف الآية ١٠٣ ـ ١٠٤.

سقط أمام أول مجاهدة لميول النفس الأمارة بالسوء، فبامكانها ان تقلب الحقائق وتخدع الضمير وتخمد من نور المصباح المضيء الذي ينور باطن الإنسان.

وهنا يأتي دور الإيمان، الإيمان الذي يهدي الضمير ويرشد الوجدان، ويكون مستنداً صحيحاً له، وحاكماً أميناً على العادات والتقاليد والأعراف، ولا يتكلف بتنفيذ أوامر العرف والسنن الاجتماعية.

إن الذين تيقظت في ذواتهم فطرة التوحيد وآمنوا بالله ايماناً صادقاً قد استجابوا لنداء ضمائرهم استجابة تامة، ويرون اتباعها إطاعة للهداية التكوينية الآلهية، فلا يثقل على كواهلهم حمل التكاليف، بل يمنحهم قوة فاعلة ونشاطاً مباركاً فيبادرون إلى أداء تكاليفهم بكل محبّة ونشاط.

أسباب اعتقال الامام عليه السلام.

ما هي الأسباب التي دفعت بهارون الرشيد الى اعتقال الامام عليه السلام؟

١ ـ احتجاج الامام عليه السلام

من الأسباب التي حفّزت هارون الرشيد لاعتقال الامام موسى الكاظم عليه السلام وزجّه في غياهب السجون، احتجاجه عليه بأنه أولى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من جميع المسلمين، فهو أحد أسباطه ووريثه، وأنه أحق بالخلافة من غيره، وقد جرى احتجاجه معه عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك عندما زاره هارون وقد احتفَّ به الأشراف والوجوه وقادة الجيش وكبار الموظفين في الدولة، فقد أقبل بوجهه على الضريح المقدّس وسلّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

«السلام عليك ابن العم».

وبذلك بدا الاعتزاز والافتخار لهارون على غيره برحمه الماسة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه نال الخلافة لهذا السبب، قربه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الإمام الكاظم عليه السلام فتقدم أمام الجمهور وسلّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

«السلام عليك يا أبتِ».

عندها استولت على الرشيد موجات من الاستياء وكاد يفقد صوابه لأن الامام عليه السلام قد سبقه الى ذلك المجد، فاندفع قائلاً بصوت مشحون بالغضب: «ثم قلت إنك أقرب الى الرسول صلى الله عليه وآله منّا؟!».

فأجابه الامام عليه السلام بهدوء كعادته وبجواب مفحم لم يتمكن الرشيد من الرد عليه. «لو بعث رسول الله حيّاً وخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه الى ذلك؟ فقال هارون:

سبحان الله!! وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم.

فانبرى الامام وبيّن له الوجه الصحيح في قربه من النبي صلى الله عليه وآله دونه قائلاً:

«لكنه لا يخطب منّي ولا أزوجه، لأنه والدنا لا والدكم، فلذلك نحن أقرب إليه منكم» وتابع عليه السلام مدعماً رأيه ببرهان آخر فقال لهارون:

«هل كان يجوز له أن يدخل على حرمك وهنّ مكشفات؟؟».

فقال هارون: لا.

فقال الامام عليه السلام: لكن له أن يدخل على حرمي، ويجوز له ذلك، وهذا يعني أننا أقرب إليه منكم. وبذلك يكون الامام قد سدّ أمامه كل منافذ الدفاع بحججه الدامغة بعد أن ألبسه ثوب الفشل، وبيّن بطلان ما ذهب إليه، فهو أحق منه بالخلافة لأنه سبطه ووارثه.

عندها اندفع هارون حانقاً وأمر باعتقال الامام عليه السلام وزجّه في السجن[1] ثم سأله الرشيد قبل دخوله السجن:

لمَ فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة بنو عبد المطلب، ونحن وأنتم واحد، إنا بنو العباس، وأنتم ولد أبي طالب وهما عمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابتهما منه سواء؟

(١) راجع: أخبار الدول ص١١٣، وفيات الأعيان ج١ ص٣٩٤، الاتحاف بحب الأشراف ص٥٥، تذكرة الخواص ص٢٥٩.

فقال عليه السلام : نحن أقرب إليه منكم، قال هارون: وكيف ذلك؟

فقال عليه السلام : لأن عبدالله وأبا طالب لأب وأم، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبدالله، ولا من أم أبي طالب.

قال هارون: فلم ادعيتم أنكم ورثتم النبي صلى الله عليه وآله والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد توفى أبو طالب قبله. والعباس عمه حيّ؟

فقال عليه السلام : إن رأى أمير المؤمنين ان يعفيني عن هذه المسألة ويسألني عن كل باب سواه يريد.

قال: لا، أوتجيب. فقال عليه السلام : فآمنّي. قال: آمنتك قبل الكلام.

فقال عليه السلام : إن في قول علي بن أبي طالب عليه السلام : إنه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أو أنثى لأحد سهم إلا الأبوين، والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنّة، إلا إن تيماً وعدياً وبني أمية قالوا: العم والد، رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن قال بقول علي من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هذا نوح بن دارج يقول في هذه المسألة بقول علي، وقد حكم به، وقد ولاّه أمير المؤمنين المصرين:

الكوفة والبصرة، وقضى به.

فأمر هارون الظالم بإحضار من يقول خلاف قوله، منهم: سفيان الثوري وابراهيم المازني، والفضيل بن عياض، فشهدوا جميعهم انه قول علي عليه السلام في هذه المسألة.

فقال لهم: لم لا تفتون وقد قضى نوح بن دارج؟ فقالوا:

جسر وجبنا، وقد أمضى أمير المؤمنين قضيته بقول قدماء العامة عن علي أقضانا، وهو اسم جامع، لأن جميع ما مدح به النبي صلى الله عليه وآله أصحابه من القرابة، والفرائض، والعلم، داخل في القضاء.

قال هارون: زدني يا موسى.

فقال عليه السلام : المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك.

فقال هارون: لا بأس.

فقال عليه السلام: النبي صلى الله عليه وآله لم يورث من لم يهاجر ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر. وعمّي العباس لم يهاجر[1].

٢ ـ تعيينه لفدك[2]:

وسبب آخر أغاظ نفس هارون على الإمام عليه السلام ودعاه الى اعتقاله، حتى والتخلص منه، تعيينه لفدك بأنها تشمل أكثر المناطق الإسلامية وذلك حينما سأله هارون عنها ليرجعها إليه فلم يرضَ عليه السلام إلا أن يأخذها بحدودها، فقال الرشيد:

ـ ما هذه الحدود؟ فقال عليه السلام: إن حددتها لم تردها لنا.

فأصرّ الرشيد عليه أن يبينها له قائلاً: بحق جدك إلاّ فعلت.

عند ذلك لم يجد الامام بداً من إجابته، فقال له:

«أما الحد الأول: فعدن فلما سمع الرشيد ذلك تغيّر وجهه.

وأما الحدّ الثاني: سمرقند. فأربد وجه الحاكم الظالم واستولت عليه موجة

(١) الاحتجاج ج٢ ص١٦٣.

(٢) فدك: قرية في الحجاز على مراحل من المدينة جاء الاسلام وهي بأيدي اليهود وبعد فتح خيبر ألقى الله جلّ جلاله في قلوب أهلها الرعب فصالحوا النبي صلى الله عليه وآله على النصف من غلاّتها ونزل جبرائيل عليه السلام بالآية الكريمة ﴿وآت ذي القربى حقه﴾ ثم طلب من النبي صلى الله عليه وآله أن يعطي فدكاً لفاطمة عليها السلام عوضاً عن أموال أمها خديجة التي تمَّ إنفاقها في سبيل الدعوة الاسلامية.

بقيت فدك بيد الزهراء عدة سنوات في حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهي تنفق ما يحصل منها على الفقراء دون أن تدّخر شيئاً لنفسها أو لأهل بيتها.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أخذها أبو بكر معتقداً أن أخذها يضعف جانب الامام علي عليه السلام فطالبت الزهراء عليها السلام باسترجاعها حتى انها خطبت في مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله خطبتها المشهورة التي كادت تزلزل بالحاكمين.

ولقد عقد العلامة الكبير ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة فصلاً مطولاً عن فدك. ومما جاء فيه قال:

إني سألت علي ابن الفارقي ـ من علماء بغداد الكبار ـ هل كانت فاطمة صادقة في دعواها؟

قال: نعم. فقلت له: فلماذا لم يرجع فدكاً إليها؟

فقال: لو أرجعها لجاءت في اليوم الثاني وطلبت منه الخلافة.

من الغضب، لكن الامام عليه السلام بقي مستمراً دون أن يأبه له.

والحد الثالث: افريقيا، فاسودّ وجه الرشيد وقال بصوت يقطر غيظاً «هيه» ثم عيّن الامام عليه السلام الحد الرابع والأخير قائلاً:

والحد الرابع: سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية.

فثار الرشيد ولم يملك أعصابه دون أن قال:

ـ لم يبق لنا شيء!!

ـ فقال الامام عليه السلام: قد علمت أنك لا تردّها.

وتركه الامام عليه السلام والكمد يحزّ في نفسه، فأضمر له الشر منتظراً الوقت المناسب للتنكيل به[1].

لقد بيّن الامام عليه السلام للرشيد أن العالم الاسلامي بجميع أقاليمه من عدن الى سيف البحر ترجع سلطته له، وان الرشيد ومن سبقه من الخلفاء قبله قد استأثروا وغصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ حرص الرشيد على الملك:

كان هارون الرشيد يحرص حرصاً شديداً على ملكه، يضحّي في سبيل السلطة جميع المثل والقيم والمقدسات. وقد عبّر عن مدى تفانيه في حب السلطة بكلمته الحقيرة التي تناقلتها الأجيال وهي:

«لو نازعني رسول الله صلى الله عليه وآله على السلطة لأخذت الذي فيه عيناه».

أجل لو نازعه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لأخذ الذي فيه عيناه، فكيف لو نازعه الإمام عليه السلام؟! فهل يمكن أن يخلّي عن سراحه؟ هذا والذي يحزّ في نفسه إجماع الناس على حب الإمام عليه السلام وتقديرهم له.

لذلك كان يخرج متنكراً بغير زيّه ليسمع أحاديث العامة، ويقف على رغبتهم واتجاههم، فلا يسمع إلاّ الذكر العاطر، والحبّ الجامع والثناء على الإمام عليه السلام.

كل الناس يحبونه، كل الناس يرغبون في أن يتولّى شؤونهم، فلذلك أقدم

---

(١) المناقب ج٢ ص٣٨١.

على ارتكاب فعلته الشنعاء والموبقة حتى انتهى به الأمر الى قتل الامام عليه السلام .

٤ ـ بغضه للعلويين :

ورث هارون الرشيد بغضه للعلويين عن آبائه الذين نكّلوا بهم، وصبّوا عليهم ألواناً من العذاب والاضطهاد والقتل والتشريد. فمنهم من ساقوهم الى السجون، ومنهم الى القبور. طاردوهم في كل ناحية حتى هربوا هائمين على وجوههم يلاحقهم الخوف والفزع والرعب.

أما هارون فقد أترعت نفسه ببغض العلويين فزاد على أسلافه جوراً وظلماً وإرهاباً حتى أشاع الحزن والثكل والحداد في كل بيت من بيوتهم. استعمل جميع إمكانياته للبطش بهم، ففرض عليهم الإقامة الجبرية في بغداد، وجعلهم تحت المراقبة الدقيقة، ولم يسمح للاتصال بهم، وحرمهم من جميع حقوقهم الاجتماعية. حتى أنه دفن البعض منهم أحياء.

وطبيعي أنه لا يترك عميد العلويين الامام الكاظم عليه السلام في دعة واطمئنان، ولم يرق له محبة الجماهير للإمام، فنكّل به ودفعه لؤمه وعداؤه الموروث الى سجنه وحرمان الأمة الاسلامية من الاستفادة بعلومه، ومن سموّ نصائحه وصواب توجيهاته.

لقد استقبل إمامته التي استمرت خمسة وثلاثين عاماً في هذا الجور المشحون بالحقد والكراهية لأهل البيت بصورة عامة، فلزم جانب الحذر واعتصم بالكتمان إلا عن خاصته. حتى ان رواته قلّما كانوا يروون عنه باسمه الصريح. لكن كل ذلك لم ينجيه من سجن الطاغية هارون.

٥ ـ الوشاية بالإمام عليه السلام :

ضمائر رخيصة انعدمت من نفوسهم الإنسانية، فعمد فريق منهم فباعوا دينهم بثمن رخيص، فوشوا بالامام عليه السلام عند الطاغية هارون ليتزلّفوا إليه بذلك وينالوا في دنياهم الفانية بعض جوائزه.

وقد بلي بهم الاسلام والمسلمون فاستعان الظالمون بهؤلاء الأوغاد في جميع مراحل التاريخ على تنفيذ خططهم الإرهابية الرامية الى إشاعة الظلم والجور

والفساد في الأرض. وقد نرى بعضاً منهم في هذه الأيام. كانت وشاية هؤلاء المجرمين بالامام عليه السلام ذات طوابع متعددة.

أ ـ طلبه للخلافة:

سعى فريق من باعة الضمير بالوشاية على الامام عليه السلام عند هارون فأوغروا صدره، وأثاروا كوامن الحقد عليه، فقالوا: انه يطالب بالخلافة، ويكتب الى سائر الأقطار والأمصار الاسلامية يدعوهم الى نفسه، ويحفّزهم الى الثورة ضد الحكومة. وكان في طليعة هؤلاء يحيى البرمكي.

قال ليحيى بن أبي مريم: ألا تدلّني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فأوسع له منها؟

فقال له: نعم، ذاك علي بن اسماعيل بن جعفر، فأرسل خلفه يحيى وكان آنذاك في الحج، فلما اجتمع به قال له يحيى: أخبرني عن عمّك موسى، وعن شيعته وعن المال الذي يحمل إليه.

فقال: عندي الخبر وحدثه بما يريد، فطلب منه أن يرحل معه الى بغداد ليجمع بينه وبين هارون، فأجابه الى ذلك. فلما سمع الامام الكاظم عليه السلام بسفره مع يحيى بعث خلفه فقال له: بلغني انك تريد السفر؟

ـ قال: نعم. فقال له الإمام: الى أين؟ فقال: الى بغداد. فقال له الإمام: ما تصنع؟ فقال: عليَّ دين وأنا مملق.

ـ أنا أقضي دينك، وأكفيك أمورك.

فلم يلتفت الى الامام لأن الشيطان قد وسوس له فأجاب داعي الهوى، وترك الامام وقام من عنده، فقال عليه السلام له:

لا تؤتم أولادي، ثم أمر عليه السلام له بثلاثماية دينار وأربعة آلاف درهم، وقال عليه السلام: والله ليسعى في دمي ويؤتم أولادي فقال له أصحابه:

«جعلنا الله فداك فأنت تعلم هذا من حاله، وتعطيه؟!!

فقال عليه السلام: حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

ان الرحم إذا قطعت فوصلت قطعها الله.

وخرج علي يطوي البيداء حتى انتهى الى بغداد، فدخل على الرشيد فقال له بعد السلام عليه: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلّم عليه بالخلافة.

وقيل انه قال له: إن الأموال تحمل إليه من كل النواحي، وان له بيوت أموال، وانه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار، وسماها «اليسيريّة» فلما سمع هارون هذا الكلام أحرقه الغيظ وفقد صوابه، وأمر لعلي بمائتي ألف درهم على أن يستحصلها من بعض نواحي المشرق فمضت الرسل لجباية المال إليه؛ فدخل العميل الذي باع آخرته بدنياه بيت الخلاء فزحر فيه وسقط أمعاؤه. فأخرج منه وهو يعاني آلام الموت فقيل له: إن الأموال قد وصلتك فقال:

ما أصنع بها والموت قد وصلني معها؛ وقيل انه رجع الى داره فهلك فيها في تلك الليلة التي اجتمع بها[1] مع الطاغية هارون. فقد ذهب المال منه وبقي عليه الخزي والعذاب الأليم.

ب ـ جباية الأموال:

وسبب آخر أثار كوامن الغيظ والحقد في نفس هارون، وهو جباية الأموال، عمد بعض الأشرار باخباره ان الامام قد اشترى ضيعة تسمى (اليسيريّة) جمعها عليه السلام من الأموال التي تجبى إليه عن طريق الخُمس من كل صعيد فكمن للإمام الشرّ ليوقع به.

وكانت سياسته المكشوفة تجاه العلويين تقضي بفقرهم ووضع الحصار الاقتصادي عليهم، فان فقرهم أجدى له وأنفع من غناهم ـ كما أوصى ولده المأمون ـ لأن المال كان ولم يزل عنصراً هاماً في سياسة الأشخاص وسياسة الدول، فهو سلاح ذو حدين يستعمل للمصالح الخيرية كما يستعمل للشر عن طريق الجماعة الباغية.

(١) عيون أخبار الرضا، الغيبة للشيخ الطوسي، البحار، المناقب، وقيل ان الساعي به هو محمد بن اسماعيل.

وقد ذهب ابن الصباغ الى أن هذه الوشاية من جملة الأسباب التي دعت الى سجن الامام عليه السلام [1].

٦ ـ سموّ شخصية الإمام عليه السلام:

كـان الامـام عليه السلام كمـا هـو معـروف مـن قبـل علمـاء عصـره، مـن ألمـع الشخصيـات الاسـلاميـة، فهـو إمـام معصـوم ابـن إمـام معصـوم، وأحـد أوصيـاء الرسول صلى الله عليه وآله على أمته. وقد أجمع المسلمون على اختلاف مذاهبهم على إكبار الإمام وتقديره. فكلهم نهلوا من علومه وأخلاقه، وكلهم تمثلوا بتقواه وورعه وكلهم أحبوه لسخائه وكرمه. حتى ان أعداءه كانوا يحترمونه ويبجلونه، وهارون الرشيد نفسه يبجّله ويعتقد ضميرياً بأن الامام عليه السلام أولى بالخلافة الاسلامية منه، كما حدّث بذلك لابنه المأمون.

فقد قال لندمائه: أتدرون من علّمني التشيّع؟

فانبروا جميعاً قائلين: لا والله ما نعلم. . فقال: علّمني ذلك الرشيد.

فقالوا: كيف ذلك؟ والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟!

قال: كان يقتلهم على المُلك لأن المُلك عقيم، ثم أخذ يحدّثهم عن ذلك قائلاً: لقد حججت معه سنة فلما انتهى الى المدينة قال: لا يدخل عليّ رجل من أهلها أو من المكيّين سواء كانوا من أبناء المهاجرين والأنصار أو من بني هاشم حتى يعرّفني بنسبه وأسرته، فأقبلت إليه الوفود تترى وهي تعرّف الحاجب بأنسابها، فيأذن لها، وكان يمنحها العطاء حسب مكانتها ومنزلتها، وفي ذات يوم أقبل الفضل بن الربيع حاجبه يقول له: رجل على الباب، زعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

فلما سمع هارون بهذا الاسم الشريف أمر جلساءه بالوقار والهدوء، ثم قال لرئيس تشريفاته: إئذن له، ولا ينزل إلاّ على بساطي.

وأقبل الإمام عليه السلام وقد وصفه المأمون فقال: إنه شيخ أنهكته العبادة،

(١) الفصول المهمة، ص٢٥٢.

والسجود يكلم وجهه. أما هارون فقام ولم يقبل إلا أن ينزل الامام عن دابته على بساطه، ونظر إليه بكل إجلال وإعظام فقبّل وجهه وعينيه، وأخذ بيده حتى صيّره في صدر مجلسه والحجّاب وكبار القوم محدقون به. ثم أقبل يسأله عن أحواله ويحدّثه. ثم قال له:

ـ يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟ قال الامام: يزيدون على الخمسمائة.

ـ أولاد كلهم؟ قال الامام عليه السلام: لا، أكثرهم مواليّ وحشمي فأما الأولاد فلي نيّف وثلاثون. ثم بيّن له عدد الذكور والإناث.

ـ لِمَ لا تزوّج النسوة من بني عمومتهن؟ قال الامام: اليد تقصر عن ذلك.

ـ فما حال الضيعة؟ قال الامام: تعطي في وقت وتمنع في آخر.

ـ فهل عليك دين؟ قال الإمام عليه السلام: نعم.

ـ كم؟ قال الامام عليه السلام: نحو من عشرة آلاف دينار.

ـ يا ابن العم، أنا أعطيك من المال، ما تزوّج به أولادك، وتعمر به الضياع.

ـ قال الامام عليه السلام: وصلتك رحم يابن العم، وشكر الله لك هذه النية الجميلة، والرحم ماسة واشجة، والنسب واحد، والعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصنو أبيه، وعم علي بن أبي طالب وصنو أبيه، وما أبعدك الله من أن تفعل ذلك وقد بسط يدك، وأكرم عنصرك، وأعلى محتدك.

ـ أفعل ذلك يا أبا الحسن، وكرامة.

فقال له الامام عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ قد فرض على ولاة العهد أن ينعشوا فقراء الأمة، ويقضوا على الغارمين، ويؤدوا عن المثقل ويكسوا العاري، وأنت أولى من يفعل ذلك.

ـ أفعل ذلك يا أبا الحسن.

فانصرف الامام عليه السلام وقام هارون فودّعه وقبّل وجهه وعينيه، ثم التفت الى أولاده فقال لهم: قوموا بين يدي عمكم وسيدكم، وخذوا بركابه وسووا عليه

ثيابه، وشيّعوه الى منزله، فانطلقوا مع الامام بخدمته وأسرّ الامام عليه السلام الى المأمون فبشّره بالخلافة وأوصاه بالإحسان الى ولده، ولما انتهوا من خدمة الامام عليه السلام وإيصاله إلى داره. قال المأمون كنت أجرأ ولد أبي عليه، فلما خلا المجلس قلت له:

«يا أمير المؤمنين، مَن هذا الرجل الذي عظّمته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له»؟

قال هارون: هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده.

قال المأمون: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟

قال هارون: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام الحق، والله يا بني: إنه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعتني أنت هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينيك فان المُلك عقيم.

فيا سبحان الله عرف الحق ونطق به، ثم انحرف عنه حباً بالتملك والسلطان.

اهتم هارون بدنياه ونسي أو تناسى اليوم الآخر، يوم لا ينفع لا مال ولا ولد ولا سلطان!!

بقي هارون في يثرب عدة أيام، ولما أزمع على الرحيل منها أمر للإمام بصلة ضئيلة جداً قدرها مائتا دينار، وأوصى الفضل بن الربيع أن يعتذر له عند الإمام. فانبرى إليه ولده المأمون مستغرباً من قلّة صلته مع كثرة تعظيمه وتقديره الزائد له قائلاً:

«يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار، وسائر قريش وبني هاشم، ومن لا يعرف نسبه خمسة آلاف دينار، وتعطي الامام موسى بن جعفر وقد عظمته وأجللته مائتي دينار وهي أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس؟ فغضب هارون وصاح على ابنه قائلاً: «اسكت، لا أم لك، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت آمنه أن يضرب وجهي بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم»[1].

(١) البحار ج١١ ص٢٧٠ ـ ٢٧٢.

يتوضح من خلال هذه الرواية وغيرها اعتقاد هارون بإمامة موسى عليه السلام وأنه خليفة الله في أرضه، وحجّته على عباده، وان الخلافة الاسلامية من حقوقه الخاصة، وهو أولى بها منه، لكن الذي حدث عكس ذلك لأن حب الدنيا وزهوة السلطان هو الذي سلبها منه ومن آبائه من قبله. فالمُلك عقيم، كما كشف هارون عن نفسه في حديثه مع ابنه المأمون، السبب الأساسي في حرمانه الامام الكاظم عليه السلام من عطائه حسب منزلته. عقدة الخوف تطارده دائماً، وهي انتفاضة الامام وخروجه عليه إن تحسنت أحواله الاقتصادية.

وهذا هو الحرب الذي تستعمله الدول المستعمرة مع خصومها اليوم من أجل انهاكها وإضعافها. لكن الليل سوف يزول مهما تأخر طلوع الصباح.

كان الرشيد يعلم بمكانة الامام الاجتماعية، وكفاءته العلمية، ومحبّة الناس له، وتقديرهم لمواهبه، وهو نفسه يعتقد ان الامام وارث علوم الأنبياء، وخليفة الله الحق على عباده، فكان يسأله دائماً عما يجري من الأحداث، والامام عليه السلام لم يبخل عليه بأي جواب.

وقد سأله عن الأمين والمأمون، فأخبره بما يقع بينهما، فحزّ ذلك في نفسه، وتألّم كثيراً.

روى الأصمعي قال: دخلت على الرشيد، وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولاً، فسلّمت عليه بالخلافة، فأومأ لي بالجلوس قريباً منه فجلست، ثم نهضت، فأومأ لي ثانية أن أجلس فجلست حتّى خفّ الناس، ثم قال لي: «يا أصمعي ألا تحب أن ترى محمداً وعبدالله ابنيَّ؟».

قلت: «بلى يا أمير المؤمنين، إني لأحب ذلك، وما أردت القصد إلاّ إليهما لأسلّم عليهما».

أمر الرشيد بإحضارهما، فأقبلا حتى وقفا على أبيهما، وسلّما عليه بالخلافة، فأومأ لهما بالجلوس، فجلس محمد عن يمينه، وعبدالله عن يساره ثم أمرني بمطارحتهما الأدب، فكنت لا ألقي عليهما شيئاً في فنون الأدب إلاّ أجابا فيه، وأصابا، فقال الرشيد: كيف ترى أدبهما؟

ـ يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما، وجودة فهمهما، أطال الله بقاءهما ورزق الله الأمة من رأفتهما وعطفهما.

فأخذهما الرشيد وضمّهما الى صدره، وسبقته عبرته فبكى حتى انحدرت دموعه على لحيته، ثم أذن لهما في القيام فنهضا، وقال:

«يا أصمعي كيف فهما إذا ظهر تعاديهما، وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما، حتى تسفك الدماء، ويود كثير من الأحياء أنهما كانا موتى» فبهر الأصمعي من ذلك وقال له:

«يا أمير المؤمنين هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما!!».

فقال الرشيد بلهجة الواثق بما يقول:

«لا، بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما..».

قال المأمون: كان الرشيد قد سمع جميع ما يجري بيننا من موسى بن جعفر[1].

إن علم الرشيد بسموّ منزلة الإمام، وبما تذهب إليه جموع المسلمين من القول بإمامته هو الذي أثار غضبه، وزاد في أحقاده عليه، مما دعاه الى زجّه في السجن أعواماً طويلة.

كان الحقد على العلويين عامة والإمام موسى عليه السلام خاصة من مقومات ذات الرشيد، ومن أبرز صفاته النفسية، وكان يحمل حقداً لكل شخصية مرموقة لها المكانة العليا في مجتمعه، ولم يرق له بأي حال أن يسمع الناس يتحدّثون عن أي شخص يتمتع بمكانة عليا، محاولاً احتكار الذكر الحسن لنفسه ولذاته؛ لكن الليل لا يستطيع منع الفجر من الطلوع، فالفجر يطلع والشمس تسطع بنورها الكاشف، والجمهور يميّز بين الظلام والنور.

٧ ـ صلابة موقف الامام عليه السلام:

كان صلحاء الأمة يقاومون الظلم في كل عهوده وفي كل ألوانه، لأن ذلك

(١) حياة الحيوان للدميري ج١ ص٧٧.

واجب شرعي أوصى عليه الله عز وجل في كتابه، وأوصى عليه الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة، وقاومه الأئمة عليهم السلام كل واحد منهم حسب الظرف المناسب له. قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾[1].

والامام موسى الكاظم ابن أبيه وأجداده عليهم السلام كان موقفه مع هارون الرشيد الطاغية الظالم موقفاً سلبيّاً، تمثلت فيه صلابة الحق وصرامة العدل.

فقد حرَّم على شيعته التعاون مع السلطة الحاكمة بأي وجه من الوجوه.

من ذلك ما قاله لصاحبه صفوان وكان صاحب جمال يكريها لهارون أيام حج بيت الله الحرام، أفهمه ان التعامل مع الظالمين حرام، فاضطرّ صفوان لبيع جماله، فعرف هارون، مما دفعه الى الحقد على صفوان وهمّ بقتله.

وكذلك منع الامام عليه السلام زياد بن أبي سلمة من وظيفته في بلاط هارون عملاً بقول الرسول الأكرم ﷺ، عن أبيه الصادق عن أبيه، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «قال رسول الله ﷺ: من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله»[2].

لقد شاعت في الأوساط الاسلامية فتوى الامام الكاظم بحرمة الولاية من قبل هارون الطاغية وأضرابه من الحكام الظالمين، فأوغر ذلك قلب هارون وساءه الى أبعد الحدود، فترقّب له ساعة الوقوع به.

ونوجز القول: ان موقف الامام مع هارون كان موقفاً صريحاً واضحاً، لم يصانع ولم يتسامح معه على الإطلاق.

فقد دخل عليه في بعض قصوره الأنيقة والفريدة في جمالها في بغداد، فانبرى إليه هارون وقد أسكرته نشوة الحكم قائلاً:

ما هذه الدار؟ فأجابه الامام عليه السلام غير مكترث بسلطانه وجبروته قائلاً: «هذه دار الفاسقين» قال الله تعالى في كتابه العزيز:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٧٣.

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق وإنْ يرَوْا كلَّ آية لا يُؤمنوا بها وإن يَروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾[1].

لما سمع هارون هذا الكلام سرت الرعدة في جسمه، وامتلأ قلبه غيظاً فقال للإمام: دار من هي؟.

ـ هي لشيعتنا فترة، ولغيرهم فتنة.

ذلك ان المؤمن كل ما يملك هو وكيل عليه يملكه فترة ويتركه لغيره هو زاهد في الدنيا، والشيعة هم كذلك وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لقب (بأبي تراب) وخاطب الدنيا قائلاً «فقد طلّقتك ثلاثاً فلا رجعة لك عندي».

ـ ثم سأله هارون: ما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

ـ أجابه الامام: أخذت منه عامرة، ولا يأخذها إلاّ معمورة.

ـ أين شيعتك؟

ـ فتلا الإمام قول الله عزّ وجلّ: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة﴾[2].

فثار هارون ثورة عارمة وقال بصوت يقطر غضباً:

ـ أنحن كفار؟.

ـ لا، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿ألم ترَ إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار﴾[3].

فغضب هارون وأغلظ على الأمام عليه السلام في كلامه[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة البيّنة، الآية: ١.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.
(٤) البحار ج١١، ص٢٧٩.

من الواضح والمعروف مسبقاً ان موقف الإمام عليه السلام مع هارون موقف واضح وصريح لا يقبل الرد ولا يقبل المهادنة، لأنّ هارون مغتصب لمنصب الخلافة التي هي من حق علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين من بعده. فالعباسيون اختلسوا السلطة، وخانوا الأمانة والعهد لقد استلموا السلطة باسم العلويين، وتبنّوا شعارهم، ولما جلسوا على كرسي الحكم خانوا العهد، واشتروا به وبأَيمانهم ثمناً قليلاً.

قال تعالى: **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾**(١).

هذه هي أهم الأسباب التي دعت هارون الرشيد إلى اعتقال الإمام عليه السلام.

وأيضاً: قال الفضل بن الربيع: حج هارون الرشيد وابتدأ بالطواف، ومنعت العامة من ذلك لينفرد وحده، فبينما هو في ذلك إذ ابتدر اعرابي وجعل يطوف معه.

فقال الحاجب: تنح يا هذا عن وجه الخليفة: فانتهره الأعرابي وقال: إن الله يساوي بين الناس في هذا الموضع فقال: **﴿سواء العاكف فيه والباد﴾**(٢).

فأمر الحاجب بالكف عنه.

ولما فرغ الأعرابي من صلاته استدعاه الحاجب وقال له: أجب أمير المؤمنين

فقال الأعرابي: ما لي إليه حاجة فأقوم إليه، بل إن كانت الحاجة له فهو بالقيام إلي أولى. قال: صدق.

فمشى إليه هارون وسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال هارون: إجلس يا اعرابي. فقال الأعرابي:

ما الموضع لي فتستأذني فيه بالجلوس، وإنما هو بيت الله نصبه لعباده، فإن أحببت فاجلس، وان احببت ان تنصرف فانصرف.

(١) آل عمران الآية ٧٧، لا خلاق لهم: ليس لهم نصيب من الخير.
(٢) سورة الحج، الآية ٢٥.

فجلس هارون وقال: ويحك يا اعرابي مثلك من يزاحم الملوك؟!

قال: نعم، وفي مستمع. قال هارون: فاني سائلك، فان عجزت آذيتك.

قال الأعرابي: سؤالك هذا سؤال متعلم، أو سؤال متعنّت؟

قال هارون: بل سؤال متعلّم.

قال الأعرابي: إجلس مكان السائل من المسؤول وسل، وأنت مسؤول.

فقال هارون: ما فرضك؟

قال الأعرابي: إن الفرض رحمك الله واحد، وخمس، وسبع عشرة، وأربع وثلاثون، وأربع وتسعون، ومائة وثلاث وخمسون على سبع عشرة، ومن اثني عشر واحد، ومن أربعين واحد، ومن مائتين خمس، ومن الدهر كله واحد، وواحد بواحد.

فضحك الرشيد وقال: ويحك أسألك عن فرضك وأنت تعد علي الحساب؟!.

قال الأعرابي: أما علمت أن الدين كله حساب، ولو لم يكن الدين كله حساب لما اتخذ الله الخلائق حسابا، ثم قرأ: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾[(١)].

قال هارون: فبين لي ما قلت وإلا أمرت بقتلك بين الصفا والمروة؟ فقال الحاجب: تهبه لله ولهذا المقام.

فضحك الأعرابي من قوله. فقال هارون: مما تضحك يا اعرابي؟

قال: تعجّباً منكما، إذ لا أدري من الأجهل منكما، الذي يستوهب أجلاً قد حضر، أو الذي استعجل أجلاً لم يحضر؟.

فقال هارون: فسر لنا ما قلت.

قال الأعرابي: أما قولي الفرض واحد فدين الإسلام كله واحد، وعليه خمس صلوات، وهي سبعة عشر ركعة، وأربع وثلاثون سجدة، وأربع وتسعون

(١) سورة الإنبياء، الآية ٤٧.

تكبيرة، ومائة وثلاث وخمسون تسبيحة، وأما قولي من اثني عشر واحد: فشهر رمضان من اثني عشر شهر، واما قولي من الأربعين واحد: فمن ملك أربعين ديناراً أوجب الله عليه ديناراً، وأما قولي من مائتي خمسة: فمن ملك مائتي درهم أوجب الله عليه خمسة دراهم.

وأما قولي فمن الدهر كله واحد: فحجة الإسلام، وأما قولي واحد بواحد: فمن أهرق دماً من غير حق، وجب اهراق دمه، قال الله تعالى: **﴿وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالأنف والاذن بالاذن، والسن بالسن والجروح قصاص..﴾**[1].

فقال الرشيد: لله درك، وأعطاه بدرة.

فقال الأعرابي: فبم استوجبت منك هذه البدرة يا هارون، بالكلام أم بالمسألة؟

قال هارون: بالكلام.

قال الأعرابي: فاني أسألك عن مسألة، فان أتيت بها كانت البدرة لك، تصدّق بها في هذا الموضع الشريف، وإن لم تجبني عنها أضفت إلى البدرة بدرة أخرى لأتصدق بها على فقراء الحي من قومي.

فأمر هارون بايراد أخرى وقال: سل عما بدا لك.

فقال الأعرابي: أخبرني عن الخنفساء تزق أم ترضع ولدها؟

فغضب هارون وقال: ويحك من يسأل عن هذه المسألة؟!

فقال الأعرابي: سمعت ممن سمع من رسول الله ﷺ يقول:

من ولي أقواماً وهب له من العقل كعقولهم، وأنت إمام هذه الأمة يجب أن لا تسأل عن شيء من أمر دينك ومن الفرائض، إلا أجبت عنها، فهل عندك جواب؟.

قال هارون: رحمك الله لا، فبين لي ما قلته وخذ البدرتين.

فقال الأعرابي: إن الله تعالى لما خلق الأرض خلق دبابات الأرض التي من

(١) سورة المائدة، الآية ٤٥.

غير فرث ولا دم، خلقها من التراب، وجعل رزقها وعيشها منه، فإذا فارق الجنين أمه لم تزقه ولم ترضعه وكان عيشها من التراب. فقال هارون: والله ما ابتلي أحد بمثل هذه المسألة، وأخذ الأعرابي البدرتين وخرج، فتبعه الناس وسألوا عن اسمه، فإذا هو موسى بن جعفر عليه السلام، فاخبر هارون بذلك فقال:

والله لقد كان ينبغي أن تكون هذه الورقة من تلك الشجرة.

ولكن هل سمح لهذه الشجرة أن تنمو وتعطي وتثمر ثمراً طيباً يتغذى منه جميع الناس؟!

لم يكتف الحكام العباسيون بتقمصهم الخلافة، مستأثرين بها على أهل البيت عليهم السلام، حتى أخذوا يتبعونهم سجناً وقتلاً وتشريداً. أهل العلم والحكمة والأخلاق باتوا قابعين في بيوتهم ليس لهم أمر ولا نهي! رحمك الله يا أبا فراس حيث تقول:

بنو علي رعايا في ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم!

لم يعبأ الأئمة عليهم السلام بهذه الشدة والظلامة التي قوبلوا بها، بل استمروا على تبليغ رسالتهم في إعلاء كلمة الله، ونشر المفاهيم الاسلامية، ومحاربة التيارات الفكرية الفاسدة والملحدة، فقد نوَّروا الدنيا بعلومهم ومعارفهم من أجل رفع راية الإسلام في العالم.

ولا عجب إن كانوا كذلك، فهم أحق من غيرهم، لا بل هم المكلفون بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالمحافظة على السنن والشرائع المحمدية ونشر الإسلام، اسلام المحبة والعدالة والحرية والأخلاق.

من ظلم هارون إلى ظُلاَّم السجن:

ما العلاقة بين الظلم والظلام؟. قال علماء اللغة:

ـ ظَلَمَ: يعني جار وجاوز الحد، ووضع الشيء في غير مكانه. جاء في المثل:

«من شابه أباه فما ظلم» وقالوا أيضاً: «من استرعى الذئب فقد ظلم».

وهذا المثل يضرب لمن يولي غير الأمين. ويقال: ظلم فلان فلاناً: غصبه حقه أو نقصه إياه. وفي الحديث: لزموا الطريق فلم يظلموه. ويقال:

هو ظالم. وظلام. وهو وهي ظلوم.

ـ وظَلِمَ الليل: اسود فهو ظَلِمٌ. وأظلم الليل اسود. ويقال: أظلم الشَعر. والقوم دخلوا في الظلام. والبيت جعله مظلماً. وظالمه: مظالمة، وظِلاماً: ظلمه. وتظالم القوم: ظلم بعضهم بعضاً.

الظلامة: ما يطلبه المظلوم. والظلماء: الظلمة ويقال: ليلة ظلماء. وانظُلمة: ذهاب النور. والمظلم: الشديد الظلمة. يقال: يوم مظلوم وأمر مظلام: لا يدرى من أين يؤتى والجمع مظالم.

فالعلاقة المشتركة بين الظلام والظلم. ظلم هارون وظلام السجن حتى ذهاب النور، فيفقد النظر التمييز بين الاشياء، بين السقيم والسليم.

والظلم: يعني ذهاب الحق الذي يوضح الأمور، ويجلي الحقائق حتى تظهر على حقيقتها، ولا لبس فيها. كما يعني وضع الشيء في غير مكانه والمظلام هو هارون الرشيد وأشباهه من الملوك العباسيين، ومن سبقهم من الأمويين. والمظلوم: هو الذي انتقص من حقه أو الذي لم يعط حقه وهو الإمام موسى الكاظم عليه السلام ومن سبقه من آبائه وأجداده الذين ضحوا بكل ما عندهم من قوى وقاوموا الظلم والظالمين من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل والمحافظة على الشريعة الاسلامية، والدفاع عن المظلومين والمستضعفين في الأرض ليبقوا أعزة كراماً محترمين. قال تعالى واصفاً المؤمنين: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾[1].

فلنتصور هذه المكانة الرفيعة التي منحها الله عز وجل للمؤمنين فقد أعطاهم شرفاً عظيماً ومكانة سامية لا يرقى إليها غيرهم في المجتمع، أعطاهم العزة بعد جلالته وبعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فأهل البيت عليهم السلام حافظوا على هذه العزة

(١) سورة المنافقون، الآية ٨.

ودافعوا عنها فكانوا من المؤمنين الصادقين، والعباسيون حاولوا سلب هذه العزة منهم فكانوا ظالمين منافقين.

والإمام الكاظم عليه السلام الذي كظم غيظه سنيناً طويلة من ظلم الحكام العباسيين، حافظ على هذه العزة التي منحها ربُّ العالمين للمؤمنين الصادقين...

فانتقل عليه السلام من ظلم هارون إلى ظلام السجون، ولعل هذه المحنة التي عاناها بعزم وصبر من أقسى المحن وأفجعها؛ ألمّت به فتحملها وكظم غيظه في صدره صابراً مجاهداً في سبيل الله.

لقد قضى زهرة شبابه في ظلمات السجون محجوباً عن أهله وشيعته، محروماً من نشر علومه على الناس جميعاً. فكان شبيه عيسى بن مريم في تقواه وورعه وصلاحه.

جهد هارون في ظلمه، وأمعن في التنكيل به خوفاً من تسلمه الخلافة، علماً أن الإمام عليه السلام لم يكن يبغي الحكم والسلطان، ولم يكن يبغي الجاه والمال، وإنما كان يبغي نشر العدل والحق بين الناس، ومقاومة ظلم أولئك الحكام وجورهم واستبدادهم بأمور المسلمين.

إن تاريخ الإنسانية قديماً وحديثاً حافل بالثورات الصاخبة التي قام بها المصلحون الاجتماعيون على حكام الظلم والطغيان من أجل إسعاد أبناء مجتمعهم، وانماء أوطانهم، حتى عانوا في سبيل ذلك جميع ضروب الأذى، وأنواع التنكيل والتشريد والاضطهاد؛ وكان في طليعة هؤلاء المجاهدين والمكافحين عن كرامة المسلمين أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فقد قدموا أروع التضحيات، وتحملوا أقسى ألوان الجهاد في سبيل الله من أجل انقاذ المسلمين من الجور العباسي، والاستبداد السياسي الذي تمثل على مسرح الحكام الأمويين والعباسيين.

هؤلاء الحكام باعوا دينهم بدنياهم بثمن زهيد، فتلاعبوا بمقدّرات المجتمع، وسلبوا أموال المسلمين وصرفوها على الفجور والمجون، وبذلوها للعملاء الخونة الذين ساندوهم وأعانوهم على الظلم والجور.

وأئمة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم مسؤولين عن رعاية الدين، وحماية المسلمين، كان من واجبهم الشرعي مقاومة ذلك الحكم الجائر ومكافحة الظالمين المستبدين، فنفروا في وجه الظلم، وانقذوا المجتمع الاسلامي من الجور والاستبداد اللّذين حلا في العباد والبلاد. فقاموا بما يجب عليهم من اداء رسالتهم الانسانية بكل أمانة واخلاص.

وكان زعيم المعارضين المناضلين لسياسة هارون هو الإمام موسى الكاظم عليه السلام. الذي قضى زمناً طويلاً في السجون حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فيها وهو شهيد غريب عانى أمرَّ الآلام، وأدهى الخطوب.

القبض على الإمام عليه السلام.

انتشر اسم الإمام عليه السلام في الأقطار، وذاع صيته في الأمصار، وتحّدث الناس عن علمه ومآثره وفضله، فثقل ذلك على هارون، وطفح قلبه غيظاً منه فذهب الطاغية إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسلم على النبي مثل الزوار المؤمنين، وخاطبه قائلاً:

«بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني اعتذر إليك من أمر عزمت عليه، إني أريد أن آخذ موسى بن جعفر عليه السلام فأحبسه لأني قد خشيت أن يُلقي بين أمتك حرباً يسفك فيها دماءهم»[1].

إنه يريد أن يخلق مبرراً أمام المجتمع لعمله الفظيع ويخفّف ما سيواجه به من الاستياء، لا سيّما من العلماء الذين سيستنكرون عمله الاجرامي.

وبعد الاعتذار في اليوم الثاني أصدر الطاغية أوامره بإلقاء القبض على الإمام، فجاءت الشرطة وألقت القبض عليه وهو في طاعة الله يصلي لربه عند رأس جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقطع المجرمون الآثمون عليه صلاته ولم يمهلوه من اتمامها. لكنهم نسوا ان الله يمهل ولا يهمل. ثم حمل الإمام من ذلك المكان الشريف وقيّد بالحديد وقد توجّه إلى جدّه الرسول الأكرم:

(١) البحار ج١٧، ص٢٩٦.

«إليك أشكو يا رسول الله»[1]. فأين احترام قداسة القبر الشريف، قبر رسول الله ﷺ وأين احترام ابنائه، الأئمة المعصومين التي هي أولى بالرعاية والمحبة والمودة من كل شيء؟ ثم أين احترام الصلاة التي هي أقدس عبادة في الإسلام؟

لم يحترم هارون قداسة القبر الشريف فهتك حرمته وحرمة أبنائه، وقطع صلاة الإمام عليه السلام وأمر بتقييده، وحمل إليه في ذل القيود، ولما مثل الطاهر الكريم أمام الفاجر اللئيم أغلظ له في القول، وكان اعتقاله سنة ١٧٩هـ في شهر شوال لعشر بقين منه[2].

في البصرة:

ساروا بالإمام عليه السلام معتقلاً إلى البصرة ووكل هارون حسان السروي بحراسته والمحافظة عليه[3]. وقبل أن يصل إلى البصرة تشرَّف بالمثول بين يديه عبد الله بن مرحوم الأزدي فدفع له الإمام كتباً وأمره بايصالها إلى ولي عهده الإمام الرضا ٥ وعرفه بأنه الإمام من بعده[4] سارت القافلة بالإمام المقيد حتى وصلت إلى البصرة قبل التروية بيوم[5] فاخذ حسان وكيل هارون الإمام ودفعه إلى عيسى بن أبي جعفر فسجنه في بيت من بيوت السجن، وأقفل عليه الباب، فكان لا يفتح باب السجن إلا في حالتين: خروج الإمام عليه السلام إلى الطهور، أو إدخال الطعام له[6].

أحواله في السجن

تفرغ الإمام عليه السلام للعبادة، انقطع الإمام عليه السلام في السجن إلى العبادة المطلقة، يصوم في النهار ويقوم في الليل، يقضي كل أوقاته في الصلاة والسجود والدعاء.

---

(١) المناقب ج٢، ص٣٨٥.
(٢) البحار، ج١٧، ص٢٩٦.
(٣) البحار ج١١، ص٢٩٨.
(٤) راجع تنقيح المقال.
(٥) البحار ج١١، ص٢٩٨.
(٦) المصدر نفسه.

لقد أدهش العقول وحير الألباب بعبادته المتواصلة، وانقطاعه إلى الله عز وجل. وقد اعتبر وجوده في السجن نعمة من أعظم النعم التي منحها الله له، وذلك لتفرغه للعبادة، فكان يشكر ربه تعالى على ذلك ويدعو بهذا الدعاء الروحاني قائلاً:

«اللهم، إنك تعلم اني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد»[1].

يبدو لنا من هذا الدعاء رضى الإمام عليه السلام بقضاء الله تعالى وصبره الجميل وكظمه الغيظ بانتظار الفرج إن شاء الله، كما يدل هذا الدعاء من جهة أخرى على مدى حب الإمام الخالص وشوقه الزائد لعبادة الله وطاعته.

اتصال العلماء به:

شاع اعتقال الإمام عليه السلام في البصرة وجميع أنحاء البلاد، فأقبل عليه رواة الحديث بطريق خفي لينهلوا من علمه الغزير، وقد رووا عنه بعض الأحكام والعلوم ومن هؤلاء ياسين الزياتي[2].

كما اتصل به كبار العلماء من البصرة ومن نواح أخرى فرووا عنه الشيء الكثير مما يتعلق بالتشريع الإسلامي. ولا يخفى ما قلناه سابقاً إن الإمام عليه السلام دائرة معارف يغترف منها كل من أراد المعرفة.

ـ الايعاز باغتياله:

لما انتشر خبر اعتقال الإمام عليه السلام في سجن البصرة، وتناقل الناس حديثه مقروناً بالحسرة واللوعة والحزن، خاف هارون من حدوث الفتن، وقيام الاضطرابات في المدينة فأوعز إلى عيسى باغتيال الإمام عليه السلام ليستريح منه ويطمئن باله. ولكن هل يقدم عيسى على ارتكاب مثل هذه الجريمة النكراء؟!

(١) المناقب ج٢، ص٣٧٩.
(٢) النجاشي ص٣٥٢.

ـ طلب عيسى بالاعفاء:

لما وصلت أوامر هارون لعيسى لتنفيذ الاغتيال، ثقل عليه الأمر وفكر ملياً بالمصير، جمع أصحابه وخواصه وعرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالتحذير من ارتكاب مثل هذه الجريمة التي تغضب الله ورسوله، فاستصوب رأيهم وكتب إلى هارون رسالة يطلب فيها اعفاءه عن ذلك.

جاء في الرسالة:

«يا أمير المؤمنين، كتبت إلي في هذا الرجل، وقد اختبرته طول مقامه بمن حبسته معه عيناً عليه، لينظروا حيلته، وأمره وطويته ممن له المعرفة والدراية، ويجري من الإنسان مجرى الدم، فلم يكن منه سوء قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلاّ بخير، ولم يكن عنده تطلع إلى ولاية، ولا خروج ولا شيء من أمر الدنيا، ولا دعا قط على أمير المؤمنين، ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلاّ بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره، أو ينفذ من يتسلمه مني وإلاّ سرحت سبيله، فإني منه في غاية الحرج»[١].

تدل هذه الرسالة بوضوح على إكبار عيسى وتقديره للإمام عليه السلام، فقد راقبه ووضع العيون علبه فلم يره إلا مشغولاً بذكر الله وطاعته، ولم يتعرض بذكر أحد بسوء حتى الظالمين له، لذا خاف عيسى وراقب الله.

بقي في سجن عيسى سنة كاملة.

حمل الإمام إلى بغداد:

عندما شعر هارون بعدم تنفيذ طلبه في اغتيال الإمام من قبل عيسى عامله على البصرة، خاف منه أن يطلق سراح الإمام عليه السلام، فأمر بحمل الإمام إلى بغداد مقيّداً بالحديد، تحف به الحرس والشرطة. ساروا به مسرعين حتى انتهوا إلى بغداد، وفوراً أعلموا الرشيد بصنيعهم فأمر بحبسه عند أحد وزرائه يدعى الفضل بن الربيع.

(١) البحار والفصول المهمة.

أخذه الفضل وسجنه في بيته، هكذا كانت إرادة هارون، فلم يعتقله في السجون العامة لمكانة الإمام العالية في المجتمع، وسمو شخصيته لأن الشخصيات الهامة في عهد الطاغية هارون كانت تعتقل في بيوت وزرائه وليس في السجون العامة، فقد سجن عبد الملك بن صالح عندما غضب عليه عند الفضل بن الربيع[1]، وكذلك سجن إبراهيم بن المهدي عند أحمد بن أبي خالد[2].

انشغال الإمام بالعبادة

تفرغ الإمام عليه السلام في السجن لطاعة ربّه، فقضى معظم أوقاته في الصلاة والتضرع والابتهال إلى الله، فرّاج الكروب والهموم. فقد بهر الفضل بعبادته، فكان يتحدث عنها أمام زائريه بتعجب وإكبار للإمام.

حدَّث عبد الله القزويني قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح داره، فقال لي: أُدْنُ مني، فدنوت حتى حاذيته فقال لي: اشرف على الدار، فاشرف عبد الله على الدار فقال له الفضل - ما ترى في البيت؟ - أرى ثوباً مطروحاً هناك.

- انظر حسناً. فتأمل عبد الله ملياً، فقال له: رجل ساجد.

- هل تعرفه؟ - لا. فقال له: هذا مولاك.

- من مولاي؟!! - تتجاهل علي؟!!

- ما اتجاهل، ولكن لا أعرف لي مولى.

- قال الفضل: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر.

وأخذ الفضل يحدث عبد الله عن عبادة الإمام وتقواه وطاعته لله فقال: «إني اتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها، يصلي الفجر، فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، ثم يبتدىء بالصلاة من غير أن يجدد الوضوء،

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) تاريخ بغداد: ٣/ ١٨٥.

فاعلم أنه لم ينم في سجوده ولا أغفى، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت وثب من سجدته فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العشاء، فإذا صلى العشاء أفطر على شوى يؤتى به، ثم يجدد الوضوء، ثم يسجد ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيجدد الوضوء، ثم يقوم، فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر فلست أدري متى يقول الغلام إن الفجر قد طلع؟ إذ قد وثب هو لصلاة الفجر فهذا دأبه منذ حول إليّ . . .».

لما رأى عبد الله إكبار الفضل للإمام عليه السلام حذره من أن يستجيب لرغبة الرشيد باغتياله، فقال له:

«اتق الله، ولا تحدث في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءاً إلا كانت نعمته زائلة».

وكان الفضل مؤمناً بذلك فقال له: «قد أرسلوا إليّ غير مرّة يأمروني بقتله، فلم أجبهم إلى ذلك، واعلمتهم أني لا أفعل، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني»[1].

ولا غرو فالإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان مثلاً صالحاً يحتذى في التقوى والورع والايمان بالله، فحب الله مطبوع في قلبه ومشاعره.

ـ اشراف هارون على الإمام في سجنه:

لما امتنع حراسه ووزراؤه من القدوم على اغتياله، لم يثق بالعيون التي وضعها عليه في السجن، فأخذ يراقبه بنفسه، ويتطلع على شؤونه خوفاً من أن يتصل به أحد من الناس، فأطل من أعلى القصر على السجن فرأى ثوباً مطروحاً في مكان خاص لم يتغير عن موضعه فقال للفضل:

ـ ما ذاك الثوب المطروح الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟!

ـ يا أمير المؤمنين، ماذاك ثوب، وإنما هو موسى بن جعفر، له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

---

(١) عيون أخبار الرضا وبحار الأنوار.

فبهر هارون بصلابة الإمام عليه السلام وقوة إرادته وقال للفضل :

ـ أما هذا فانه من رهبان بني هاشم ! !

فالتفت إليه الفضل بعدما سمع منه اعترافه بزهد الإمام قائلاً له :

ـ يا أمير المؤمنين : مالك قد ضيّقت عليه في السجن؟ ! !

فأجابه هارون بكل لؤم وغرور قائلاً :

«هيهات : لا بد من ذلك»[1]

هارون الطاغية كان يعلم عزوف الإمام عن الدنيا، ويعلم إقبال الإمام على الله، ويعلم منزلة الإمام السامية وتقدير الناس له، لكن حبه للسلطان والدنيا أعمى بصره وبصيرته، وملأ قلبه غيظاً وحسداً له . وهذا ما دفعه إلى ذلك . الحسد القاتل الذي يميت القلب ويضعف الروح ويخدر الايمان، ويعمي البصيرة عن رؤية الحق .

بسم الله الرحمن الرحيم : **﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد﴾** .

لم يقرأ هارون هذه السورة ولم يعلم مضامينها؟ ! .

مصائب ومتاعب

ضاق صدر الإمام من ظلمة السجن وطول المدة فيه بعد أن حجب عن عياله وأطفاله وشيعته، ينتقل من سجن إلى سجن مثقلاً بالحديد، والشرطة تراقبه خوفاً من اتصال أحد من شيعته به، فأحسَّ بآلام مرهقة أحاطت به، وخطوب مريرة ثقلت عليه، وهارون مازال على موقفه يراقبه بحذر، ويخطط لاغتياله . فما العمل؟

لقد لجأ عليه السلام إلى الله تبارك وتعالى في أن يخلّصه من هذا الطاغية وهذه المحنة المريرة .

دعاء من القلب

سئم الإمام من السجن وطالت مدة الحبس عليه، وهو رهين السجون فقام في غلس الليل وجدد طهوره وصلى لربه أربع ركعات، وأخذ يناجي الله بهذا الدعاء

---

(١) البحار ج١١، ص٢٩٨ .

الروحي الصاعد من قلب طاهر أثقلته الهموم فقال: «يا سيدي: نجّني من حبس هارون وخلّصني من يده، يا مخلّص الشجر من بين رمل وطين، ويا مخلّص النار من بين الحديد والحجر، ويا مخلّص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلّص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلّص الروح من بين الأحشاء والأمعاء، خلّصني من يد هارون الرشيد».

يرشح من هذا الدعاء المرارة التي عاناها الإمام عليه السلام في السجن والحزن العميق الذي رزح على صدره خلاف هذه الفترة الطويلة لكن إرادة الله فوق كل إرادة فمنه الفرج وهو على كل شيء قدير.

إطلاق سراح الامام عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[1].

الامام موسى بن جعفر عليه السلام مؤمن طاهر وعبد صالح دعا الله عزّ وجلّ لينقذه من هذه المحنة الظالمة التي أثقلت صدره فاستجاب سبحانه لدعائه وأفرج عنه الغمّ الذي أصابه في سجن الطاغية هارون.

فأطلق سراحه غلس الليل. ويعود السبب في ذلك الى رؤيا رآها في منامه. حدَّث عبدالله بن مالك الخزاعي[2] قال:

أتاني رسول الرشيد في ما جاءني به قط، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك، فلما صرت الى الدار سبقني الخادم، فعرف الرشيد خبري، فأذن لي بالدخول، فوجدته جالساً على فراشه فسلّمت فسكت ساعة، فطار عقلي، وتضاعف جزعي، ثم قال لي:

ـ يا عبدالله، أتدري لما طلبتك في هذا الوقت؟

ـ لا، والله يا أمير المؤمنين. قال: إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني، ومعه حربة فقال: إن لم تخلّ عن موسى بن جعفر الساعة، وإلا نحرتك بهذه الحربة، إذهب فخلّ عنه[3].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٢) كان مسؤولاً عن دار الرشيد وشرطته.
(٣) مروج الذهب ج٣ ص٢٦٥.

ولم يطمئن عبدالله بأمر الرشيد بإطلاق سراح الامام، فقال له: أطلق سراح موسى بن جعفر؟ قال له ذلك ثلاث مرات، فقال الرشيد: «نعم، امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، واعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي الى المدينة فالأمر في ذلك إليك».

مضى عبدالله مسرعاً الى السجن يقول: لما دخلت وثب الامام عليه السلام قائماً، وظنّ أني قد أمرت فيه بمكروه، فقالت له:

«قد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف فالأمر في ذلك مطلق لك، وأعطيته الثلاثين ألف درهم[1].

وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجبا.

وأخذ الإمام عليه السلام يحدثه عن السبب في إطلاق سراحه قائلاً:

«بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا موسى، حبست مظلوماً قل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت له بأبي أنت وأمي ما أقول فقال صلى الله عليه وآله: قل:

«يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، وياكاسي العظام لحماً، ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصى عدداً، فرج عني» فكان ما ترى[2].

وفرج الله عن الإمام فخلى هارون بعد رؤياه سبيله، وقد مكث في سجن الفضل مدة طويلة من الزمن لم يعينها لنا التاريخ.

بعد إطلاق سراحه لم يذهب الامام عليه السلام الى يثرب بل بقي في بغداد لم ينزح عنها وكان يدخل على الرشيد في كل أسبوع مرة في يوم الخميس[3].

(١) جاء في المناقب ج٢ ص٣٧٠ ان الامام عليه السلام رفض الهدايا التي قدمت له.

(٢) وفيات الأعيان ج٤ ص٣٩٤ وشذرات الذهب ج١ ص٣٠٤.

(٣) البحار ج١١ ص٢٧٠.

كان الرشيد يحتفي به كثيراً إذا رآه، وقد دخل عليه يوماً، وقد استولى عليه الغضب من أجل رجل ارتكب جرماً فأمر أن يضرب ثلاثة حدود فنهاه الإمام عليه السلام عن ذلك وقال إنما تغضب لله، فلا تغضب له أكثر مما غضب لنفسه»[1].

الإذن بالرجوع الى يثرب:

طلب الامام عليه السلام من هارون ان يسمح له بالرحيل الى يثرب، مدينة آبائه وجدّه صلى الله عليه وآله لرؤية عياله وأطفاله، قيل انه سمح له، وقيل انه لم يجبه قائلاً له: أنظر في ذلك حتى حبسه في السجن عند السندي[2].

وأكبر الظن ان هارون فرض عليه الإقامة الجبرية في بغداد ولم يسمح له بالسفر الى وطنه. فمكث عليه السلام في بغداد مدة من الزمن لم يحددها لنا قسم كبير من المؤرخين. خلال هذه المدة لم يتعرض له هارون بسوء. قال السيد مير علي الهندي قال: «وقد حدث مرتين ان سمح هارون لهذا الإمام الوديع بالرجوع الى الحجاز ولكن شكوكه كانت في كلتا المرتين تتغلب على طيبة قلبه فيبقيه في الحبس»[3].

استمر الامام في تلك الفترة من بذل الجهود لإرشاد الناس وهدايتهم الى طريق الحق ومن الذين اهتدوا متأثرين بنصائحه بشر الحاني فقد تاب على يد الإمام عليه السلام حتى صار من عيون عباد الله الصالحين المتقين لكن التاريخ لم يذكر المدة التي خلي فيها عن سبيل الإمام عليه السلام، فيحتمل أنها فترة قصيرة، وكل ما ذكره المؤرخون أنه عليه السلام إنتقل من سجن الى سجن، من سجن الفضل بن الربيع الى سجن الفضل بن يحيى.. فيا سبحان الله، إلى هذا الحد محبة الدنيا وعشق السلطان تعمي القلوب عن الحقيقة، وتصم الآذان عن سماع الحق؟!!

فهارون لم يؤمن بكل ما رآه من الآيات والمعجزات التي ظهرت للإمام عليه السلام فاطلق سراحه وندم على ذلك فأصر على التنكيل به وكانت الجريمة.

---

(١) الوسائل باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) البحار ج١١ ص٢٦٩.

(٣) مختصر تاريخ العرب ص٢٠٩.

اعتقال الامام عليه السلام عند الفضل بن يحيى:

مرة ثانية ألقى هارون القبض على الإمام فأمر باعتقاله عند الفضل بن يحيى، فماذا حدث له في سجنه؟

معاملة حسنة في سجن الفضل:

لما رأى الفضل بن يحيى اقبال الإمام عليه السلام على الله سبحانه وتعالى، وانشغاله بذكره، أكبر الامام ورقَّ عليه وأحسن معاملته، فكان يرسل له كل يوم مائدة فاخرة من الطعام، وقد رأى عليه السلام من السعة في سجن الفضل ما لم يرها في السجون الأخرى.

الإيعاز باغتياله من جديد:

أوعز هارون للفضل باغتيال الامام عليه السلام، فخاف الفضل من الله وامتنع عن تنفيذ هذه الجريمة النكراء، ولم يلبِّ رغبة هارون. ذلك انه كان ممن يذهب الى الإمامة ويدين بها، وهذا هو السبب في اتهام البرامكة بالتشيع.

قال الفضل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أقود نفسي الى النار وأحفر قبري بيديّ؟! فلا يمكن أن أنفذ رغبات هارون الطاغية في قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مهما كانت النتيجة.

التنكيل بالفضل:

كان لهارون بعض العملاء المأجورين يراقبون ويوصلون بأخبارهم إليه، كما في عصرنا اليوم، انطلقوا إليه وأخبروه بحسن معاملة الفضل للإمام عليه السلام ولما سمع ذلك الطاغية استشاط غضباً وأنفذ بالحال خادمه مسرور الى بغداد ليكشف له حقيقة الأمر، فان كان الأمر على ما بلغه مضى الى العباس بن محمد وأوصله رسالة يأمره فيها بجلد الفضل بن يحيى، وكذلك أمره بالوصول الى السندي بن شاهك مدير شرطته ومنفذ أوامره لينفذ ما أمر به دون أي تأخير.

قدم العميل مسرور الى بغداد فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريده ثم دخل خلسة الى الامام موسى عليه السلام فوجده مرفّهاً مرتاحاً كما بلغ هارون

فمضى من فوره الى العباس وأمره بتنفيذ أمر الخليفة، وكذلك سار الى السندي فأمره بإطاعة العباس، أرسل العباس فوراً الشرطة الى الفضل فأخرجوه من داره وهو يهرول والناس من حوله، فدخل على العباس فأمر بتجريده، ثم ضربه مائة سوط.

خرج الفضل بعد هذا الجزاء الظالم وقد انهارت قواه ودكّت أعصابه متحرقاً على الامام ماذا سيحصل له.

كتب مسرور الوغد الحقير الى هارون بما فعله، فأمره بنقل الامام من عند الفضل واعتقاله في دار السندي بن شاهك. ثم جلس هارون في مجلس حافل ضمّ جمهوراً غفيراً من الناس، فرفع صوته قائلاً: أيها الناس، إن الفضل بن يحيى قد عصاني، وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه فالعنوه.

ارتفعت أصوات العملاء من جميع جنبات الحفل باللعن والسباب والشتم على الفضل حتى اهتزت الأرض من أصوات اللعن.

وبلغ يحيى بن خالد ذلك فأسرع الى الرشيد ودخل عليه من غير الباب الذي يدخل منه الناس، وأسره قائلاً: يا أمير المؤمنين، إن الفضل حدث، وأنا أكفيك ما تريد.

فسرّ هارون بما أخبره صنيعه الوغد وذهب عن نفسه ما يحمله من الحقد على الفضل، فأراد يحيى أن يستعيد كيان ولده ويرد له كرامته.

فقال للرشيد: «يا أمير المؤمنين، قد غضضت من الفضل بلعنك إياه فشرّفه بإزالة ذلك» فأقبل هارون بوجهه على الناس، ورفع عقيرته قائلاً: «إن الفضل قد عصاني في شيء فلعنته، وقد تاب وأناب الى طاعتي فتولوه».

ارتفعت الأصوات المأجورة ثانية من جميع جنبات الحفل وأعلنت التأييد الشامل لتلك السياسة المتقلبة والمتناقضة وهي ذات لهجة واحدة أعلنها أولئك الناس الذي يهتمون بمصالحهم الخاصة ولا يؤمنون بالقيم ولا بالمثل العليا مرددين:

«يا أمير المؤمنين، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وقد تولیناه»[1].

وكما ترى هكذا كانت حالة الجماهير الاسلامية في ذلك العصر قد انحرفت عن المبادىء الأصيلة، وفقدت وعيها وحسها وساعدت الطاغية على ظلمه فأطاعته ونفذت رغباته الظالمة والجائرة بحق إمام معصوم ابن إمام معصوم، شريف بريء لم يقترف ذنباً ولا ارتكب خطأ، ولو كان عندهم أي شعور ديني لما سجن الامام عليه السلام ولما نكل به من سجن الى سجن مقيداً بالأغلال والحديد.

ويعود السبب في ذلك كله الى عبث السياسة الملتوية في الأوساط الاجتماعية ونشرها الفساد والفجور والبؤس والشقاء والتسيّب في ربوع ذلك المجتمع حتى كان من نتائجه مواقف مذمومة لا يحمد عقباها بأي حال. كما كشفت لنا هذه البادرة مدى الحقد والكراهية التي يكنها هارون اللعين في نفسه للإمام عليه السلام الشريف. فقد نكل بالفضل بن يحيى وهو كان من أعز الناس عنده وأقربهم إليه، وأعلن شتمه وسبه لأنه أحسن معاملة الإمام عليه السلام ولم يضيق عليه في السجن. علماً أن المدة التي قضاها الامام عليه السلام في سجن الفضل قصيرة للغاية كما ذكر الرواة أياماً معدودة. ونختصر فنقول:

كانت أرواح الناس في العصر العباسي ودماؤهم يتصرف فيها الحكام حسب ما أرادوا، فالملك يفعل ما يريد فهو ظل الله على الأرض لا يسأل عن ذنب ولا جرم، همه كرسي الحكم وكفى.

خاتمة المطاف:

أحزان جديدة، وخطب مريع حلّ بسبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته العطرة ووديعته في أمته، فقد سدت نوافذ الحياة عليه وحفّت به المصائب والمصاعب من كل جانب، فجمع هارون الطاغية كل ما عنده من لؤم وغضب وبغض وصبها عليه دفعة واحدة؛ من تكبيل بالقيود، وزج في السجون، ومراقبة بالعيون خوفاً من العطف عليه، فنكل بكل من أكرمه ورعى جانبه، حين جلد الفضل بن يحيى مائة

(١) مقاتل الطالبيين ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

جلدة، وأعلن سبه وشهّر به لأنه لم يضيّق عليه.

لقد أصبح هارون قلقاً جداً من وجود الامام عليه السلام فذيوع فضله بين الملأ وانتشار اسمه وحديث الناس عن محنته واضطهاده، كل ذلك أقلق مضجعه وأربك فكره، فأوعز الى كبار رجال دولته باغتياله لكنهم لم يجيبوه على ذلك، لما رأوا للإمام عليه السلام من كرامة وتقى وانقطاع الى عبادة الله عز وجل، فخافوا من غضب الله ورسوله عليهم وزوال نعمتهم إن تعرضوا له بمكروه. استمر هارون في التفتيش عن مثل هؤلاء الأوغاد الذين يبيعون آخرتهم بدنياهم فلم يجد سوى السندي بن شاهك[1] الأثيم اللعين الذي لا يرجو لله وقارا، ولا يؤمن بالآخرة، فنقله الى سجنه، وأمره بالتضييق عليه. فاستجاب الأثيم لذلك، حيث عامل الامام بكل قسوة، والامام صابر محتسب، قد كظم غيظه، وأوكل أمره الى الله. إنها المحنة الكبرى قد مُنيَ بها الامام عليه السلام حينما نقل الى سجن السندي بن شاهك، الذي بالغ في أذاه والتضييق عليه، والتنكيل به في مأكله ومشربه وتكبيله بالقيود، كل ذلك ليرضي هارون ويتقرب منه من أجل دنياه. وسوف نعرض لهذا الدور الرهيب، آخر أدوار حياة الإمام الكاظم المظلوم، ونذكر بعض شؤونه الأخرى كأوقافه ووصاياه وغيرها من الأمور.

(١) هو مولى المنصور الدوانيقي ولي دمشق من قبل موسى بن عيسى في خلافة هارون الرشيد، ذكر ذلك الصفدي في كتابه: «أمراء دمشق ص٣٩» ونظمه في أرجوزته التي ذكر فيها أمراء دمشق بقوله:

وكان قد ولي بها بن شاهك خلافة ولم يكن بمالك

وذكر الجاحظ حديثاً عنه في «حياة الحيوان حينما ولي الشام يتعلق في تسويته بين القحطانية والعدنانية، وذكر الجهشياري في: «الوزراء والكتاب ص١٨٨» ان السندي في أيام هارون كان يلي الجسرين في بغداد، وقد وكل بحراسة دور البرامكة لما أراد هارون النكبة بهم وجاء في «المصايد والمطارد ص٧» كان له ولدان: الحسين وابراهيم. وله حفيد الشاعر المعروف والكاتب المشهور كشاجم كان من ألمع شخصيات عصره في أدبه وعلمه ومن المتفانين في حب آل محمد عليهم السلام، وجاء في «الكنى والألقاب» ج٣ ص٩٣ ان كشاجم كان من شعراء أهل البيت عليهم السلام المجاهدين وله في مدح آل محمد قصائد مشهورة. وذكر ابن شهراشوب في «المناقب» ان الله سبحانه وتعالى انتقم من السندي في اليوم الذي توفي فيه الامام عليه السلام فقد نفر فرسه به وألقاه في نهر دجلة فمات فيه.

مكان السجن:

سجن عليه السلام في السجن المعروف بدار المسيّب الواقع قرب باب الكوفة[1] وفيه كانت وفاته عليه السلام [2].

التضييق على الامام عليه السلام

أمر هارون الطاغية جلاده السندي الباغي ان يضيّق على الإمام، وأن يقيّده بثلاثين رطلاً من الحديد، ويقفل الباب في وجهه، ولا يدعه يخرج إلاّ للوضوء. وامتثل السندي لأوامر معلمه، فعمل على التضييق على الإمام، ووكل على مراقبته مولاه بشاراً، وكان من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب ولكنه لم يلبث أن تغيّر حاله، وتاب الى طريق الحق، لما رآه من كرامات الامام عليه السلام ومعاجزه، وقام ببعض الخدمات له[3].

لم يرع السندي حرمة الامام عليه السلام وتعرض لاساءته، فقد حدث أبو الأزهر ابن ناصح البرجي قال:

اجتمعت مع ابن السكّيت[4] في مسجد يقع بالقرب من دار السندي، فدارت

(١) باب الكوفة: هو أحد الأبواب الأربعة الرئيسية لمدينة بغداد حينما بناها المنصور، وقد بنى على كل باب قبة مذهبة، وحولها مجالس ومرتفعات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل به، وباب الكوفة هو الطريق الذي يسلك فيه الى الحج، وكان باباً عظيماً لا يغلقه إلا جماعة من الناس، ولما غرقت بغداد في فيضان ٣٣٠هـ هدمت طاقات باب الكوفة، وجاء ذلك في خارطة بغداد ان باب الكوفة تقع في قرية الوشاش الحديثة في محلة الكرخ. وقال بعض العراقيين ان المحل الذي سجن فيه الامام معروف عند بعض الأوساط وهو أحد قصور آل الباججي.

(٢) البحار ج١١ ص٣٠٠.

(٣) نفسه ج١١ ص٣٠٥.

(٤) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الدورقي الأهوازي الامامي النحوي اللغوي، كان ثقة جليلاً من عظماء الشيعة، ويعد من خواص الإماميين التقيين وكان حامل لواء علم العربية، والأدب، والشعر، له تصانيف كثيرة منها: تهذيب الألفاظ، إصلاح المنطق، قال ابن خلكان: قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل (إصلاح المنطق) ولا شك انه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه، وقد عني به =

بيننا مذاكرة في علم العربية، وكان في الجامع رجل لا نعرفه فالتفت إلينا قائلاً: «يا هؤلاء، أنتم الى إقامة دينكم أحوج منكم الى إقامة ألسنتكم».

وأخذ الرجل يدلي علينا بالأدلة الوافرة على ضرورة الإمامة، ثم قال:

ـ ليس بينكم، وبين إمام العصر غير هذا الجدار ـ وأشار الى جدار السندي.

ـ لعلك تعني هذا المحبوس؟

ـ نعم. يقول أبو الأزهر فعرفنا الرجل من الشيعة، وانه يذهب الى الإمامة فقلنا له: قد سترنا عليك، وطلبنا منه أن يذهب عنا لئلا نبتلي بسببه فانبرى الرجل لنا وقال: «والله لا يفعلون ذلك أبداً، والله ما قلت لكم إلا بأمره، وانه ليرانا ويسمع كلامنا، ولو شاء ان يكون ثالثنا لكان».

يقول أبو الأزهر: وفي أثناء الحديث دخل علينا رجل من باب المسجد تكاد العقول أن تذهب لهيبته ووقاره، فعلمنا انه الامام موسى بن جعفر عليه السلام فبادرنا قائلاً: أنا ذلك الرجل الذي حدثكم عني صاحبي، وفي الوقت أقبل السندي ومعه جماعة من شرطته فقال للإمام بغير حياء ولا خجل: «يا ويحك كم تخرج بسحرك وحيلتك من وراء الأبواب والأغلاق فلو كنت هربت كان أحب إلي من وقوفك هٰهنا أتريد يا موسى أن يقتلني الخليفة؟».

فقال له الإمام عليه السلام والتأثر باد عليه:

«كيف أهرب، وكرامتي ـ أي نيلي الشهادة ـ على أيديكم».

= جماعة، واختصره الوزير المغربي، وهذبه الخطيب التبريزي، وقال ثعلب: أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكّيت، قتله المتوكل في ٥ رجب سنة ٢٤٤هـ. وسبب قتله انه قال له يوماً: أيهما أحب إليك ابناي هذان، أي المعتز والمؤيد، أم الحسن والحسين، فقال ابن السكّيت: والله ان قنبر خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكل للأتراك: سلّوا لسانه من قفاه ففعلوا ذلك فمات، ومن الغريب انه قبل قتله بقليل قال:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل

جاء ذلك في الكنى والألقاب: ج١ ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

ثم أخذ بيد الامام عليه السلام وأودعه السجن.

هكذا كانت حالة الامام عليه السلام يساء إليه ويضيَّق عليه وهو صابر محتسب قد كظم غيظه، وبث همومه وأشجانه الى الله تعالى.

تفرّغ الإمام عليه السلام للعبادة من جديد:

اعتاد الامام عليه السلام على عذاب السجون من قبل الحكام الظالمين الطغاة، فأقبل على العبادة، يصوم في النهار، ويقوم في الليل، ويقضي أكثر أوقاته بالسجود والعبادة، لا يفتر لسانه عن ذكر الله. حتى أن أخت السندي لما رأت إقبال الإمام عليه السلام على الطاعة الخالصة والعبادة المستمرة أثر ذلك في نفسها، وأصبحت من الصالحات، وعند ذلك دبّت الرأفة في قلبها وأخذت تعطف على الإمام عليه السلام وتقوم بخدمته دون علم أخيها وكانت إذا نظرت إليه أرسلت الدموع مدراراً من عينيها وتقول: «خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل»[1].

اتصال العلماء بالامام عليه السلام

الامام الكاظم عليه السلام ذلك الينبوع الغزير والمنهل الذي لا ينضب ماؤه كان مقصد العلماء والرواة والمحدثين، اتصلوا به من طريق خفي فنهلوا من نمير علومه، من هؤلاء نذكر موسى بن إبراهيم المروزي، وقد سمح له السندي بذلك لأنه كان معلماً لولده، وقد ألف المروزي كتاباً مما سمعه من الامام عليه السلام. واتصل به هند بن الحجاج وغيره من قادة الفكر الاسلامي، كما دخل عليه في غلس الليل أبو يوسف ومحمد بن الحسن[2] وقد أراد اختياره في بعض المسائل المهمة

(١) النجاشي ص٣١٩.

(٢) محمد بن الحسن الشيباني، مولاهم الكوفي الفقيه، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة، أخذ الفقه من أبي يوسف ثم من أبي حنيفة، وسمع مالك بن أنس، وأخذ عنه الشافعي وأبو عبيد وكان فقيهاً. النجوم الزاهرة ج٢ ص١٣٠، وأنباه الرواة ج٣ ص٢٦٨ توفي سنة ١٨٣هـ هو والكسائي في يوم واحد، دفنهما هارون. رثاهما اليزيدي:

سيفنيك ما أفنى القرون التي مضت ... فكن مستعداً فالفناء عتيد
أصبت على قاضي القضاة محمد ... فاذريت دمعي والفؤاد عميد =

ليطلعا على مدى علمه ولما استقر بهما المجلس جاء الى الإمام عليه السلام أحد الموظفين في السجن فقال له:

إن نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف، فان كانت لك حاجة فامرني أن آتيك بها غداً، فقال عليه السلام:

ليس لي حاجة إنصرف. فلما انصرف، التفت عليه السلام الى أبي يوسف وصاحبيه فقال لهما:

«إني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة» فأمسكا عن سؤاله، وقاما، وقد استولى عليهما الذهول وجعل كل واحد منهما يقول لصاحبه:

أردنا أن نسأله عن الفرض، والسنة، فأخذ يتكلم معنا في علم الغيب!!

والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره لينظر ماذا يكون من أمره؟ وأرسلا في الوقت شخصاً فجلس على باب دار الرجل يراقبه فلما استقر في مكانه سمع الصراخ والعويل قد علا من الدار، فسأل عن الحادث فأخبر بأن الرجل قد توفي، فقام مبادراً وأخبرهما بالأمر، متعجباً من علم الامام عليه السلام. وقد روى هذه القصة العديد من رواة الأثر[1] وإن دلّت هذه الرواية على شيء فإنها تدل على علم الامام بالمغيبات، وانكشاف الحجاب له وهذا ما تعتقده الشيعة في الامام فهو يرى بعين الله تعالى.

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد أخبروا بالملاحم والأمور الغيبية التي تحققت

= وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا ... بايضاحه يوماً وأنت فقيد
وأوجعني موت الكسائي بعده ... وكادت بي أرض الفضاء تميد

(١) نور الأبصار ص١٢٦ ـ ١٢٧ الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٧ ـ ٥٨. البحار ج١١ ص٢٥١، وجاء فيه زيادة على ذلك انهما رجعا الى الإمام عليه السلام فقالا له: قد علمنا أنك أدركت العلم في الحلال والحرام فمن أين أدكت أمر هذا الرجل الموكل بك انه يموت في هذه الليلة؟ فقال عليه السلام: من الباب الذي علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام فلما ردّ عليهما بذلك بقيا حائرين لا يطيقان الجواب، وكذلك ذكره الاربلي في كشف الغمة ص٢٥٣.

كلها، فهم بلا ريب ولا شك ورثة علم النبي الأكرم ﷺ قد ألهمهم عز وجل جميع أنواع العلوم، وأطلعهم على خفايا الأمور.

إرسال الفتاوى الى الإمام عليه السلام:

كانت بعض الأقاليم الاسلامية التي تدين بالامامة ترسل عنها مبعوثاً خاصاً الى الإمام عليه السلام حينما كان في سجن السندي، فتزوده بالرسائل والفتاوى فيجيبهم عليه السلام عنها، وممن جاءه علي بن سويد، اتصل بالامام عليه السلام وسلّم اليه الكتب والفتاوى، فأجابه عليه السلام عنها.

تعيين وكلاء الإمام عليه السلام:

عيّن الإمام عليه السلام جماعة من طلابه وأصحابه الذين يثق بهم وجعلهم وكلاء له في بعض المناطق الاسلامية، ثم أومأ لشيعته بالرجوع إليهم لأخذ الأحكام الدينية منهم، كما أذن لهم في أخذ الحقوق الشرعية، لصرفها في مواضعها الشرعية على الفقراء والبائسين من الشيعة وإنفاقها في وجه البرّ والخير.

فقد نصب المفضل بن عمر[1] وكيلاً له في قبض الحقوق وأذن له في صرفها على مستحقيها.

تعيين ولي عهده:

نصب الامام موسى بن جعفر عليه السلام من بعده ولده الامام الرضا عليه السلام فجعله علماً لشيعته، ومرجعاً لأمة جده ﷺ، فقد حدّث الحسين بن المختار قال: لما كان الامام الكاظم عليه السلام في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها «عهدي الى أكبر ولدي»[2].

---

(١) الجعفي الكوفي، من كبار العلماء، ومن عيون المتقين الصالحين، ومن أفذاذ عصره، له المنزلة المرموقة والمكانة العليا عند أهل البيت عليهم السلام اقتبس العلوم من الامام الصادق عليه السلام وكان من عيون أصحابه الذين أخذوا العلم عنه ويكفي على غزارة علمه كتابه القيّم المسمى «توحيد المفضّل» الذي أملاه عليه الإمام الصادق عليه السلام. يعدّ الكتاب من مفاخر التراث الإسلامي الذي يعتز به. شرح توحيد المفضل ص١٧.

(٢) البحار، وأصول الكافي، عيون الأخبار.

علماً أنه عيّن ولده الرضا عليه السلام من بعده وذلك قبل أن يعتقله الطاغية هارون، وقلّده منصب الإمامة، ودلّ عليه الخواص من شيعته، فقد روى محمد بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: دعانا أبو إبراهيم ونحن سبعة عشر من ولد علي وفاطمة، فأشهدنا لعلي ابنه بالوصية والوكالة في حياته وبعد موته.

لقد بيّن عليه السلام الحجة من بعده، ولم يهمل أمر الامامة لأن هذا واجب شرعي لكل إمام، ولا يجوز أن تترك الأمة بدون إمام. وبذلك يكون قد هدى شيعته الى طريق الحق والصواب. وقد جاء في حديث معروف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بما معناه: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات موتة جاهلية».

وصية الإمام الكاظم عليه السلام:

أوصى الإمام الكاظم عليه السلام ولده الامام الرضا عليه السلام وعهد إليه بالأمر من بعده وقد أوصاه بوصية تتضمن ولايته على صدقاته، ونيابته عنه في شؤونه الخاصة والعامة. وقد أشهد عليها جماعة من المؤمنين الأعلام، وقبل أن يدلي بها ويسجلها أمر بإحضار الشهود وهم:

إبراهيم بن محمد الجعفري، وإسحاق بن محمد الجعفري، واسحاق بن جعفر بن محمد، وجعفر بن صالح، ومحمد الجعفري، ويحيى بن الحسين بن زيد، وسعد بن عمران الأنصاري ومحمد بن الحارث الأنصاري، ويزيد بن سليط الأنصاري، ومحمد بن جعفر بن سعد الأسلمي ـ وهو كاتب الوصية ـ ولما حضر هؤلاء شرع بذكر وصيته، وهذا نصها:

«إن موسى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور، وان البعث من بعد الموت حق، وان الوعد حق، وان الحساب حق، والقضاء حق، وان الوقوف بين يدي الله حق، وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم حق، وان ما أنزل به الروح الأمين حق، على ذلك أحيى وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله، وأشهدهم ان هـذه وصيتي بخطي، وقد نسخت وصية جدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووصية محمد بن علي قبل ذلك نسختها حرفاً بحرف، ووصية جعفر

بن محمد، على مثل ذلك، وإني قد أوصيت بها الى علي وبني بعده معه إن شاء وآنس منهم رشداً، وأحب أن يقرهم فذاك له، ولا أمر لهم معه، وأوصيت إليه بصدقاتي وأموالي ومواليّ وصبياني الذين خلفت وولدي إلى إبراهم والعباس وقاسم واسماعيل وأحمد وأم أحمد، وإلى علي أمر نسائي دونهم، وثلث صدقة أبي وثلثي يضعه حيث يرى، ويجعل فيه ما يجعل ذو المال في ماله، فان أحب أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدّق بها على من سمّيت له وعلى غير من سمّيت فذاك له، وهو أنا في وصيتي في مالي، وفي أهلي وولدي وإن يرى أن يقر إخوته الذين سميتهم في كتابي هذا أقرهم، وإن كره فله أن يخرجهم غير مثرب[1] عليه، ولا مردود، فان آنس منهم غير الذي فارقتهم عليه فأحب أن يردهم في ولاية فذاك له، وإن أراد رجل منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلا بإذنه وأمره فإنه أعرف بمناكح قومه، وأي سلطان أو أحد من الناس كفه عن شيء أو حال بينه وبين شيء مما ذكرت فهو من الله ومن رسوله بريء، والله ورسوله منه براء، وعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والنبيين والمرسلين وجماعة المؤمنين، وليس لأحد من السلاطين أن يكفه عن شيء، وليس لي عنده تبعة، ولا تباعة، ولا لأحد من ولدي وله قبلي مال، فهو مصدق فيما ذكر، فان أقل فهو أعلم، وإن أكثر فهو الصادق كذلك، وإنما أردت بإدخال الذين أدخلتهم معه من ولدي التنويه بأسمائهم، والتشريف لهم، وأمهات أولادي من أقامت منهنّ في منزلها وحجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي، إن رأى ذلك. ومن خرجت منهنّ الى زوج فليس لها أن ترجع إلى محواي[2] إلا أن يرى عليّ غير ذلك، وبناتي بمثل ذلك، ولا يزوّج بناتي أحد من إخوتهن، من أمهاتهن، ولا سلطان ولا عم إلا برأيه ومشورته، فان فعلوا غير ذلك فقد خالفوا الله ورسوله، وجاهدوا في ملكه، وهو أعرف بمناكح قومه، فان أراد أن يزوّج زوّج وان أراد أن يترك ترك، وقد أوصيتهنّ بما ذكرت في كتابي هذا، وجعلت الله عزّ وجلّ عليهنّ شهيداً، وهو وأم أحمد شاهدان وليس لأحد أن يكشف وصيتي، ولا ينشرها، وهو منها على غير ما ذكرت

(١) مثرب: مأخوذ من التثريب وهو التوبيخ والتعيير.

(٢) المحوى: اسم المكان الذي يحوي الشيء أي الذي يضمه.

وسمّيت، فمن أساء فعليه، ومن أحسن فلنفسه، وما ربّك بظلاّم للعبيد، وصلّى الله على محمد وعلى آله، وليس لأحد من سلطان ولا غيره أن يفض كتابي هذا الذي ختمت عليه الأسفل، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين، والملائكة المقربين، وجماعة المرسلين والمؤمنين، وعلى من فضّ كتابي هذا»[١].

ووقع عليه السلام الوصية وختمها، وكذلك وقّع عليها الشهود السالفة أسماؤهم. وواضح ان وصيّه والحجة من بعده ولده الامام الرضا عليه السلام فقد فوّض إليه جميع شؤونه، وألزم أبناءه باتباعه والانصياع لأوامره. كما أمر عليه السلام أن يكون زواج كريماته بيد الامام الرضا عليه السلام وتحت مشورته ورأيه فانه أعرف بمناكح قومه من غيره فانّهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله وكريماته فينبغي أن لا يتزوجّن إلا بمؤمن تقي يعرف مكانتهنّ ويقدّر منزلتهنّ ولا يعرف الكفؤ لهنّ إلا ولده الرضا. وأكبر الظن أنه إنما أمر بإخفاء وصيته وعدم ذيوعها خوفاً على ولده من السلطة العباسية التي لم تقصر أبداً في محاربة أهل البيت عليهم السلام لذلك أراد اخفاءها خوفاً من نقمتهم عليه وتنكيلهم به.

أوقافه وصدقاته:

تصدّق الامام عليه السلام ببعض أراضيه على أولاده وسجّل ذلك في وثيقة، وألزم أبناءه بتنفيذ مضامينها، والعمل على وقفها، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدّق به موسى بن جعفر بأرضه مكان كذا وكذا ـ وقد عيّن ذلك ـ كلها: نخلها وأرضها وماؤها وأرجاؤها وحقوقها وشربها من الماء وكل حق هو لها في مرفع[٢] أو مطهر[٣] أو عيص[٤] أو مرفق أو ساحة أو مسيل أو عامر أو غامر[٥] تصدّق بجميع حقه من ذلك على ولده من صلبه الرجال

(١) أصول الكافي ج١ ص٣١٦ ـ ٣١٧ والبحار.
(٢) المكان المرتفع.
(٣) المطهر: المصعد.
(٤) العيص: الشجر الكثير.
(٥) الغامر: الخراب.

والنساء يقسم واليها ما أخرج الله عز وجل من غلتها بعد الذي يكفيها من عمارتها ومرافقها وبعد ثلاثين عذقاً يقسم في مساكين أهل القرية، بين ولد موسى بن جعفر للذكر مثل حظ الأنثيين، فإن تزوجت امرأة من ولد موسى بن جعفر فلا حقّ لها في هذه الصدقة حتى ترجع إليها بغير زوج، فإن رجعت كان لها مثل حظ التي لم تتزوج من بنات موسى، ومن توفي من ولد موسى وله ولد فولده على سهم أبيهم للذكر مثل حظ الأنثيين على مثل ما شرط موسى بين ولده من صلبه. ومن توفي من ولد موسى ولم يترك ولداً رد حقه على أهل الصدقة وليس لولد بناتي في صدقتي هذه حق إلا أن يكون آباؤهم من ولدي، وليس لأحد في صدقتي حق مع ولدي وولد ولدي وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فان انقرضوا ولم يبق منهم أحد فصدقتي على ولد أبي من أمي ما بقي منهم أحد، ما شرطت بين ولدي وعقبي، فان انقرض ولد أبي من أمي وأولادهم فصدقتي على ولد أبي وأعقابهم ما بقي منهم أحد فان لم يبق منهم أحد فصدقتي على الأولى فالأولى حتى يرث الله الذي يرثها وهو خير الوارثين.

تصدّق الامام موسى بن جعفر بصدقته هذه وهو صحيح، صدقة حبيساً بتاً لا مثنوية فيها[1]، ولا رداً أبداً ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة ولا يحلّ لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيعها أو يبتاعها أو ينحلها أو يغير شيئاً مما وضعتها عليه حتى يرث الله الأرض ومن عليها وجعل صدقته هذه الى علي وابراهيم فان انقرض أحدهما دخل القاسم مع الباقي في مكانه، فان انقرض أحدهما دخل اسماعيل مع الباقي منهما، فان انقرض أحدهما دخل العباس مع الباقي منهما، فان انقرض أحدهما فالأكبر من ولدي يقوم مقامه فان لم يبق من ولدي إلا واحد فهو الذي يقوم به..»[2].

هذا الوقف الذري هو بعض ميراثه وخيراته، وقد خص به أبناءه وذريته لأجل أن تقوم تلك الغلة بشؤونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس.

(١) لا مثنوية فيها: أي لا استثناء.

(٢) البحار ج١١ ص٢١٥ ـ ٢١٦.

ترفع الامام من المطالبة بإطلاق سراحه:

مكث الامام عليه السلام زمناً طويلاً في سجن هارون، فطلب منه جماعته من شيعته الخاصة أن يتصل مع بعض الشخصيات المقرّبة عند هارون ليتوسطوا في اطلاق سراحه، فترفّع وامتنع عن ذلك وقال لهم: «حدّثني أبي عن آبائه ان الله جلّ وعلا أوصى إلى داود أنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني وعرفت ذلك منه إلا قطعت عنه أسباب السماء، وأسخت الأرض من تحته»[1].

تدل هذه البادرة من الامام المعصوم عليه السلام على مدى إيمانه بالله سبحانه وتعالى، وانقطاعه إليه، ورضائه بقضائه، وترفّعه من سؤال أي أحد من المخلوقين. لقد تذكر عليه السلام قول جدّه الرسول الأكرم عندما قال:

«اللهمّ اكفنا ذل السؤال» وقوله صلى الله عليه وآله: «اليد العليا خير من اليد السفلى» وما حدث مع الامام عليه السلام عكس ما طلب منه لقد أرسل كتاباً الى هارون وهو في السجن يعبر فيه عن سخطه.

كتابه لهارون:

أرسل الإمام عليه السلام وهو في السجن رسالة لهارون الطاغية أعرب فيها عن سخطه البالغ عليه، قال فيها:

«إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرخاء، حتى نفنى جميعاً الى يوم ليس له انقضاء وهناك يخسر المبطلون»[2].

في هذه الحياة تحمّل الإمام عليه السلام الآلام المبرحة والجزع الدائم من السجن لكنه سوف ينتظر اليوم العظيم الذي سيحاكم فيه خصمه الطاغية عند الله، يوم يخسر فيه المبطلون والظالمون.

(١) تاريخ اليعقوبي ج٣ ص١٢٥.

(٢) البداية والنهاية ج١٠ ص١٨٣ ـ راجع سورة الجاثية، الآية: ٢٧.

إغراء وفتنة:

أرسل هارون الى الإمام في سجنه جارية بارعة في الجمال، بيد أحد خواصه لتتولى خدمته، علَّ الإمام يفتتن بحسنها في اعتقاد هارون.

فلما وصلت إليه قال عليه السلام لمبعوث هارون:

«قل لهارون: بل أنتم بهديتكم تفرحون[1]، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها» فرجع الخادم ومعه الجارية وأبلغ هارون قول الامام فغضب غضباً شديداً وقال للخادم: إرجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك أخدمناك، واترك الجارية عنده وانصرف».

رجع رسول هارون وترك الجارية الحسناء عند الامام، وأبلغه بمقالته ثم أنفذ هارون خادماً الى السجن ليراقب ويتفحص حال الجارية. فلما انتهى إليها رآها ساجدة لا ترفع رأسها وهي تقول: «قدّوس، قدّوس» فمضى الخادم مسرعاً وأخبر هارون بحالها فقال: سحرها والله موسى بن جعفر عليَّ بها!!».

فجيء بها إليه، وهي ترتعد خوفاً فشخصت ببصرها نحو السماء وهي تذكر الله وتمجّده، فقال لها هارون: ما شأنك؟

قالت: شأني الشأن البديع، إني كنت عنده واقفة، وهو قائم يصلّي ليله ونهاره، فلما انصرف من صلاته قلت له:

هل لكَ حاجة أعطيكها؟ فقال عليه السلام: وما حاجتي إليكِ؟

قلت: إني أدخلت عليك لحوائجك. قال الامام عليه السلام:

فما بال هؤلاء ـ وأشار بيده الى جهة ـ فالتفت، فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج، وعليها وصائف ووصايف لم أرَ مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليها الحرير الأخضر، والأكاليل والدرّ والياقوت وفي أيديهم الأباريق

(١) راجع سورة النمل، الآية: ٣٥.

والمناديل، ومن كل الطعام فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم فرأيت نفسي حيث كنت، فقال لها هارون والحقد يتطاير من عينيه لأن مؤامرته باءت بالفشل فقال: يا خبيثة لعلّكِ سجدت فنمتِ فرأيتِ هذا في منامك.

فقالت: لا والله يا سيدي، رأيت هذا قبل سجودي، فسجدت من أجل ذلك.

فالتفت هارون الى خادمه، وأمره باعتقال الجارية، ليخفي الحادث تماماً، لئلا يسمعه الناس. فأخذها الخادم، واعتقلها عنده، فأقبلت على العبادة والصلاة، فإذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح، وقالت إني لما عاينت من الأمر نادتني الجواري يا فلانة، إبعدي عن العبد الصالح حتى ندخل عليه فنحن له دونك، وبقيت عاكفة على العبادة حتى لحقت بالرفيق الأعلى[1].

تبارك الله بهذا الامام العظيم الذي يغيّر أسماء الأشياء من قبيح الى جميع ومن سيىء الى حسن ومن شرير الى صالح ومن كافر إلى مؤمن، كل ذلك بعمق إيمانه ولطف محبته وسمو أخلاقه وغزارة علمه فكانت له تلك الكرامات بين الناس جميعاً. فحارسه انقلب الى صديق والجارية الخليعة انقلبت الى مؤمنة صالحة.

لكن هارون الطاغية، هارون اللئيم، هارون العنيد ألم يشاهد أنواع هذه الكرامات للإمام عليه السلام؟ فلماذا لم يؤمن بها؟ ولماذا زاغ قلبه؟ ولما استولت على نفسه دكنة قاتمة أنسته ذكر الله واليوم الآخر؟ كل ذلك حب الجاه والسلطان، حب المال والدنيا الفانية!!

محاولة اغتيال فاشلة:

تحدث الناس في مناقب الامام عليه السلام وانتشرت فضائله بين الجموع وأصبح أحدوثة العصر بعلمه وحلمه، وصبره وبلواه، ضاق صدر هارون من ذلك وعقد العزم على اغتيال الامام المظلوم ثانية فدعا برطب فأكل منه ثم أخذ إناءً ووضع فيه عشرين رطبة، وأخذ سلكاً فعركه في السم وأدخله في سم الخياط. وأخذ رطبة من ذلك الرطب فوضع فيها ذلك السلك وأخرجه منها حتى تكللت بالسم، ووضعها

(١) المناقب ج٢ ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

مع ذلك الرطب وقال لخادمه: إحمله الى موسى بن جعفر، وقل له:

إن أمير المؤمنين أكل من ذلك الرطب، وهو يقسم عليك بحقه لما أكلته عن آخره، فإني اخترتها لك بيدي، ولا تتركه يبقى منها شيئاً ولا يطعم منها أحداً. فحمل الخادم الرطب وجاء به الى الإمام، وأبلغه برسالة هارون. فأمره عليه السلام أن يأتيه بخلال، فجاء به إليه، وقام بازائه فأخذ الامام يأكل من الرطب، وكانت لهارون كلبة عزيزة عنده، فجذبت نفسها وخرجت تجرّ سلاسلها الذهبية حتى حاذت الامام عليه السلام فبادر بالخلال الى الرطبة المسمومة ورمى بها الى الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض وماتت للحال، وأكمل الامام في أكل باقي الرطب. والخادم ينظر إليه مشدوهاً، حمل الاناء الى هارون فلما رآه بادره قائلاً: ـ قد أكل الرطب عن آخره؟ ـ نعم يا أمير المؤمنين.

ـ كيف رأيته؟

ـ ما انكرت منه شيئاً، ثم قصّ عليه حديث الكلبة وطريقة موتها فقام هارون بنفسه ليشرف عليها، لأنها عزيزة على قلبه كثيراً، فرآها اهترأت أمعاؤها وتقطعت من السم فوقف مذهولاً وقد سرت الرعدة بأوصاله والشرر ينزف من عينيه وقال:

«ما ربحنا من موسى إلا أن أطعمناه جيد الرطب وضيعنا سمنا وقتلنا كلبتنا ما في موسى حيلة»[1].

لقد فشل في مشروعه الخسيس ولم تنجح محاولته في اغتيال الامام عليه السلام والله سبحانه وتعالى قد أنقذه منه وصرف عنه السوء. ولا ندري من أين تعلم طريقة الاغتيال بالسم؟ فيجوز أنه اطلع على تاريخ معاوية بن أبي سفيان واستعماله السم في اغتيال الأئمة عليهم السلام وهو القائل: «إن لله جنوداً من عسل»[2].

وساطة فاشلة عن نفس علوية أبية

لقد احتار هارون في أمره فكل وسيلة سلكها للقضاء على الامام عليه السلام تبوء بالفشل، فاستدعى وزيره يحيى بن خالد بعد أن انتشرت معاجز الامام ومناقبه

(١) البحار ج١١ ص٢٩٩.

(٢) كان يخلط السم في شراب العسل ويقدمه لمن يريد اغتياله.

وتحدث الناس عن مناقبه وكراماته، فقال له:

«يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبر في أمر هذا الرجل تدبيراً يريحنا من غمه».

فأشار عليه يحيى بالصواب وأرشده الى الخير فقال له:

«الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمنّ عليه وتصل رحمه فقد والله أفسد علينا قلوب شيعته».

فاستجاب هارون لنصيحة وزيره وقال له: إنطلق إليه وانزع عنه الحديد وأبلغه عني السلام وقل له: يقول لك ابن عمك: إنه قد سبق مني فيك يمين اني لا أخليك حتى تقرّ لي بالاساءة وتسألني العفو عما سلف منك وليس عليك في إقرارك عار ولا في مسألتك إياي منقصة، وهذا يحيى بن خالد ثقتي ووزيري وصاحب أمري فاسأله بقدر ما أخرج من يميني».

أراد هارون أن يأخذ من الامام اعترافاً بالذنب والاساءة ليصدر مرسوماً ملكياً بالعفو عنه، فيكون قد اتخذ بذلك وسيلة الى التشهير بالامام من جهة، ومن جهة ثانية يكون له مبرراً في الوقت نفسه على سجنه له. لم يخف على الامام عليه السلام ذلك، فلما مثل يحيى وأخبره بمقالة هارون انبرى اليه الامام عليه السلام وقال له:

«سأخبرك بما سيجري عليك وعلى أسرتك من زوال النعمة على يد هارون، وشدة النقمة، فأحذرك من بطشه ومن الغدر بك فجأة، ثم ردّ على مقالة هارون فقال ليحيى:

«يا أبا علي، أبلغه عني، يقول لك موسى بن جعفر يأتيك رسولي يوم الجمعة فيخبرك بما ترى ـ أي بموته ـ وستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه؟».

خرج يحيى وهو لا يبصر طريقه من الحزن والجزع فأخذ يبكي لما رأى الامام عليه السلام ابن بنت رسول الله بتلك الحالة، فأخبر هارون بمقالته، فقال الطاغية مستهزئاً ساخراً:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا!».

ولم يمض اسبوع حتى التحق الامام عليه السلام بالرفيق الأعلى كما أخبر[١].

الإمام موسى الكاظم عليه السلام ينعي نفسه:

علم الامام المعصوم موسى بن جعفر ان لقاءه بربّه أصبح قريباً، فنعى نفسه لبعض شيعته الخاصة، وعزّاهم بمصيبته بدل أن يعزّوه، فأوصاهم بالتمسك بالعروة الوثقى من آل محمد صلى الله عليه وآله وذلك في جوابه عن المسائل التي بعثها إليه علي بن سويد[٢] حينما كان في السجن، فيها بعض المسائل يسأله عنها، فأجابه عليه السلام بهذا الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة، والأديان المتضادة، فمصيب ومخطيء وضال ومهتدي، وسميع وأصم، وبصير وأعمى فالحمد لله الذي عرف ووصف دينه بمحمد صلى الله عليه وآله.

أما بعد؛ فإنك امرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة، وحفظ مودة ما استرعاك من دينه، وما ألهمك من رشدك، وبصّرك من أمر دينك بتفضيلك إياهم، وبردّك الأمور إليهم؛ كتبت إلي تسألني عن أمور كنت منها في تقية، ومن كتمانها في سعة، فلما انقضى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة الى أهلها العتاة على خالقهم، رأيت أن أفسّر لك ما سألتني عنه مخافة أن تدخل الحيرة على ضعاف شيعتنا من قبل جهلها لهم، فاتق الله عزّ ذكره، وخصّ بذلك الأمر أهله، واحذر ان تكون سبب بلية على الأوصياء أو حارشاً عليهم[٣] بافشاء ما استودعتك، وإظهار ما استكتمتك وان تفعل إن شاء الله.

---

(١) البحار ج٢ ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٢) السائي نسبة الى ساية من قرى المدينة. روى عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وقيل انه روى عن أبي جعفر، وروى رسالة لأبي الحسن موسى عليه السلام راجع النجاشي ص٢١١.

(٣) التحريش: هو اغراء بعض القوم ببعض.

إن أول ما أنهى إليك اني أنعي إليك نفسي في ليالي هذه، غير جازع ولا نادم ولا شاك فيما هو كائن مما قد قضى الله عز وجل وختم، فاستمسك بعروة الدين، آل محمد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي، والمسالمة لهم، والرضا بما قالوا: ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبن دينهم، فانهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أمانتهم، أوتدري ما خانوا أمانتهم؟

إئتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه، ودلّوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم «فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[1] وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً كان ينفقه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي سبيل الله فلما اغتصباه ذلك لم يرضيا حيث غصباه حتى حملاه إياه كرهاً فوق رقبته الى منازلهما فلما أحرزاه توليا انفاقه أيبلغان بذلك كفرا؟

فلعمري لقد نافقا قبل ذلك وردا على الله عز وجلّ كلامه، وهزئا برسوله ﷺ وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما، وما زادا إلا شكاً، كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب الى محل الخزي في دار المقام.

وسألت عمن حضر ذلك الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبته منهم عارف ومنكر فأولئك أهل الردة الأولى من هذه الأمة فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وسألت عن مبلغ علمنا، وهو على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسر وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبينا محمد ﷺ. وسألت عن أمهات أولادهم وعن نكاحهم وعن طلاقهم، فأما أمهات أولادهم فهنّ عواهر الى يوم القيامة نكاح بغير ولي، وطلاق في غير عدة. وأما من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه شكه، وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكاة فأنتم أحق به

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٢.

لأنّا قد أحللنا ذلك لكم من كان منكم وأين كان.

وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم يرفع إليه حجة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف. وسألت عن الشهادة لهم، فأقم الشهادة لله عز وجل ولو على نفسك والوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم، فان خفت على أخيك ضيماً فلا وادع الى شرائط الله عزّ ذكره من رجوت إجابته ولا تحصن بحصن رياء. ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا هذا باطلاً وإن كنت تعرف منا خلافه، فإنّك لا تدري لما قلناه، وعلى أي وجه وضعناه آمن بما أخبرك، ولا تفش بما استكتمناك من خبرك، إن من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته، ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاك ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك، وعده في مرضه، ليس من أخلاق المؤمن الغش ولا الأذى، ولا الخيانة ولا الكبر والخنا[١] ولا الفحش ولا الأمر به، فإذا رأيت المشوه الاعرابي في جحفل جرار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين، وإذا انكسفت الشمس فارفع بصرك الى السماء وانظر ما فعل الله بالمجرمين، فقد فسرت لك جملاً مجملاً، وصلّى الله على محمد وآله الأخيار..»[٢]

كرامة أخرى من كرامات إمام معصوم:

مع المسيب بن زهرة:

كان المسيب بن زهرة موكلاً بحراسة الامام عليه السلام حيث نقل من حبس السندي الى داره على ما يستفاد من بعض المصادر، وكان الرجل من دعاة الدولة العباسية الأشداء، فقد ولي شرطة بغداد أيام المنصور والمهدي والرشيد، كما ولي خراسان أيام المهدي[٣]. وكان على جانب من الغلاظة والشدة، فكان أبو جعفر المنصور إذا أراد بأحد خيراً أمر بتسليمه الى الربيع، وإذا أراد برجل شراً أمر

(١) الخنا: الفحش في الكلام.

(٢) روضة الكافي ص١٢٤ ـ ١٢٦ كما ذكرت هذه الرسالة في مرآة العقول.

(٣) تاريخ بغداد ج١٣ ص١٣٧.

بتسليمه الى المسيّب[1] ولما سجن الامام عنده أو وكّل بحسبه أثّر عليه الامام وسيطر على مشاعره، فاهتدى الى طريق الحق والصواب، وأصبح من الشيعة المخلصين ومن حملة أسرار الأئمة عليهم السلام [2] وقد استدعاه الامام قبل وفاته بثلاثة أيام فلما مثل عنده قال له: يا مسيّب.

ـ لبيّك يا مولاي.

ـ إني ظاعن في هذه الليلة الى المدينة، مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لأعهد الى ابني علي ما عهده إلى آبائي، وأجعله وصيّي وخليفتي، وآمره بأمري.

ـ يا مولاي، كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأقفالها والحرس معي على الأبواب؟؟!.

ـ يا مسيب ضعف يقينك في الله عزّ وجلّ وفينا؟

ـ لا، يا سيدي ادع الله أن يثبتني.

ـ اللهمَّ، ثبّته، ثم قال: ادعو الله عز وجلّ باسمه العظيم الذي دعا به آصف حين جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه» حتى يجمع بيني وبين علي ابني بالمدينة.

قال المسيّب: فسمعته يدعو، ففقدته عن مصلاّه فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيته قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد الى رجليه، فوقعت على وجهي ساجداً شاكراً لله على ما أنعم به علي من معرفته والتفت الامام عليه السلام له فقال: «يا مسيّب، ارفع رأسك، واعلم اني راحل الى الله عزّ وجلّ في ثالث هذا اليوم».

قال المسيّب: فبكيت، فلما رآني الامام عليه السلام وأنا باكٍ حزين قال لي:

«لا تبكِ يا مسيّب فإنّ علياً ابني هو إمامك، ومولاك بعدي فاستمسك بولايته فإنك لن تضلّ ما لزمته» قال المسيّب: الحمد لله على ذلك[3].

(١) الجهشياري ص٩٧.
(٢) تنقيح المقال ج٣ ص٢١٧.
(٣) البحار وعيون الأخبار.

اغتيال الامام عليه السلام :

قول في سمّه:

اتفق المؤرخون ان الامام لم يمت حتف أنفه، وإنما توفي مسموماً، وان هارون الرشيد هو الذي أوعز في دسّ السم واغتياله، لكنهم اختلفوا فيمن تولّى ذلك. فمنهم من قال: يحيى بن خالد ومنهم من قال: الفضل بن يحيى لكن الأول أقرب الى الحقيقة، لأن الفضل عرف بميله للعلويين وقد رقّه على الإمام حينما كان في سجنه فاستحق بذلك التنكيل والتشهير من قبل هارون.

ان يحيى بن خالد دسّ السمّ الى الامام في رطب وعنب فقتله[١] ومما يؤيد ذلك ما رواه عبدالله بن طاووس قال: سألت الامام الرضا عليه السلام قلت له: هل ان يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر؟

فقال الامام: نعم سمّه في ثلاثين رطبة مسمومة[٢].

وذكر أبو الفرج الاصفهاني ان الرشيد لما غضب على الفضل بن يحيى لترفيهه على الإمام حينما كان في سجنه، وأمره بجلده خرج يحيى من عند الرشيد وقد ماج الناس واضطرب أمرهم، فجاء الى بغداد ودعا السندي بن شاهك وأمره بقتل الامام عليه السلام، فاستدعى السندي الفراشين وكانوا من النصارى فأمرهم بلفّ الامام في بساط فلفّ وهو حي فجلس عليه الفرّاشون حتى توفي[٣].

وذكر ابن المهنا ان الرشيد لما سافر الى الشام أمر يحيى بن خالد السندي بقتله فقتله[٤]. وهذه الروايات على اختلافها تفيد ان يحيى هو الذي أمر بقتل الامام عليه السلام ولكنها مخالفة لما عليه الجمهور في أن الرشيد عهد الى السندي بقتله.

---

(١) فرق الشيعة ص٨٩.

(٢) الكشي: ص٣٧١.

(٣) مقاتل الطالبيين ص٥٠٤.

(٤) عمدة الطالب ص١٨٥.

كيفية سمّه:

المشهور عند أكثر الرواة ان الرشيد عمد الى رطب فوضع فيه سماً فاتكاً وأمر السندي أن يقدمه الى الامام ويحتم عليه أن يتناول منه[1] وقيل ان الرشيد أوعز الى السندي في ذلك. فأخذ رطباً ووضع فيه السم وقدمه للإمام فأكل منه عشر رطبات، فقال له السندي: «زد على ذلك» فرمقه الامام بطرفه وقال له:

«حسبك قد بلغت ما تحتاج إليه»[2].

ولما تناول الامام عليه السلام تلك الرطبات المسمومة تسمم بدنه، وأخذ يعاني آلاماً مبرحة وأوجاعاً قاسية، وأحاط به الأسى والحزن، قد حفّت به الشرطة القساة، ولازمه الوغد الخبيث السندي بن شاهك فكان يسمعه في كل فترة أخشن الكلام وأغلظه، ومنع عنه جميع الاسعافات ليعجل له النهاية المحتومة، لقد عانى الامام العظيم في تلك الفترة الرهيبة ما لم يعانه أي إنسان، فتكبيل بالقيود وأذى مرهق، وآلام السم قطعت أوصاله وأذابت قلبه، والحزن الشديد الذي أثر فيه تأثيراً عميقاً لانتهاك حرمته، وغربته عن أهله وعدم مشاهدة أعزائه وأحبائه، وقد أشرف على مفارقة هذه الدنيا.

رعب وخوف واضطراب:

أقدم السندي الخبيث الذي باع ضميره للشيطان على ارتكاب الجريمة الخطيرة، فدبّ الرعب في قلبه واضطرب اضطراباً شديداً وخوفاً بالغاً من المسؤوليّة أمام الشيعة العلويين. فيا لهول المصيبة إمام معصوم ابن إمام معصوم، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله تنتهك حرمته ويقيد بالحديد والأغلال ويهان في السجن ويوكل بحراسته أشرار لئام ثم يدسّون له السم في السجن، فانها لجريمة نكراء وأي جريمة!! فماذا يعمل السندي بعد فعلته هذه؟!

استدعى الوجوه والشخصيات المعروفة في مجتمعه الى قاعة السجن وكانوا

(١) عيون الأخبار.
(٢) البحار ج١١ ص٣٠٠.

ثمانين شخصاً، كما حدث بذلك بعض شيوخ العامة يقول: احضرنا السندي، فلما حضرنا، انبرى الينا فقال:

«انظروا الى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فان الناس يزعمون أنه قد فعل به مكروه، ويكثرون من ذلك، وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق، ولم يرد به أمير المؤمنين ـ يعني هارون ـ سوءاً وانما ينتظره ان يقدم فيناظره، وها هوذا موسع عليه في جميع أموره» يقول ذلك الشيخ: ولم يكن لنا همّ سوى مشاهدة الامام ومقابلته فلما دنونا منه لم نرَ مثله قط في فضله ونسكه وتقواه فانبرى إلينا وقال لنا: «أما ما ذكر من التوسعة، وما أشبه ذلك، فهو على ما ذكر، غير أني أخبركم أيها النفر أني قد سقيت السم في تسع تمرات، وإني أصفر غداً وبعد غدٍ أموت».

ولما سمع السندي ذلك انهارت أعصابه، ومشت الرعدة بأوصاله واضطرب مثل السعفة التي تلعب بها الرياح العاصفة(١).

لقد أفسد عليه الامام عليه السلام بشهادته هذه ما كان يرومه من الحصول على البراءة من المسؤولية في قتله.

إلى جنّة المأوى:

في اليوم الثالث سرى السم في جميع أجزاء جسم الامام الطّاهر عليه السلام فأخذ يعاني أشد الآلام وأقسى الأوجاع، وقد علم عليه السلام أن لقاءه بربه أصبح قريباً فاستدعى السندي وطلب إليه أن يحضر مولى له ينزل عند دار العبّاس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله، وسأله السندي أن يأذن له في تكفينه فأبى عليه السلام وقال:

(١) روضة الواعظين ص١٨٥ ـ ١٨٦ وعيون الأخبار، والأمالي، وجاء في البحار ان الامام عليه السلام التفت الى الشهود، فقال لهم: اشهدوا على أني مقتول بالسم منذ ثلاثة أيام، اشهدوا اني صحيح الظاهر لكني مسموم وسأحمر في هذا اليوم حمرة شديدة، وابيضّ بعد غد، وأمضي الى رحمة الله ورضوانه» فمضى عليه السلام كما قال: في آخر اليوم الثالث، وجاء في قرب الاسناد للحميري أنه عليه السلام قال للشهود: إني سقيت السم في سبع تمرات.

«إنا أهل بيت مهور نسائنا وحجّ صرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا وعندي كفني»[1].

أحضر له السندي مولاه الذي طلبه، ولما ثقل حال الامام عليه السلام وأشرف على النهاية المحتومة وأخذ يعاني زفرات الموت، استدعى المسيّب بن زهرة وقال له: «إني على ما عرفتك من الرحيل الى الله عز وجلّ فإذا دعوت بشربة ماء وشربتها ورأيتني قد انتفخت، واصفرّ لوني واحمرّ واخضرّ وتلوّن ألواناً فأخبر الطاغية هارون بوفاتي» قال المسيّب:

فلم أزل أراقب وعده حتى دعا عليه السلام بشربة فشربها ثم استدعاني فقال لي:

«يا مسيّب إن هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم انه تولى غسلي ودفني، وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً، فإذا حملت الى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربعة أصابع مفرجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبركوا به، فان كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي عليه السلام فان الله عز وجلّ جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا».

قال المسيب: ثم رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به جالساً الى جانبه وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام وهو غلام، فأردت أن أسأله، فصاح بي سيدي موسى، وقال: أليس قد نهيتك، ثم ان ذلك الشخص قد غاب عنّي، فجئت الى الإمام عليه السلام فإذا به جثة هامدة قد فارق الحياة فأنهيت الخبر الى الرشيد بوفاته[2].

لقد لحق الامام عليه السلام بالرفيق الأعلى الى جنة المأوى إلى جوار أبيه جعفر الصادق عليه السلام وأجداده المعصومين وجدّه الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم فاضت نفسه الزكية الى بارئها فأظلمت الدنيا لفقده وأشرقت الآخرة بقدومه. وقد خسر المسلمون ألمع شخصية كانت تدافع عنهم وتطالب بحقوقهم، كما خسر الاسلام علماً عظيماً يذبّ عن كيان الاسلام، ويدافع عن كلمة التوحيد، ويناظر ويحاجج كل من أراد الاعتداء أو التحريف في شريعة الله الخالدة.

(١) مقاتل الطالبيين ص٥٠٤ والبحار ج١١ ص٣٠٣.
(٢) عيون أخبار الرضا.

عاش معظم حياته لغيره، فكان أبرّ الناس بالناس، يعطف على الضعفاء، ويساعد الفقراء بصرره المعروفة باسمه، وأثلج قلوب المحتاجين بهباته الدائمة وعطاياه السخية ليخفف عنهم مرارة العيش وشقاء الحياة.

كان حليماً، كريماً، باراً، متسامحاً، محباً، عالماً، تقياً، ورعاً، مجاهداً، فقالوا عند موته: مات أحلم الناس، وأكظمهم للغيظ، وقد طويت بموته صفحة بيضاء من أروع الصفحات في العقيدة الاسلامية.

أيها العلم المجاهد المكافح، أيها الإمام العظيم لقد تلحّفت بثوب الشهادة ومضيت إلى الله شهيداً سعيداً فهنيئاً لك في مثواك الشريف الذي ما زال وسيبقى مزاراً لكل المسلمين المؤمنين.

فأين قبر هارون الطاغية؟ الذي صبّ عليك جام غضبه وأذاقك ألوان الأذى والإرهاق لقد اندثر كما اندثر غيره من قبور الطغاة الظالمين. وقفت في وجه هارون وكنت من أقوى خصومه تنعي عليه ظلمه وتندد بإسرافه وتبذيره أموال المسلمين على قصوره وخدامه وراقصاته وحيواناته...

أيها الشهيد السعيد سجبت استبداد الظالمين وجورهم وفزت برضاء الله ولم تصانع ولم تخادع بل رفعت راية الحق التي رفعها قبلك أبوك وجدك، وهتفت بصوت العدل تريد الخير والسعادة لجميع المسلمين الأحرار. لقد فزت فوزاً كبيراً وبقي اسمك عطراً على ألسن المسلمين المجاهدين قاطبة، ولقد خسر خصمك، وبطل سعيه، وأخمد ذكره وبات لعنة تلفظه الأفواه ولا يذكر إلا قرين الخيبة والخسران.

أنت كوكب من كواكب الاسلام المشرقة وعلم من أعلام الانسانية نقف عندك لنأخذ عبرة ونستلهم من مواقفك كل جوانب الخير والحق.

لقد كنت على شفة الموت وجفن الحياة وبينهما مشرف الشهادة وهذه فوق الحياة والموت لأنها عري الذات وامتشاق الإرادة للانهمار على بحر الله والانذياع فيه بدون شراع. فسلام عليكَ يابن رسول الله، يوم ولدت، ويوم استشهدت، ويوم تُبعث حياً.

زمن وفاته:

المشهور عند المؤرخين ان وفاة الامام الكاظم عليه السلام كانت سنة ١٧٣هـ لخمس بقين من شهر رجب[١].

وكانت وفاته في يوم الجمعة وعمره الشريف أربع وخمسون سنة أو خمس وخمسون[٢] وكان مقامه منها مع أبيه عشرين سنة وبعد أبيه خمس وثلاثون سنة[٣].

محل وفاته:

المعروف ان وفاته كانت في حبس السندي بن شاهك، وقيل انه توفي في دار المسيّب بن زهرة بباب الكوفة الذي تقع فيه السدرة[٤] وقيل ان وفاته في مسجد هارون، وهو المعروف بمسجد المسيّب ويقع في الجانب الغربي من باب الكوفة لأنه نقل من دار تعرف بدار عمرو[٥].

التحقيق بالحادث:

تحقيق وأي تحقيق: خداع وتضليل لتبرير ساحة الطاغية هارون! قامت شرطة الحاكم الظالم في التحقيق بهذا الأمر الخطير وغايتهاتبرئة هارون من المسؤولية أمام جماهير الشيعة ومحبّي الإمام ومن المكلّف بالتحقيق؟ فاعل الجريمة نفسه! ما عاذ الله فالنتيجة مكتوبة قبل المباشرة بالتحقيق.

كلف هارون السندي بالتحقيق وكما يقولون (حاميها حراميها).

أرسل السندي الى عمرو بن واقد وطلب إليه أن يجمع أشخاصاً يعرفون الامام عليه السلام، ولما حضروا وعددهم يقارب الخمسين رجلاً سألهم: هل تعرفون

(١) وفيات الأعيان ج٢ ص١٧٣ ـ تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٢ ـ تاريخ الطبري ج١٠ ص٧٠ ـ ابن الأثير ج٦ ص٥٤ ـ تاريخ أبي الفداء ج٢ ص١٧. تهذيب التهذيب ج١٠ ص٣٤٠ ـ ميزان الاعتدال ج٣ ص٢٠٩ ـ عمدة الطالب ص٨٥.

(٢) المناقب ج٢ ص٣٨٣.

(٣) الفصول المهمة ص٢٥٥.

(٤) البحار ج١١ ص٣٠٠.

(٥) المناقب ج٢ ص٣٨٤.

موسى بن جعفر؟ قالوا: نعم. فقام عمرو وكشف الثوب عن وجه موسى، فالتفت السندي الى الجماعة الشهود وقال لهم: انظروا إليه، فدنا واحد منهم بعد واحد فنظروا إليه، ثم قال لهم: «تشهدون كلكم أن به أثراً تنكرونه؟».

فقالوا: لا، ثم سجل شهاداتهم وانصرفوا»[1].

ورواية أخرى تقول: ان السندي استدعى الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره فنظروا إلى الإمام وهو ميت وشهدوا على ذلك ان لا أثر به!.

هذه الاجراءات التي اتخذها السندي بن شاهك إنما جاءت لتبرير ساحة الحكومة من المسؤولية وابعاد الانظار عنها في ارتكاب الجريمة لكن الإمام عليه السلام قد أفسد عليهم صنعهم وتضليلهم وكشف للناس أن هارون هو الذي اغتاله بالسم.

وأما ما اتخذه هارون المجرم لرفع الشبهات التي حامت حوله فانه جمع شيوخ الطالبيين والعباسيين وسائر أهل مملكته والحكام فقال لهم: «هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه وما كان بيني وبينه ما استغفر الله منه - يعني في قتله - فانظروا إليه» فدخل على الإمام سبعون رجلاً من شيعته، فنظروا إليه وليس به أثر جراحة ولا خنق[2]. وقال أحد الشعراء:

ومهما يكن عند امرىء من خليقة　　　وان خالها تخفى على الناس تعلم

كل هذه الاجراءات لم تجد هارون نفعاً لأن الحق لا بد أن يظهر، ولا يخفيه الدجل والخداع والتضليل فقد عرف الخاص والعام أنه هو الذي اغتال الإمام وهو المسؤول عن دمه وكل مساعيه باءت بالفشل.

على الجسر:

إمام المسلمين وسيد المتقين العابدين وسبط النبي الأمين صلى الله عليه وآله ألقي على جسر الرصافة في بغداد، قد أحاطت الشرطة بجثمانه المقدس، وكشفت عن وجهه بقصد انتهاك حرمته، والتشهير به. حاول هارون بفعلته الحقيرة هذه إذلال الشيعة

---

(١) البحار ج١١، ص٣٠٠.
(٢) البحار ج١١، ص٣٠٣.

عامة والعلويين خاصة ولم يرع الرحم الماسة التي بينه وبين الإمام عليه السلام. لقد أثر ذلك في نفوسهم تأثيراً كبيراً وظلوا يذكرونه طوال مراحل حياتهم. اندفع شعراؤهم إلى نظم هذا الحدث المفجع وقال بحسرة ولوعة المرحوم الشيخ محمد الملا:

من مبلغ الاسلام أن زعيمه ... قد مات في سجن الرشيد سميما
فالغي بات بموته طرب الحشا ... وغدا لمأتمه الرشاد مقيما
ملقى على جسر الرصافة نعشه ... فيه الملائك أحدقوا تعظيما

لقد ملأ الرشيد قلوب الشيعة بالحقد والحزن وتركهم يرددون هذه الفعلة المشينة بكرامة إمامهم طوال مراحل حياتهم.

ولم يكتف هارون الطاغية عند هذا الحد، بل أوعز إلى حارسه السندي اللعين ليأمر جلاوزته أن ينادوا على جثمان الإمام الشريف بنداء مؤلم تذهب النفوس لهوله أسى وحسرات، فبدل ان يأمرهم بالحضور لجنازة الإمام المعصوم ابن الإمام المعصوم أمرهم أن ينادوا بنداء قذر موحش فهتفوا في الشوارع والطرقات:

«هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة انه لا يموت، فانظروا إليه ميتاً»[1].

ـ التوهين بمركز الإمام عليه السلام:

بقي الإمام ثلاثة أيام لم يوار جثمانه المقدس[2]، فتارة موضوع في قاعة السجن والشرطة تجري التحقيق في حادث وفاته، وأخرى ملقى على جسر الرصافة تتفرج عليه المارة وهو مكشوف الوجه. كل ذلك للاستهانة بمركزه والتوهين بكرامته.

ـ تجهيز الإمام عليه السلام:

اهتم سليمان بن أبي جعفر المنصور[3] بتجهيز الإمام وتشييعه، كان قصره مطلاً على نهر دجلة، فسمع الصياح والضوضاء ورأى بغداد قد ماجت واضطربت

---

(١) الفصول المهمة ص١٥٤!!
(٢) عمدة الطالب ص١٨٥.
(٣) سليمان بن أبي جعفر المنصور، أمه فاطمة بنت مخمد من ولد طلحة بن عبد الله التيمي: تاريخ ابن كثير ج١٠ ص٢٨ كان أميراً على دمشق من قبل الرشيد، ووليها من قبل الأمين مرتين وولي إمرة البصرة مرتين.

فهاله ذلك، فالتفت إلى ولده وغلمانه قائلاً: «ما الخبر؟» فقالوا له: هذا السندي ابن شاهك ينادي على موسى بن جعفر، وأخبروه بذلك النداء القاسي. فثارت عواطفه واستولت عليه موجة من الغيظ فصاح بولده قائلاً:

«إنزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فان مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من سواد ـ وهو لباس الشرطة والجيش ـ

انطلق أبناء سليمان[1] وغلمانه إلى الشرطة فأخذوا جثمان الإمام عليه السلام منهم ولم تبد الشرطة أية معارضة، حمل الغلمان النعش وجاءوا به إلى سليمان فأمر فوراً أن ينادى في شوارع بغداد بنداء معاكس لنداء السندي أخذ الغلمان ينادون بأعلى أصواتهم بهذا النداء:

«ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليحضر»[2]

فلما سمع الناس هذا النداء خرجوا على اختلاف طبقاتهم لتشييع جثمان إمام المسلمين وسيد المتقين الورعين، وخرج الشيعة بصورة خاصة يذرفون الدموع ويلطمون الصدور والأسى والحزن قد أدمى قلوبهم، فجاء سليمان ففرج عنهم الكروب وواساهم في مصيبتهم المفجعة.

وتم تشييع الإمام عليه السلام بموكب حافل لم تشاهد بغداد نظيراً له.

أما إذا ما سألنا عن الأسباب التي دفعت سليمان للقيام بموراة الإمام عليه السلام وتشييعه فيمكن اختصارها بما يلي:

أ ـ الرحم الماسة:

تلك الرحم التي تربط بينه وبين الإمام عليه السلام هي التي هزت مشاعره وأثارت عواطفه، فلم يستطع صبراً أن يسمع أولئك العبيد وهم ينادون بذلك النداء المنكر على جثمان زعيم الهاشميين وعميد العلويين. إضافة إلى أنّه لم يكن بينه وبين الإمام ما يوجب الشحناء والبغضاء، فلذا أثرت فيه أواصر الرحم وانطلق إلى انقاذ

---

(١) سليمان هو عم هارون الرشيد من الشخصيّات اللامعة في الأُسرة العباسية وأمره مطاع عند الجميع.

(٢) البحار، عيون أخبار الرضا.

جثمان ابن عمه من أيدي الجلاوزة وصنع بعض ما يستحق من الحفاوة والتكريم.

ب ـ محو العار عن أسرته:

رأي سليمان الذي حنكته التجارب أن الأعمال التي قام بها الرشيد تجاه الإمام عليه السلام هي أعمال مشينة لطخت جبين الأسرة العباسية، إذ كان يكفي هارون دسه السم إلى الإمام واغتياله عن القيام بتلك الأعمال البربرية الحاقدة والتي تدل على نفس لا عهد لها بالشرف والنبل والكرامة، كما تدل في الوقت نفسه على فقدان المعروف والانسانية عند العباسيين. فقام سليمان بما يفرضه عليه الواجب الإنساني فقط للحفاظ على سمعته وسمعة أسرته ومحو العار عنهم.

جـ ـ الخوف من انتفاضة شيعية:

خاف سليمان من قيام الشيعة بانتفاضة للثأر والانتقام، فيتمرد الجيش وتحدث اضطرابات عنيفة وفتن داخلية، لأنَّ ذلك الاعتداء الصارخ على كرامة الإمام عليه السلام الطيب ابن الطيب، انما هو طعنة نجلاء في صميم العقيدة الشيعية، فكان من الطبيعي أن تثير أعمال هارون البربرية عواطفهم وتحفزهم على الثورة والانتقام من خصومهم.

ولا يخفى أن عدد الشيعة في ذلك الوقت عدد لا يستهان به، فقد اعتنق عقيدتهم خلق كثير من رجال الدولة، وكبار الموظفين والكتاب في الدولة، وقادة الجيش، ولذا تدارك سليمان الموقف وقام بما أملاه عليه الواجب الانساني وأنقذ حكومة هارون من الاضطراب والفتن المتوقعة في كل آن. كما اسدى بفعلته هذه يداً بيضاء على عموم الشيعة تذكر له الخير والثناء.

تجهيز الإمام عليه السلام على يد سليمان:

قام سليمان بتجهيز الإمام عليه السلام فغسله، وكفنه، ولفه بحبرة كتب عليها القرآن الكريم بأسره كلفته ألفين وخمسمائة دينار[1].

حدث المسيب بن زهرة قال: والله لقد رأيت القوم بعيني وهم يظنون أنهم

(١) المناقب ج٢، ص٣٨٧.

يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونه وأراهم أنهم لا يصنعون شيئاً، ورأيت ذلك الشخص الذي حضر وفاته ـ وهو الإمام الرضا ـ وهو الذي تولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه فلما فرغ من أمره التفت إلي فقال: «يا مسيب مهما شككت في شيء فلا تشكن في، فاني إمامك ومولاك وحجة الله عليك بعد أبي، يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق ومثلهم مثل اخوته حين دخلوا عليه وهم له منكرون»[١].

مواكب التشييع:

يوم تشييع الإمام موسى عليه السلام يوم أغر لم تر مثله بغداد في أيامها يوم مشهود حيث هرعت الجماهير من جميع الطبقات إلى تشييع ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله فقد خرج لتشييع جثمانه الطاهر جمهور المسلمين، على اختلاف طبقاتهم يتقرّبون إلى الله جل جلاله بحمل جثمان سبط النبي صلى الله عليه وآله، سارت المواكب تجوب الشوارع والطرقات وتصرخ ملتاعة حزينة.

أيضاً فقد خرج كبار الموظفين والمسؤولين من رجال الحكم يتقدمهم سليمان وهو حافي القدمين، وامام النعش مجامير العطور. وقد حمل الجثمان على الأكف محاطاً بالهيبة والجلال، جيء به فوضع في سوق سمي بعد ذلك بسوق الرياحين، كما بني على الموضع الذي وضع فيه الجثمان المقدس بناء لئلا تطأه الناس باقدامهم تكريماً له[٢].

وانبرى أحد الشعراء فانشد هذه الأبيات:

وأزل أفاويه الحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بحمله ... كرماً ألست تراهم بازائه

لاتوه أعناق الرجال بحمله ... يكفي الذي حملوه من نعمائه[٣]

---

(١) عيون أخبار الرضا ـ سورة يوسف الآية ٥٨

(٢) الأنوار البهية ص٩٩ وجاء فيه انه حكى عن صاحب تاريخ مازندران انه قال في كتابه: انه مر بذلك المكان عدة مرات وقبل الموضع الشريف.

(٣) الاتحاف بحب الاشراف ص٥٧.

وسارت المواكب متجهة إلى محلة باب التبن[1] وقد ساد عليهم الوجوم والحزن. وخيم عليهم الاسى من هول المصاب.

إلى المقر الأخير:

قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾[2].

أحاطت الجماهير الحزينة بالجثمان المقدس وهي تتسابق على حمله للتبرك به. حفر له قبر في مقابر قريش، وانزله سليمان بن أبي جعفر في مقره الأخير هو مذهول مرعوب خائر القوى، وبعد فراغه من مراسيم الدفن، أقبلت إليه الناس تعزيه وتواسيه بالمصاب الأليم.

فهنيئاً لك أيها القبر باستقبال هذا الضيف الطاهر هذا العالم المعلم، وهذا العبد الصالح الذي آثر طاعة الله على كل شيء في هذه الدنيا انصرف المشيعون وهم يعدِّدون فضائل الإمام الشريفة ومناقبه السامية ويذكرون ما عاناه الكاظم غيظه من المحن والخطوب وقيود السجن قالوا كلهم: إن فقد الإمام كان من أعظم النكبات التي مني بها العالم الإسلامي عامة والشيعة خاصة في ذلك العصر.

ولا غرو في ذلك لقد فقد المسلمون علماً من أعلام العقيدة الاسلامية وإماماً معصوماً من الأئمة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وغصناً من دوحة النبوة.

هكذا عمت قلوب الطامعين بالملك فتحجرت قلوبهم وتصلبت أحاسيسهم فجاروا وظلموا وبطشوا وضيعوا موازين الحق والعدل. والغريب العجيب أنهم نصبوا أنفسهم على الناس بحد السيف وسموا أنفسهم خلفاء الله على الأرض. لقد ضاعوا في دنيا الجاه والسلطان وغرقوا في لجج الأنانية وحب التسلط وقد تحمل الإمام الكاظم كل هذا الجور والظلم وبقي صامداً أمام الظالمين لا يلين ولا يضعف أمام جورهم وظلمهم.

---

(١) باب التبن: اسم محلة كبيرة كانت ببغداد تقع بازاء قطيعة أم جعفر وفيها قبر أحمد بن حنبل وهي قريبة من مقابر قريش جاء ذلك في معجم البلدان ج٢، ص١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

عاش عليه السلام في حياته عيشة المتقين الصالحين، والمجاهدين المدافعين عن حقوق الأمة الاسلامية، لقد رفع كلمة الحق وحطم الباطل فلم يجار هارون، ولم يصانعه، بل كان من أقوى الجهات المعادية له، وقد تحمل في سبيل ذلك جميع ضروب الأذى وكل ألوان الآلام حتى لفظ نفسه الشريف في ظلمات السجون وفاز بالشهادة، وجعل الله ذكره خالداً مدى الدهور، وقدوة صالحة تسير عليها الأجيال المجاهدة في سبيل الله، ومرقده في بغداد كان ولم يزل ملجأ للمنكوبين وملاذاً للملهوفين، يسعون إليه من كل حدب وصوب ويدعون له لحل مشاكلهم وتسهيل أمورهم، وما قصد مرقده أحد من طلاب الحاجات إلا لبى حاجته وما خاب من دعاه.

وقد منّ الله عليه عليه السلام فجعله من أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ما قاله الشعراء في مدح الامام الكاظم عليه السلام

وهذا باب واسع، لو أردنا أن نستقصي ما قيل في مدح الإمام عليه السلام ورثائه لجاء أضعاف ما ذكرناه، وعملاً بمنهجنا في الاختصار نذكر:

قال الشيخ موسى محيي الدين[1] في الامام موسى كاظم الغيظ عليه السلام:

يا كاظم الغيظ يا جد الجواد ومن ... عمّت جميع بني الدنيا مكارمه

ومن غدا شرع خير المرسلين به ... سامي الذرى وبه شيدت دعائمه

الحق لولاك ما بانت حقائقه ... والشرع لولاك ما قامت قوائمه[2]

وفيك ينكشف الكرب العظيم إذا ... جاشت علينا بلا جرم قشاعمه[3]

إمام حق أبان الحق وانتشرت ... أفعاله الغر مذ نيطت تمائمه

(١) هو من أعلام الأدب توفي في النجف الأشرف ١٢٨٥هـ.

(٢) ما ذكره الشاعر عن الامام الكاظم عليه السلام هو عام في جميع الأئمة عليهم السلام فقد روى الخاص والعام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه أينما دار» فهم صلوات الله عليهم ورثوا هذه المكرمة فيما ورثوه عن أبيهم عليهم السلام من مواريث الإمامة.

(٣) قشاعمه: القشعم: المسن الضخم ويقال للحرب والمنية والداهية: أم قشعم.

فعـالـم الـديـن خيـر النـاس عـالمـه ... وكـاظـم الغيـظ خيـر النـاس كـاظمـه[1]

مـولـى غـدا مـن رسـول الله عنصـره ... أكـرم بـه عنصـراً طـابـت جـراثمـه[2]

بــه وآبــائــه زان الــوجــود وفــي ... أبنـائـه الغـرقـد شيـدت معـالمـه

مـن أم مغنـاك يـا أزكـى الـورى نسبـاً ... لـلازم كيـف لا تقضـى لـوازمـه[3]

فيــا خليلــي والخــل الخليــل إذا ... حبـا الخليـل بـاسنـى مـا يـلائمـه[4]

لا تحسبـا كـل شـوق يـدعـى عبثـاً ... فـالشـوق إن هـاج لا تخفـى معـالمـه

ولا تلـومـا إذا مـا رحـت ذا كلـف ... والدمع من مقلتي فاضت سواجمه[5]

أنـا المشـوق المعنـى بـازديـاد حمـى ... موسى بن جعفر صب القلب هائمه[6]

فعلّـلا قلبـي العـانـي الضعيـف بـه ... فـان فـي ذكـره تقـوى عـزائمـه[7]

وقال السيد صالح القزويني قصيدة يمكن أن نضع لها عنواناً:

(ليس الرشيد رشيداً ولا المأمون مأمونا) قال:

اعطف على الكرخ من بغداد وابكِ بها ... كنـزاً لعلـم رسـول الله مخـزونـا

مـوسـى بـن جعفـر سـر الله والعلـم الـ ... ـمبين في الـديـن مفـروضـاً ومسنـونـا

بـاب الحـوائـج عنـد الله والسبـب الـ ... ـمـوصـول بـالله غـوث المستغيثينـا

الكـاظـم الغيـظ عمـن كـان مقتـرفـاً ... ذنبـاً ومـن عـم بـالحسنـى المسيئينـا

يـا ابـن النبييـن كـم أظهـرت معجـزة ... في السجن أزعجت فيه الرجس هارونا

وكـم بـك الله عـافـى مبتلـى ولكـم ... شـافـى مـريضـاً وأغنـى فيـك مسكينـا

لم يُلهك السجن عن هدي وعن نسك ... إذ لا تـزال بـذكـر الله مفتـونـا

وكـم أسـروا بـزاد أطعمـوك بـه ... سمّـاً فـأخبـرتهـم عمّـا يسـرونـا

---

(١) العالم: من ألقاب الامام موسى الكاظم عليه السلام.

(٢) جراثمه: أصله.

(٣) المغنى: المنزل الذي غني به أهله.

(٤) حباه: أعطاه.

(٥) سجم الدمع: سال.

(٦) صب القلب: رق واشتاق. والهيام: شدة العشق.

(٧) تحت راية الحق: ٦١٣ عن أعيان الشيعة ج١٠ ص١٨٩.

وللطبيب بسطت الكف تخبره ... لما تمكن منها السمّ تمكينا
بكت على نعشك الأعداء قاطبة ... ما حال نعش له الأعداء باكونا
راموا البراءة عند الناس من دمه ... والله يشهد ما كانوا بريئينا
كم جرّعتك بنو العباس من غصص ... تذيب أحشاءنا ذكراً وتُشجينا
قاسيت ما لم تقاس الأنبياء وقد ... لاقيت أضعاف ما كانوا يلاقونا
أبكيت جديك والزهراء أمّك ... والأطهار آباؤك الغر الميامينا
طالت لطول سجود منه ثفنته ... فقرحت جبهة منه وعرنينا
رأى فراغته في السجن منيته ... ونعمة شكر الباري بها حينا
يا ويل هارون لم تربح تجارته ... بصفقة كان فيها الدهر مغبونا
ليس الرشيد رشيداً في سياسته ... كلاّ ولا ابنه المأمون مأمونا
تالله من كان من قربى ولا رحم ... بين المصلين ليلاً والمغنينا
لهفي لموسى بهم طالت بليته ... وقد أقام بهم خمساً وخمسينا
يزيدهم معجزات كل آونة ... ونائلاً وله ظلماً يزيدونا
لم يحفظوا من رسول الله منزله ... ولا لحسناه بالحسنى يكافونا
باعوا لعمري بدنيا الغير دينهم ... جهلاً فما ربحوا دنيا ولا دينا
في كل يوم يقاسي منهم حزنا ... حتى قضى في سبيل الله محزونا[1]

وقال الشيخ محمد الملا[2]:

من مبلغ الاسلام ان زعيمه ... قد مات في سجن الرشيد سميما
فالغي بات بموته طرب الحشا ... وغدا لمأتمه الرشاد مقيما
ملقى على جسر الرصافة نعشه ... فيه الملائك أحدقوا تعظيما
فعليه روح الله أزهق روحه ... وحشا كليم الله بات كليما
لا تألفي لمسرة فهرٍ فقد ... أضحى سرورك هالكاً معدوما
منح القلوب مصابه سقماً كما ... منع النواظر في الدجى التهوينا[3]

(١) تحت راية الحق عن المجالس السنية ص٦١٤.
(٢) من خطباء المنبر الحسيني في الحلة ومن شعرائها المكثرين في أهل البيت عليهم السلام.
(٣) تحت راية الحق عن أدب الطف ص٦١٤.

وقال الشيخ عبد الحسين الحياوي[1]:

جانب الكرخ شأن أرضك شيّد ... قبر موسى بن جعفر بن محمد

بشرى طاول الثريا مقاماً ... دون أعتابه الملائك سجد

ضم منه الضريح لاهوت قدس ... ليديه تلقى المقادير مقود

من عليه تاج الزعامة في الدين ... امتناناً به من الله يعقد

وقد تجلى للخلق في هيكل الناس لكنه بقدس مجرد

هو معنى وراء كل المعاني ... صوّب الفكر في علاه وصعّد

سابع الصفوة التي اختارها الله على الخلق أوصياء لأحمد

هو غيث إن أقلعت سحب الغيث، وغوث إن عز كهف ومقصد

كان للمؤمنين حصناً منيعاً ... وعلى الكافرينا سيفاً مجرد

أخرجوه من المدينة قسراً ... كاظماً مطلق الدموع مقيد

حر قلبي عليه يقضي سنيناً ... وهو في السجن لا يزار ويقصد

مثل موسى يرمى على الجسر ميتاً ... لم يشيعه للقبور موحد

حملوه وللحديد برجليه ... دوي له الأهاضب تنهد[2]

وقال الشيخ مجيد خميس[3] من قصيدة له تعرض فيها لوفاة الامام موسى الكاظم عليه السلام

إن لم يشيع نعشه فلم تكن ... منقصة عليه في عليائه

فخلفه الأملاك قد تزاحمت ... والروح أدمى الأفق من بكائه

منادياً عن شجنٍ وانه ... قطع قلب الدين في ندائه

يا قمر الاسلام قد أمسى الهدى ... دجنة منذ غبت عن سمائه

---

(١) من شعراء النجف الأشرف ومن علمائها ومؤلفيها توفي سنة ١٣٤٥هـ.

(٢) تحت راية الحق عن أدب الطف ص٦١٥.

وكما نلاحظ ان جميع القصائد التي قيلت في رثائه جاءت قصائد مدح للإمام الكاظم عليه السلام لأنه أحدث فراغاً كبيراً في الأمة الإسلامية.

(٣) من علماء الحلة وشعرائها وكانت وفاته سنة ١٣٤٥هـ.

وقد غدا الايمان ينعي نفسه فطبق الأكوان في نعمائه
هذا إمام الحق عاش في العدى مضطهدا ومات في غمائه
لقد ثوى بلحده وما ثوى إلا الهدى والدين في ثوائه[1]

وقال الاربيلي:

القائم الصائم أكرم به من قائم مجتهد صائم
من معشر سنوا الندى والقرى وأشرقوا في الزمن القائم
واحرزوا خصل العلى فاغتدوا أشرف خلق الله في العالم
يروي المعالي عالم منهم مصدق في النقل عن عالم
قد استووا في شرف المرتقى كما تساوت حلقة الخاتم
من ذا يجاريهم إذا ما اعتزوا إلى عليّ وإلى فاطم
ومن يناويهم إذا عدّدوا خير بني الدنيا أبا القاسم[2]

وقال الشيخ مطر بن محمود الخفاجي الغروي[3]:

إذا ما دهاك الدهر يوماً بمعضل وانزلت في واد من الهول مخطر
وحاطت بك الأهوال من كل جانب عليك بباب الله موسى بن جعفر[4]

وقال عبد الباقي العمري:

لذ واستجر متوسلاً ان ضاق أمرك أو تعسر
بأبي الرضا جد الجوا د محمد موسى بن جعفر[5]

(١) تحت راية الحق ص٦١٥ عن أدب الطف ص١٠/ ١٨٧.
(٢) تحت راية الحق ص٦١٠ عن كشف الغمة ٣/ ٨٤.
(٣) ترجم له صاحب نشوة السلافة وذكر بعض شعره، والأمين في أعيان الشيعة.
(٤) تحت راية الحق ص٦١٠ عن أعيان الشيعة ج١٠ ص١٢٩.
(٥) تحت راية الحق ص٦١٣ عن الترياق الفاروقي: ١٣٠.

الخاتمة

ابتُلي التاريخ الاسلامي بكثير من المؤرخين والرواة الذين عاشوا على موائد الملوك وأموالهم، فافتعلوا لهم المآثر والفضائل وأضافوا إليهم النعوت البرّاقة والأوصاف الخلاّبة الأمر الذي أدى الى تشويه التاريخ الاسلامي. فعلى كل باحث منصف أن ينظر الى هذا التاريخ نظرة عميقة صادقة فيعريه من ألوان الدعاية ليكون فهمه على أساس واقعي رصين.

إن على الباحثين في تاريخ الشخصيات الاسلامية ان لا يضيفوا الى مراكزه العليا إلا الأكفاء المتربين على مثاليته وهديه؛ أما الأدعياء الذين لفّوا لواء الاسلام وهدموا وخرّبوا وظلموا فيجب تجريدهم من إطار الشخصية الاسلامية المثالية وإبعادهم عن تاريخه الناصع.

إن المقياس الحقيقي والميزان السليم هي الشريعة الاسلامية فما كان من أعمال الحكام مرتبطاً بها فهم محسوبون على الاسلام وهو مسؤول عنهم كالأئمة المعصومين عليهم السلام، أما الاعمال النابية المنحرفة عن الاسلام والتي لا تمثل هديه وواقعه فانه غير مسؤول عنها ولا تمثل وجهة نظره، وكثيرون من أعداء الاسلام قد آخذوه بأعمال بعض الحكام كالوليد والمنصور والرشيد والمتوكل والهادي ونظرائهم من الذين أثبتوا في أعمالهم السياسية والإدارية أنهم أعداء الاسلام فكيف يحاسب الاسلام على ما اقترفوه من عظيم الذنوب والآثام.

من هنا كان على دعاة الاصلاح ان يؤدوا رسالة الاسلام على حقيقتها النازلة

من رب العالمين، ويعرفوا الجماهير برجال الاسلام المخلصين الذين قاموا بأهم التضحيات في سبيل نشر العدالة والقيم الانسانية، ورفع مستوى الحياة اللائقة.

وإني أرى انه من الضرورة الملحة إفهام الناس بذلك وتغذية ناشئتهم بالآداب الاسلامية ليتربى على ذلك جيل واع سبّاق لفعل الخيرات والقيام بخدمة بلاده ومجتمعه بإخلاص ووفاء.

ومما لا شك فيه بإجماع المسلمين ان أكبر رجال الاسلام علماً وأكثرهم تضحية وأشدهم جهاداً في سبيل الله هم أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم القدوة الصالحة للأمة الاسلامية وهم منابرها المشرقة على دروب الخير والهداية، وقد ضمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لأمته أن لا تضل عن طريق الحق والصواب لو أخذت بتعاليمهم وتمسكت بهم. قال صلى الله عليه وآله: «اني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

والجميع منهم عليهم السلام على تجردهم من مآثم هذه الحياة، كان لهم اتجاه واحد هو خدمة الاسلام والعمل في سبيل المصالح العامة. ولذلك نراهم قد جاهدوا وكافحوا ضد الظالمين والمنحرفين والمضللين. ومما لا ريب فيه ان بلوغ هذه الأمة ذروة الحق ونهضتها الحضارية المباركة من أجل الزحف المقدس يتوقف على اقتدائها بسيرة أهل البيت عليهم السلام والأخذ بتعاليمهم، لأن تعاليمهم هي تعاليم جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وتعاليم جدهم صلى الله عليه وآله من رب العالمين جلّ وعلا. والامام موسى أحد هذه الكواكب المشرقة وإمام من أئمة العترة الطاهرة، وقد كظم غيظه وأدى رسالة ربه بكل أمانة وإخلاص وتحمّل في سبيل ذلك أقسى ألوان المحن والخطوب في السجون والقيود بعيداً عن الأهل والأصحاب. فقاوم وازدرى بسلطان هارون وصارحه بجوره واغتصابه لمركز الخلافة الاسلامية ولم يدار ولم يصانع.

ولقد تشرفت بالبحث عن سيرة هذا الامام العظيم الامام السابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام فذكرت سيرته منذ الولادة حتى انتقاله عليه السلام الى مقره الأخير، ثم تحدثت عن عصره ومحنه مع الحكام العباسيين. ثم علمه الزاخر ورده على

الضالين والمشعوذين ومناظراته معهم جميعاً حتى افحامهم واقناعهم.

كما أجريت عرضاً موجزاً لدرر من حكمه الخالدة حسب حروف الأبجدية وسردت دروساً مثالية عن هذا الامام المثالي، وتحقيقه الأهداف السامية بفضل إيمانه العميق وتعهده بالتكاليف الشرعية المطلوبة منه تجاه أمته وتجاه رب العالمين.

ثم أجريت كشفاً عن أبرز الرواة والأصحاب الذين رووا عنه.

وأخيراً الامام الكاظم عليه السلام ينعي نفسه الى المقرّ الأخير.

وإني أسعى بكل جهودي لأقدم الى المكتبة الاسلامية هذا العمل المتواضع وهو صفحة من حياة الامام موسى الكاظم عليه السلام، ومثل موجز لشخصيته العظيمة. ولا أزعم أنني قد ألممت بجميع شؤونه وعلومه وآثارهه، فذاك أمر لا تسعه المجلدات الكبيرة. وإن الباحث المتتبع لعلوم هذا الامام العظيم يجد صوراً جديدة مشرقة كثيرة من حياته، كما يجد في تراثه الكثير من الحكم والآراء القيّمة في جميع ميادين السلوك والأخلاق والآداب والاجتماع والفقه والعلوم الأخرى...

وقد أعطيت صورة موجزة عن بعض معارفه ومثله وتراثه، كما ذكرت كوكبة من أصحابه ورواة حديثه وأبنائه؛ وبحثت موضوعي بعيداً عن التحيّز والتعصّب وكان رائدي الاخلاص للحق راجياً أن يكون ذلك خدمة للإسلام وخدمة لعلم كبير من أعلامه العظماء النابهين.

هذا بعض ما في هذا البحث أرفع به أسمى آيات الشكر والتقدير للمساهمين بهذه المباراة الكريمة، كما أشكر اللجنة الكريمة وأرجو منها نقداً موضوعيّاً تصحيحياً راجياً لهم دوام العافية وجزاهم الله عنّي خير جزاء إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله ربّ العالمين.

د. حسين ابراهيم الحاج حسن
شمسطار ٢٥/٤/١٩٩٩
الموافق ٨ محرم ١٤٢٠هـ



فهرس المصادر والمراجع

ـ أ ـ

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ أئمتنا ج٢، علي محمد علي دخيّل.
٣ ـ الإتحاف بحب الأشراف، الشيرازي.
٤ ـ الاحتجاج، الطبرسي.
٥ ـ إحياء علوم الدين، الغزالي.
٦ ـ الأحكام السلطانية، الماوردي.
٧ ـ أخبار الدول، القرماني.
٨ ـ الإرشاد، الشيخ المفيد.
٩ ـ الأخلاق، السيد مجتبى اللاري.
١٠ ـ أعلام الورى في أعلام الهدى، الطبرسي.
١١ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي.
١٢ ـ الأغاني، لأبي الفرج الاصفهاني.
١٣ ـ الله يتجلّى في عصر العلم، جماعة من العلماء الغربيين.
١٤ ـ الأمالي، لأبي علي القالي.
١٥ ـ الأمالي، الشيخ عباس القمي.
١٦ ـ الأمالي، الشيخ الطوسي.
١٧ ـ أصل الشيعة وأصولها، للإمام كاشف الغطاء.
١٨ ـ أصول الكافي، للشيخ الكليني.
١٩ ـ الأنوار البهية، للشيخ عباس القمي.

- ب -

٢٠ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي.
٢١ ـ البداية والنهاية، لابن كثير.
٢٢ ـ البلغة، للبحراني.

- ت -

٢٣ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
٢٤ ـ تاريخ ابن كثير، لابن كثير.
٢٥ ـ تاريخ الاسلام، للذهبي.
٢٦ ـ تاريخ ابن الأثير، لابن الأثير.
٢٧ ـ تاريخ الطبري، للطبري.
٢٨ ـ تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن يعقوب.
٢٩ ـ تاريخ أبي الفداء، لأبي الفداء.
٣٠ ـ تأسيس الشيعة، السيد الصدر.
٣١ ـ تذكرة الخواص، لابن الجوزي.
٣٢ ـ التعليقات، محمد باقر البهبهاني.
٣٣ ـ التكامل في الاسلام، أحمد أمين.
٣٤ ـ تحف العقول، ابن شعبة الحراني.
٣٥ ـ تنقيح المقال، للمامقاني.
٣٦ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر.
٣٧ ـ التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي.
٣٨ ـ التحرير، للعلامة الحلي.
٣٩ ـ تحت راية الحق، علي محمد علي دخيِّل.

- ج -

٣٩ ـ جامع الرواة، محمد بن علي الاردبيلي.
٤٠ ـ جعفر الصادق عطر النبوة ومنهج حياة، للمؤلف.
٤١ ـ الجماهير، للبيروني.

-ح-

٤٢ ـ حضارة العرب في دار السلام، جميل نخلة.
٤٣ ـ حضارة العرب في صدر الاسلام، للمؤلف.
٤٤ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم.
٤٥ ـ الحاوي، الشيخ عبد النبي الجزائري.
٤٦ ـ حياة الحيوان، للدميري.
٤٧ ـ حياة الامام موسى بن جعفر، للقرشي.

-خ-

٤٨ ـ الخصائص الكبرى، للسيوطي.
٤٩ ـ خصال الصدوق، لابن بابويه القمي.
٥٠ ـ ديوان أبي فراس الحمداني، دار إحياء التراث العربي.
٥١ ـ ديوان أبي نواس، دار الكتاب العربي.

-ر-

٥٢ ـ رجال الكشي، محمد الكشي.
٥٣ ـ رجال البرقي، للبرقي.
٥٤ ـ رجال ابن داود، لابن داود.
٥٥ ـ الرسالية في الثورة الحسينية، للمؤلف.
٥٦ ـ روح المعاني، محمود الآلوسي البغدادي.
٥٧ ـ روضة الواعظين، للنيسابوري.
٥٨ ـ روضة الكافي، محمد بن يعقوب.
٥٩ ـ رسائل الجاحظ، للسندوبي.

-ز-

٦٠ ـ زهر الآداب، لابراهيم القيرواني.
٦١ ـ زيد بن علي، للمقرم.

- س -

٦٢ ـ السياسة الشرعية، لابن تيمية.
٦٣ ـ سفينة البحار، الشيخ عباس القمي.
٦٤ ـ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، الدكتور مصطفى السباعي.

- ش -

٦٥ ـ شذرات الذهب، لابن العماد.
٦٦ ـ شرح توحيد المفضل، محمد الخليلي.
٦٧ ـ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد.

- ص -

٦٨ ـ صحيح مسلم، مسلم.
٦٩ ـ صحيح البخاري، البخاري.
٧٠ ـ صحيح الترمذي، الترمذي.
٧١ ـ الصحيفة السجادية، السيد عباس الموسوي (أبو علي).
٧٢ ـ الصواعق المحرقة، لابن حجر العسقلاني.
٧٣ ـ صفوة الصفوة، لابن الجوزي.

- ط -

٧٤ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد.

- ع -

٧٥ ـ عقائد الإمامية، للمظفر.
٧٦ ـ العلم يدعو الى الإيمان، أ ـ كرس موربسون.
٧٧ ـ عيون أخبار الرضا، الصدوق.
٧٨ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة.
٧٩ ـ العمل وحقوق العامل في الاسلام، باقر شريف القرشي.
٨٠ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لابن المهنا.
٨١ ـ علم الاجتماع الأدبي، للمؤلف.

- غ -

٨٢ ـ غرر الحكم، الآمدي.
٨٣ ـ الغيبة، الشيخ الطوسي.

- ف -

٨٤ ـ في رحاب أئمة أهل البيت، السيد محسن الأمين العاملي.
٨٥ ـ الفخري في الآداب السلطانية، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي.
٨٦ ـ في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب.
٨٧ ـ فرق الشيعة، للنوبختي.
٨٨ ـ الفصول المهمة، لابن الصباغ.
٨٩ ـ الفصول المختارة، للمرتضى.
٩٠ ـ الفهرست، لابن النديم.
٩١ ـ الفهرست، للشيخ الطوسي.
٩٢ ـ الفقه الاسلامي في مدخل نظام المعادلات، محمد يوسف.

- ق -

٩٣ ـ قاموس المحيط، للفيروز آبادي.
٩٤ ـ قادتنا كيف نعرفهم، السيد محمد هادي الحسيني الميلاني.

- ك -

٩٥ ـ كشف الغمة، علي بن عيسى الأربيلي.
٩٦ ـ كشف المحجة، السيد علي بن طاووس.
٩٧ ـ الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي.
٩٨ ـ كنز العمال، علي الهندي.

- ل -

٩٩ ـ لسان الميزان، لابن حجر.
١٠٠ ـ لسان العرب، لابن منظور.

- م -

١٠١ ـ المجازات النبوية، الشريف الرضي.
١٠٢ ـ مناقب آل أبي طالب، لابن شهراشوب.
١٠٣ ـ مطالب السؤول.
١٠٤ ـ مرآة الجنان، لليافعي.
١٠٥ ـ مهج الدعوات، لابن طاووس.
١٠٦ ـ مصباح الزائرين، للشيخ الطوسي.
١٠٧ ـ معجم البلدان، للطبرسي.
١٠٨ ـ الملل والأهواء والنحل، لابن حزم.
١٠٩ ـ المقدمة، لابن خلدون.
١١٠ ـ منهاج السنة، لابن تيمية.
١١١ ـ المراجعات، للإمام شرف الدين.
١١٢ ـ مروج الذهب، للمسعودي.
١١٣ ـ مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي.
١١٤ ـ مجلة المعرفة السورية.
١١٥ ـ مجمع الزوائد، للهيثمي.
١١٦ ـ من لا يحضره الفقيه، لمحمد بن علي القمي.
١١٧ ـ مختصر تاريخ العرب، السيد مير علي الهندي.
١١٨ ـ مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الاصفهاني.
١١٩ ـ منهج المقال، للاسترابادي.

- ن -

١٢٠ ـ نور الأبصار، للشبلنجي.
١٢١ ـ نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية، للمؤلف.

- هـ -

١٢٢ ـ هشام بن الحكم، الشيخ عبدالله نعمة.

فهرس الموضوعات

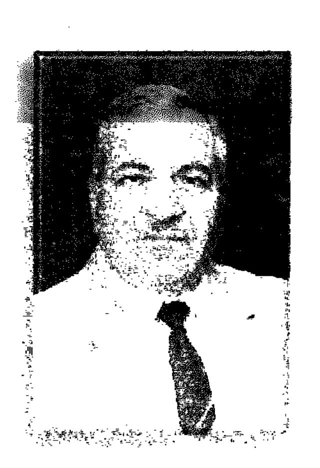
مؤلفات الكاتب المطبوعة

ـ علم الاجتماع الأدبي	١٩٨٣
ـ أدب العرب في صدر الإسلام	١٩٨٤
ـ حضارة العرب في صدر الإسلام	١٩٨٤
ـ أعلام في العصر العباسي	١٩٨٥
ـ نقد الحديث	١٩٨٦
ـ نظم إسلامية	١٩٨٦
ـ الإمام السجاد جهاد وامجاد	١٩٩٣
ـ الرسالية في الثورة الحسينية	١٩٩٣
ـ الروابط الإجتماعية في الاسلام	١٩٩٤
ـ الامام الصادق عطر النبوة ومنهج حياة	١٩٩٨
ـ الامام الكاظم باب الحوائج	٢٠٠٠









دراسة أدبية موضوعية، نالت الجائزة في مباراة التأليف عن الامام الكاظم عليه السلام، قام بها الأستاذ الجامعي الدكتور حسين الحاج حسن؛ يتحدث فيها عن أهم فصول حياة الامام عليه السلام، ويبرز جوانب مهمّة من اسهاماته الفكرية التي أثرت الفكر الاسلامي، وأرفدت العلماء بمعينٍ فكري دفاق يجسد روح الاسلام الأصيل.

دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت - ص.ب. ٢٥/١٥٥ الغبيرى
هاتف: ٠١/٨٤٠٣٩٢